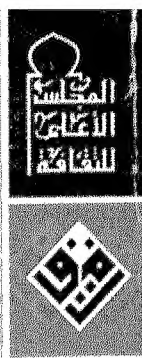


الفردوس الأعلى



المسروع القومي للترجمة



تأليف

عبد الحليم شرر الهندي

ترجمة

جلال السعيد

تقديم ومراجعة

سمير عبد الحميد

اهداءات ٢٠٠٢
مجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

المشروع القومي للترجمة

الفردوس الأعلى

تأليف

عبد الحليم شرر الهندي

ترجمة

جلال السعيد الحفناوي

تقديم ومراجعة

سمير عبد الحميد إبراهيم



تقديم

يمتد نسب الأديب عبد الحليم شرر مؤلف رواية الفيلسوف الأعلى (فردوس برين) إلى الأسرة العباسية ؛ فقد هاجر أجداده من جزيرة العرب إلى العراق ومنها إلى هراة ، ثم نزحوا إلى الهند في عهد السلطان محمد تغلق ، واشتهرت الأسرة بمشايخها وعلمائها ، وكان «نظام الدين» الجد الأكبر لعبد الحليم شرر قد استقر في لاهور ؛ حيث ولد عبد الحليم شرر لأب عرف بمكانته بين العلماء ، وإجادته للعربية والفارسية ، وقد عمل والده موظفًا في بلاد السلطان "واجد على شاه" آخر ملوك المغول في "أوده" ، أما عبد الحليم شرر نفسه ؛ فقد ولد في إحدى القرى التابعة للكهنة في جمادى الثاني سنة ١٢٧٥ هجرية/يناير ١٨٦٠م ، تعلم في صغره على يد شقيق جده لأمه وكان من أساتذة العربية والفارسية ، ثم استدعاه أبوه إلى كلكتا ؛ حيث كان يعمل هناك ، وذلك سنة ١٨٦٧م ؛ فأكمل شرر تعليمه هناك ؛ حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفارسية والأردية ، وأعادته أبوه إلى لاهور سنة ١٨٧٧م ، لكنه ارتحل إلى دلهي سنة ١٨٧٩م حيث التقى ببعض العلماء ، وبدأ ترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب فكانت هذه هي الأولى لشرر في عالم الكتابة ، ثم بدأ في كتابة مقالات أدبية وعلمية في الصحف أثرت في القراء ، وترجم "الروح" لابن القيم ونشر الترجمة في

سلسلة من المقالات بهذا العنوان ، وقد أعجب سيد أحمد خان بهذه المقالات واقتبس منها .

سافر عبد الحليم شرر إلى إنجلترا حيث أقام أكثر من سنة ونصف ، أتقن خلالها الإنجليزية كما درس اللغة الفرنسية وترجم عنها إلى الأردية ورجع سنة ١٨٩٦م ، وأصيب بمرض شديد أقعده من سنة ١٩٠٤م حتى سنة ١٩٠٧م ، وتوفى في جمادى الثانى سنة ١٣٤٥هـ / ديسمبر ١٩٢٦م.

ورث عبد الحليم شرر عن أجداده حب العلم والزهد واحترام الناس ، وكان متسامحاً غير متعصب ، نادى بضرورة تعليم المرأة ومشاركتها فى نشاطات المجتمع .

نال عبد الحليم شرر مكانة بين أدباء أواخر ق ١٩م وأوائل ق ٢٠م ممن أفادوا الأدب الأردى عن طريق تقديم أنماط الأدب الغربى وأساليبه الفنية ، ويرجع سبب شهرته أساساً إلى رواياته التاريخية ، رغم تنوع مواهبه وتعدد مجالات كتاباته ؛ فقد نشر على الأقل خمسين رواية ومسرحية ، بعضها مترجم ، أما مقالاته فقد نشر فى ثمانية مجلدات ، ونشر شعراً حراً لأول مرة فى الأدب الأردى ، كما عرض اتجاهات الشعر الحديث فى الأدبى الإنجليزى على أدباء الأردية ، وألف كتباً فى السيرة والتاريخ ، وأصدر وشارك فى إصدار عدد من المجلات والصحف .

يرى بعض النقاد أن رواياته تفتقد إلى الحبكة ، ورسم الشخصيات ، إلا أن روايته "فردوس برين" أو "الفردوس الأعلى" التى ترجمها إلى العربية الدكتور جلال السعيد الحفناوى هى الرواية الوحيدة

التي يمكن القول بأنها رواية ناجحة فنياً ، ولهذا نالت شهرة واسعة بين أبناء الأردية ، وأشاد بها جميع النقاد .

كتب شرر روايته "فردوس برين" سنة ١٨٩٩م ؛ فقدم لكتاب الرواية في شبه القارة الهندية نموذجاً طيباً للرواية ، إذ تعد فردوس برين أو الفردوس الأعلى من ناحية الشكل الروائي من أحسن رواياته ، رغم أنها من ناحية فن كتابة الرواية التاريخية لم تحقق النجاح المطلوب .

ويذكر أنه كتب أول رواياته سنة ١٨٨٥م بعنوان "دلجسب" ، وكتب أول رواية تاريخية له سنة ١٨٨٨م بعنوان "ملك العزيز وفرجينيا" ثم كتب عدداً من الروايات فيما بعد منها الرواية المترجمة هنا ورواية قيس ولبنى ورواية يوسف ونجمة ورواية أيام العرب وغيرها، ورغم كثرة ماكتب من روايات إلا أن رواية فردوس برين تعد من ناحية الشكل من أنجح رواياته ، بل تعد حجر الأساس للشكل الروائي في الأدب الأردني ، فعناصر الرواية هنا تتجمع لتعطي تأثيراً كاملاً في القراء ؛ إذ نلاحظ أن الحبكة الروائية ، ورسم الشخصيات ، وتصوير البيئة ، والتعبير عن العواطف وفلسفة الحياة، كل هذه العناصر تتجمع لتعطي التأثير الذي يمكن أن تتصف به الرواية الدرامية ، لقد كتب شرر فردوس برين فأرسي بذلك دعائم كتابة الرواية الدرامية في الأدب الأردني الروائي ، وهذا يعني أنه ترسم صورة لتجارب الحياة ، وهكذا عرض شرر في فردوس برين تجارب "حسين" بطل روايته ، مما يضيف على الرواية خصوصية درامية نلاحظها في تجدد العمل من خلال الشخصية ، والعمل يغير من صورة الشخصيات ، وهكذا تمضي الرواية إلى نهايتها عن طريق العمل أو الفعل ورد الفعل ،

وقد حملت الرواية فى بدايتها الأسرار التى تجعل منها رواية جذابة ، وتستمر هكذا حتى تتكشف الأسرار فى نهاية الرواية ، وهذه الأسرار هى التى حملت عناصر الرواية إلى المركز ، وهذا المركز هو الذى يضم البناء الروائى ، ففى فرودس برين أسرار أساسية تبدأ بغياب "زمرّد" حبيبة حسين وزوج المستقبل ، فتلف هذه الأسرار فى تلاييبها حسينا الذى يتلقى رسائل «زمرّد» من العالم الآخر فيعمل طبقا لأوامرها وينضم إلى فرقة الحشاشين الباطنية ، عندئذ تتجمع عناصر متنوعة :

قوة هذه الفرقة الجبارة ، وسائل السيطرة على المعتقدين بمبادئها ، وهى وسائل محيرة ، بعض الشخصيات العجيبة لهذه الفرقة ، المساوئ والخراب الذى أحدثته هذه الفرقة ، ارتكاب حسين لجرائمه الشنيعة بعد أن سقط فى أيدي هذه الفرقة ، الجنة المزيفة ، ثم القضاء على هذه الفرقة وانكشاف جميع الأسرار ، وهكذا تكتمل جميع العناصر التركيبية للرواية كلها بانسجام فى جو ممتع تلفه الحيرة أحيانا .

وبالإضافة إلى الحبكة الروائية نلاحظ أيضا دقة رسم الشخصيات وخاصة شخصية الشيخ على وجودى ، الذى يعد من أبرز من صورهم شرر فى روايته من شخصيات ، فقد أفاد شرر من الحوار الرائع لإبراز صورة هذه الشخصية ، التى أشاد بها جميع نقاد الأدب الأردى .

ولاشك أن هذه الرواية تعد من أفضل ماكتب شرر ، رغم أنها إذا وضعت على محك الرواية التاريخية فإن بها العديد من نقاط الضعف ، وربما يرجع السبب إلى أن عيد الحليم شرر لم يعرض الحياة الكاملة

العهد الذى تناول فيه أسلوب عمل الفرقة الباطنية ، وهو ماتداركه فى روايته "بابك خرمى" التى كتبها سنة ١٩١٧م ، وتناول فيها جرائم الخرميين فى عصر الدولة العباسية ، تلك الجرائم التى أثرت فى نسيج الحياة الاجتماعية العامة ، وعلى العكس من هذا فهو فى فردوس برين قصر روايته على النشاط الداخلى للفرقة الباطنية بون ذكر شئ عن الأحوال والظروف السياسية لتلك الفترة ، ولأعن حكاهم تلك الفترة ولأعن التدابير التى اتخذت للقضاء على هذه الفتنة، فالقارئ لا يدرى شيئاً عن تأثير الفرقة على حياة تلك الفترة ، وتأثيرها على الحياة الاجتماعية لذلك العهد وأسلوب ونهج الحياة العامة آنذاك وأفكار الناس المتعلقين بالفرقة الباطنية ، فكل هذا لم توضحه الرواية ، فضلاً عن أن القارئ يلاحظ بعض الأمور المتضاربة ؛ فحسين وزمرد يعتقدان تماماً فى وجود الحور ؛ لدرجة أنهما يشاهدان بعض النسوة فيعتقدان بأنهما شاهدا "حوريات" من الجنة فيصاها بالإغماء ، وحسين يصل به الوهم إلى درجة أنه يجد خطاب زمرد فيظل يعتقد بأنه مرسل إليه من الفردوس الأعلى ، بون أن يعمل فكره مرة واحدة ، لكن حين تصدر له الأوامر من خلال الخطاب بالعودة إلى بيته يبدأ فى التفكير فيما حدث .

وعلى كل حال لم توضح الرواية أسباب غرق حسين وزمرد فيما غرقا فيه من وهم ، وعلى كل حال فالإبقاء على أسرار الفرقة الباطنية بون الكشف عنها إلى آخر الرواية نال رضا النقاد والأدباء فى شبه القارة ، ومع هذا فلا يمكن القول بأن الرواية نجحت كرواية تاريخية ؛ لأن الرواية التاريخية ؛ يجب أن تقدم الشخصيات التاريخية وغير التاريخية بحيث تعبر عن جميع ظروف المجتمع فى ذلك الوقت ،

وهذا ما تفتقده رواية فريوس برين أو الفريوس الأعلى ، فهي لاتلقى الضوء على الأحوال والظروف الاجتماعية لذلك الوقت ، ولو لم يذكر شرر السنة والمكان لما عرف القارئ أن هذه الرواية تنتمي إلى زمن مضى !

ورغم هذا فقد نالت رواية "فريوس برين" إعجاب القراء في شبه القارة الهندية الباكستانية ، وصدرت لها طبعات كثيرة طوال السنوات السبعين الماضية ، لكن الناشرين لم يهتموا بتصحيح الكتابة ، ولهذا وجدت أخطاء مطبعية كثيرة جداً ، وجاءت العبارات أحياناً غير مترابطة نتيجة عمل النساخ الذين كانوا يضيفون من عندهم أحياناً ، مما دفع أحد علماء الأردية وهو الدكتور قمر رئيس إلى إصدار طبعة منقحة ، يكون متنها خالياً من كل خطأ ، بعد أن وازن بعض النسخ القديمة ليصدر هذه الطبعة في فبراير سنة ١٩٨٢م وهي الطبعة التي اعتمد عليها الدكتور جلال السعيد الحفناوى في ترجمته التي تصدر بالعربية لأول مرة .

ولاشك أن الدكتور جلال السعيد الحفناوى قد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترجمة هذه الرواية التي يرجع تأليفها إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو بترجمته هذه يقدم لقراء العربية والمهتمين بالأدب الشرقية نموذجاً فريداً من نماذج الأدب الروائى الشرقى بقلم أديب متميز من أدباء الهند الكبار ، وسوف تتيح هذه الترجمة للمهتمين بالدراسات الشرقية والدراسات الأدبية المقارنة فرصة للتعرف على نماذج من الأدب الأردى الذى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

ولايفوتنى هنا أن أتقدم بالشكر للمجلس الأعلى للثقافة ممثلاً فى
شخص الأستاذ الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة
على اهتمامه بنشر ترجمة هذه الأعمال الإبداعية المتميزة من الآداب
الشرقية إلى اللغة العربية . وبالله التوفيق .

سمير عبد الحميد إبراهيم

الباب الأول

سرب الخوريات (الخور)

نحن الآن في عام ٦٥١ هـ ، لكن قبل ذلك بقرن ونصف قرن كان معظم السياح خاصة الحجاج يسلكون طريقاً غير ممهد ووعر، مليئاً بالمخاطر والصعاب ، يبدأ من الساحل الجنوبي لبحر الخزر (بحيرة قزوين) ثم يتوغل في مدينة آمل ماراً بمنطقة رودبار ومازندران وهي ملاعب الجن القديمة التي ورد ذكرها في الشاهنامة ثم يقطع جبل طالقان شمالاً وجنوباً ليخرج من مدينة قزوين . ظل هذا الطريق فترة من الوقت على هذا الحال حين كانت القوافل الكبيرة تنهب وتُسرَق في وضوح النهار بلا أدنى خوف ، وبقيت هناك جثث الأبرياء مدفونة في الجليد منذ سنوات عديدة دليلاً شاهداً على الظلم والقتل والنهب .

كان فصل الشتاء قد بدأ في تلك الأيام ؛ ولم تكن طبقات جليد العام الماضي قد ذابت كلياً ، في حين بدأت تتكون طبقات جديدة ، ولم يكن الصقيع قد بلغ منتهاه حتى ذلك الحين ، بينما انتهت ملامح فصل الربيع وبهجة فصل الورود التي لم يبق منها سوى ورود نهاية الفصل المتناثرة هنا

وهناك، نلمح فى أماكن متفرقة البلابل (البدخشانية) التى تعشق الورود تتغنى بألحان جميلة عذبة، تقص آلاف الحكايات، لم تكن هذه المنطقة الجبلية تشبه جبال جزيرة العرب المقفرة، الجرداء، ويشمسها المحرقة، بل كانت فى كل أنحائها دوحة متشابكة الأشجار وارقة الظلال يتخذ منها محبو الطبيعة وطالبو الحقيقة خلوات مثالية للعزلة والوحدة. وبينما كان ذلك المكان دوحة أشجار فرشتها الطبيعة من تحتها بيسط مخملية وعشب أخضر كانت السماء خيمة رقاء حتى إنك لو افترشتها وجلست عليها لرغبت فى التمتع بالخمر الشيرازية، وهنا نهر ديرنجان بدلاً عن نهر ركن آباد الذى قد توقف عن الجريان منذ مائة وخمسين عاما كاملة، فبعد أن يقطع (رود سفيد) يتشعب فى الممرات الجبلية المختلفة ويصُب فى النهاية فى بحر الخزر بالقرب من مدينة خرم آباد.

كانت تلك المناظر الخلابة والطبيعة الفاتنة سببا فى ظهور الحكايات المختلفة المرتبطة بهذا الجبل، يقول بعض الناس إن الجن موجود فى تلك الممرات الجبلية، ويعتقد البعض أن كيومرث ورستم ونریمان قد قضوا بسواعدهم القوية على جماعة الجن، إلا أنه مازال هناك كثير من الحوريات تعيش فى تلك المناطق المعزولة حتى اليوم تذكرنا بجماعة الجن، وقد رأى معظم العالمين ببواطن الأمور تلك الحوريات وهى تطير، كما رأى بعض السياح سرب الحور المبهر يخرج فجأة من بين الشعاب الجبلية، ويروى أنه من كان وحيدا وصادف هذا السرب سقط تحت أقدام الحور ومات على الفور.

إلا أن الباطنية والملاحدة الذين يقطنون هذه المنطقة ويتشرون بها أكثر ظلماً وبطشاً من الحور والجن، وطبقاً للأصول والعقائد القديمة فإن المسلم

الذى يقع فى أيديهم لا يمكن أن يَسَلَمَ بأى حال ، وخاصة فى شهور جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ؛ حيث تكون مظالمهم على أشدها ، وسبب هذا أن المسلمين فى مناطق تركستان وقرغيزستان واستراخان ينزلون فى هذه المنطقة عندما يتوجهون للحج ؛ فإنهم بعد أن يعبروا بحر الخزر بالمراكب ، ثم يطوون جبل طالقان هذا حتى يصلوا إلى أرض العراق ومنها يقصدون أراضى الحجاز المقدسة ، ورغم أن بطشهم اشتهر فى كل مكان هناك فقد هجر معظم الناس هذا الطريق ، إلا أن بعض المسلمين ممن لا يبالغون بالأمر لا زالوا يبرون به بدافع من الحماس وحسن النية ، وخاصة أهل أمل وما حولها ، فليس لهم من طريق غيره .

هذا الطريق الذى ورد ذكره يمتد إلى مسافة بعيدة جدا ، إلا أننا لن نهتم إلا بهذا الجزء من الطريق الذى يمر على ساحل نهر ديرنجان ، وينتهى هذا المكان بوادى رودبار وتبدأ المرتفعات والمنخفضات الجبلية المتعرجة والوعرة ، وإذا ما تقدمنا قليلا مضى الطريق إلى ناحية أخرى واختفى بين الشعاب الجبلية الملتوية بعد دورانه فى أحضان نهر جبل البرز .

بقى على الليل بضع ساعات ، واقتربت الشمس من القمم المكتسية بالثلوج ، وقد زال الدفء القليل الذى كان فى أشعتها الواهنة ، وهبت لفحات الهواء الباردة من أعالى المنطقة الثلجية ؛ فكانت كافية لكى تسرى القشعريرة فى الإنسان .

وفى هذا المكان ، وفى هذه الحالة ، ظهر مسافران يتهاديان رويداً رويداً من ناحية الشمال ، وكانا قد التفا بالملابس من رأسيهما حتى

أخمص أقدامهما كأنهما كتلة كبيرة من الملابس ، وكان كل منهما يمتطى حمرا صغيرا منهك القوى ، ويبدو من وجهيهما الشاحبين وحالتهما العامة أنهما صوفيان فقيران من قرية ما ، أو درويشان تركا الثروة وتركوا الفروسية وخرجوا في هذا السفر لأمر مقدس ولهدف ديني . . لكن لا . . فعندما اقتريا اتضح أنهما ليس شيخين ولا صوفيين ، بل هما شابان من أبناء النبلاء ، ومن المدهش أن أحدهما رجل والآخر امرأة ، ويظهر من وجهيهما أنهما من أسرة عريقة ومن المستحيل ألا يكون إلا من أسرة عريقة رغم أن ذلك لا يبدو من هيتهما أو ملابسهما ؛ لأنهما كانا يتزيان بزى أشراف أمل تحت الأردية الثقيلة التي تغطهما تماما ؛ أما الرجل فهو في مقتبل شبابه ، وهو شاب وسيم يرتدى لبادة كبيرة من الجلد على قفطان صوفى وعلى رأسه قلنسوة تركية طويلة قديمة مصنوعة من عيدان الخيزران على شكل مخروطى ملفوفة بجلد شاة سوداء ، وعلى القلنسوة عمامة قد لفت مرات معدة حول رقبته وأذنيه من أسفل إلى أعلى ، وفي قدميه جورب وسروال صوفى وقد تمتنطق بحزام من الجلد ثبت فيه خنجراً كما علق فيه سيقاً وجعل فيه جعبة للقوس والسهام ، كان من العادات التي يحرصون عليها قديماً أن يربطوا الأسلحة ببردة الحمار ويضعون بها حربة يستعملها هذا الفتى الشجاع فى الصيد بالإضافة إلى زاد الطريق الضرورى لسد رمقه هو ورفيقة سفره الفاتنة ، كان هذا الفتى يمتطى حمرا بينما امتطت الحمار الآخر فتاة جميلة فى الثامنة أو التاسعة عشرة من عمرها فى ملابس كثرة تخفى حسناتها الأخاذ إلى حد كبير ، لكن أتى لها أن تخفى حركاتها ودلالها ، فهذه المساحة المكشوفة من وجهها تتم عن حسناتها وجمالها ، ومن يحظى برؤيتها لأول مرة يعلم أنه لن يرى مثل هذا الحسن وذاك الدلال ، ولكن جميلتنا ذات الحسن النادر كانت ترتدى سروالا

فضفاضًا من الحرير الأصفر من أعلاه لأسفله، وتربط على ركبتيها قطعة من القماش المموج المزركش ، وتلف عنقها بشال حرير أحمر ، وتغطي رأسها بخمار أزرق من قماش الحرير الأطلسي ؛ كانت كل هذه الثياب مختفية تحت جلباب صوفى ، وكان الشيء الوحيد الذى يدل على أنها امرأة هو مئات الصفائر الصغيرة التى كانت تخرج من تحت الحمار وتتبعثر من كتف إلى آخر ثم تستقر على ظهرها ، وكانت تتعر مرارًا بسبب وعورة الطريق أو سرعة الحمار .

ومع أنه من الصعب تصوير جمال هذه الفتاة الفاتنة ، إلا أن هذه الصفات ربما ترسم صورة بسيطة لوجه جميل جذاب أمام المولعين والمتحرقين شوقًا للجمال والحب ، ويكفى للمرء أن يفقد صوابه ما إن يرى تناسق أعضائها الفائق بما فى ذلك وجهها المستدير كقرص الشمس كما هو الحال عند ساكنى الجبال ، وخدها المشرب بالحمرة وعيناها السنجلوان العسلتان ورموشها الطويلة المشرعة وجبهتها العريضة وشفاتها الرقيقتان بما فيهما من اعوجاج يبسط نواجزها الرقيقة الممتدة إلى ذقنها المدبب كأنه صب فى قالب صغير ونظراتها الخاطفة ، بالإضافة إلى عينيّن وحاجبين جريئين .

كان هذان المسافران الشابان يجعلان النظر فى كل اتجاه وهما يسيران فى صمت وقلباهما يرتعدان من الخوف بسبب صعوبات الطريق ، وبدأ الاضطراب يظهر على وجهيهما الرقيق الذى لم تنضجه التجربة بعد بسبب حلول الظلام ، ورغم هذا لم ينطقا بحرف ، وفجأة تغلبت على الفتاة عواطف لحظية آتية مفاجأة فأنخذت نفسًا باردًا وسألت بصوت رقيق ساحر "أى يوم هذا؟" .

الشاب : (بعد أن بدأ يحسب في صمت) الخميس .

الفتاة : (في لهجة مزوجة بالحسرة) لقد انقضى اليوم على تركنا
لمنزلة ثمانية أيام كاملة (وبعد سنة من التأمل) يعلم الله ماذا سيقول الناس
وكيف سيكونون آراءهم .

الشاب : سيقولون إننا تركنا وطننا شوقاً إلى الحج .

الفتاة : (بعد أن زفرت آهة باردة) وسيتهمونني كذلك بأنني رحلت
مع غير محرم .

الشاب : يا زمرد (اسم هذه الفتاة) لم أعد الآن غير محرم بالنسبة
لك ، سنصل إلى قزوين في خلال بضعة أيام ، وستزوج بمجرد أن نصل
إلى هناك .

زمرد : (بعد أن أخذت نفساً بارداً) يعلم الله هل سيكتب لنا
الوصول إلى هناك أم لا؟ فالطريق معروف بمخاطره وصعوباته ، والمسافر
المحظوظ هو من لا يقع في قبضة الحور ، وحتى لو نجحنا فأنى للملاحدة (*)
أن يتركوه ؛ عندئذ طراً على زمرد تغير غير عادى ؛ فقد ذكرها ذلك
المكان بذكرى خاصة ، وأخذت تتلفت في كل مكان وتنظر حولها في كل
اتجاه وتأوهت آهة باردة عدة مرات .

لم يفكر الشاب في هذا الأمر قط ، ثم بدأ يقول في لهجة عادية :
"أنا مطمئن من جانب الملاحدة ؛ لأنني تلقيت رسالة من "ملا حسبة
الله" نقيهم المشهور في آمل ، وسأستعمل هذه الرسالة كتعويذة مجربة
أقدمها لهم وسننجو من يد القرامطة الظالمين .

(*) الملاحدة : كان لقباً عاماً للقرامطة ، وخاصة الباطنية (المؤلف).

كان المسافران الشابان يتحدثان عن هذه الأمور عندما وصلا إلى الطريق الذى يبدأ منه (معهم) الصعود على قمة الجبل بعد أن يفترق عن النهر ناحية اليمين ليدخل بين آكام الشجر والأشواك الكثيفة والشعاب الوعرة، فتقدم الشاب على الطريق بحماره ؛ فإذا بزمرد تمسك باللجام وتقول: " لا يا حسين " (وهو اسم الشاب).

حسين : (بعد أن نظر إلى زمرد فى حيرة) إلى أين؟

زمرد : حيث يجرى النهر.

حسين : لا يوجد طريق هناك.

زمرد : أمشى.. هيا :

حسين : أنحن متوجهون إلى قزوين أم إلى مكان آخر؟

زمرد : لا ليست قزوين هدفى المنشود، بل أريد أن أعرف إلى أين يتجه هذا النهر.

حسين : لكن موطن الحور فى هذه الناحية .

زمرد : ليكون ما يكون .

حسين : لقد سمعت أن أحداً لم يخرج حياً من هذه الناحية.

زمرد : هذا ما أريده.

فنظر حسين إلى زمرد فى حيرة وتعجب ، وقال بلهجة جادة: وماذا عن الرغبة فى الحج؟

زمرد : مازالت لدى الرغبة، فبعد أن نذهب إلى قبر أخى موسى ونقرأ عليه الفاتحة نتجه إلى مكة المكرمة.

حسين : قبر أخيك! ، لكن لا أحد يعرف مكانه؟

زمرد : أنا أعرفه ، وأعرف الطريق إليه .

حسين : (فى حيرة) أنتِ؟ أتى لك أن تعرفى؟

زمرد : أعرفه جيداً .

حسين : هل جئتِ هنا؟

زمرد : لا ، ولكن يعقوب الذى كان حمل إلينا خبر وفاة أخى موسى يعرفه جيداً ، وأول علامة للوصول إليه هى أن يفترق النهر عن الطريق ، ويعدها يجب السير على شاطئ النهر ، وبعد أن نمشى سأخبرك بعلامات أخرى .

حسين : ماذا يعرف يعقوب ، ومن يستطيع إن يقول أن أخاك أو أى شخص مات فى هذه الجبال الشاهقة المتداخلة وكيف مات وأين ومن؟

زمرد : ألا إن أخى موسى ويعقوب كانا معاً ، وبعد أن وصلا إلى هذا المكان الذى يبتعد قليلاً عن شاطئ البحر هبط عليهم سرب الحور من جبال البرز ومات أخى على أيديهم ، بينما سقط يعقوب مغشياً عليه ، وعندما استرد وعيه فى اليوم الثانى وجد جثة أخى فأعد له قبراً ودفنه فيه ، وحفر اسمه على حجر بالقرب من القبر ثم رجع .

حسين : أنا أعرف أن هذا كلام لا طائل وراءه ، وفى النهاية ما السبب الذى جعل الحوريات يقتلن أخاك ويتركن يعقوب حياً .

زمرد : السبب هو أن أخى أمسك بيد إحدى الحوريات ، بينما كان يعقوب جباناً ؛ فلما رأى الحور سقط مغشياً عليه .

حسين : إذن لا ينبغي الذهاب إلى مثل هذا المكان .

زمرد : بل سأذهب حتماً .

حسين : افرضي أننا وصلنا إلى هناك وهبط أماننا سرب الحورا

زمرد : أنا لن أخاف لا تأت إن كنت خائفاً .

حسين : اذهبي بمفردك فلن أذهب ! أنا مستعد دائما للتضحية بروحي
في سبيل حبك .

زمرد : اسمع يا حسين ، أنا لن آتي معك ، كما أنني أعترف أنك
رجل شهيم أحببتك منذ كنا ندرس معاً في المدرسة ، لكن لا تفهم أنك قد
أغريت بنتاً شريفة وأخذتها من بيتها ؛ لقد جئت معك برغبتي ، لكن آمل
أن أقف أمام قبر أخي وأذرف الدموع لا شيء إلا ، وعندما أحقق أملی
هذا سأذهب معك للحج .

حسين : يا زمرد راعي شبابك وصغر سنك وتخلي عن هذه الأمنية .

زمرد : لا . . مستحيل ، لقد احتملت الإهانة من أجل تحقيق هذه الأمنية .

حسين : (بصوت يائس) يا إلهي ! اقبض روعي قبلها .

زمرد : أدعو الله ألا يريني هذا ، (قالت مبتسمة) فالواحد منا يحب
الآخر ، ولو متنا فسوف نموت معاً .

قالت زمرد هذا ثم اتجهت بحمارها ناحية نهر ديرلجان ، ولم تكذب
تمضي خطوتين حتى منعها حسين قائلاً ، يا زمرد اصبري قليلاً ولنواصل
السير غداً ، لقد حل المساء علينا فهل تريدین أن تصلي في الليل ؟

زمرد : كف عن هذا ولنواصل السير إذا سرنا فلا أمل فى وجود مكان أهل ومادنا نغضى فى الصحراء فجميع الأماكن متشابهة .

لم يستطع حسين أن يرفض بأى شكل من الأشكال ، فمضى والتردد ميلاً قلبه ، ودلف مع زمرد فى شعاب جبل البرز المظلمة الحالكة ، وأخذوا يسيران ببطء وتؤده ، امتلأ قلباهما بالرعب من هذا المكان الموحش الذى ساده السكون ، وكانت الغابة تزداد كثافة كلما توغلا فيها ، ويزيد الصقيع ساعة بعد ساعة ، والصمت المطبق كان يضاعف صوت خرير النهر ؛ فتزيد الرهبة من هذا المكان الموحش ، صار الطريق الآن وعراً فاضطرا إلى النزول عن حماريهما ، وسار كل منهما فى الأحراش وهو يتحاشى الأرض الصخرية ويمسك بزمام حماره يتبع أحدهما الآخر ، وبعد فترة من الصمت قال حسين وهو يرتعد من الخوف : لا بد أن الحور يقطن فى مثل هذا المكان المرعب ؛ فهل يمكن أن يوجد هنا إنسان ، إن لم يوجد حتى أثر لحيوان ؟

زمرد : نعم لو قد سمعت أن الحور يظهرون فى مواضع كثيرة من هذا النهر ، وهن يسبحن وشعرهن مكشوف ويتلاعبن ، ويرش بعضهن البعض بالماء .

حسين : (مضطرباً) ما هذا ! أى صوت هذا ؟ كأن شيئاً ما مرق سريعاً بجوار أذنى .

زمرد : من المعروف أن عرش الحور لا يُرى وهو يطير ، لكن صوت طيرانه لا بد أن يُسمع .

حسين : هذا أيضاً ممكن ، لكننى أظن أن ذلك كان صوت حيوان ما .

زمرد : لو كان حيواناً أتظن أنه لا يُرى ؟

حسين : مع أن الشمس لم تغرب حتى الآن ، لكن - كما تشاهدین -
صارت الدنيا أكثر ظلمة من الليل ؛ ففي بعض الأوقات عندما يجن الليل
يخرج البوم أو الخفافيش الكبيرة وتطير محدثة مثل هذا الصوت المرعب .

زمرد : لكن في الحقيقة الحور أنفسهن يخرجن في الليل على هيئة
حيوانات مختلفة .

حسين : ربما - نطق بهذه الكلمة ثم أخذ يتطلع حوله بنظرات
مضطربة وخائفة ، ثم قال بصوت متهدج : سيحل المساء ، ولن تستدلى
على قبر أخيك في أى مكان .

زمرد : لكننى لن يقر لى قرار حتى أصل إلى قبر أخى .

قالت هذا وهى تنظر إلى بحر مظلم يجرى فيه نهر وعلى شاطئيه
صخور ملساء بارزة يصعب على الإنسان اجتيازها ، وعندما رأت زمرد هذا
المرر صاحت بشوق وبلا وعى ، نعم انظر هذه هى ، سنمضى من هنا
العلامة الثانية ؛ فالطريق من هنا يبدأ .

حسين : لكن لا أفهم كيف نسير من هنا؟

زمرد : سوف أمضى بأى شكل ضرورى . .

حسين : وهذان الحماران .

زمرد : نتركهما هنا لنأخذهما حين نرجع .

نظر حسين بتعجب إلى حماس زمرد واعتداده برأيها ثم ربط
الحمارين فى شجرة وتقدم حسين وزمرد إلى الأمام والتصقا بالصخور
وأمسكا يديهما نتوءات الصخور البارزة ، واستمر هذا السفر الشاق

ساعتين حتى انتهى المر، وبعد أن اجتازاه نظرا في حيرة إلى حيث يصب نهر يرنجان ؛ فشاهدا فجأة مروج غاية في البهجة والروعة. لقد كان المكان عجيباً حيث ربت الطبيعة الحدائق بأيديها، فأحواض الورود المتفتحة ذات الألوان المتباينة تنتشر في مساحات شاسعة والطيور المغردة موجودة بكثرة ، ويذلل كل من سكن الروضة جهده في سبيل حسناتها وجمالها. كان الليل لا يزال يلف المكان وهؤلاء المحبون المتحمسون المتواجدون في الروضة يودعون حبيباتهم الوداع الأخير، عندما رأَت زمرد هذا المنظر فقالت في سعادة: "الآن وصلنا إلى هدفنا المنشود، فقد مات أخى موسى في هذا الوادى وربما يكون قبره فى أى موضع هنا". بعد أن قالت زمرد هذا أخذت تجرى فى كل اتجاه مثل الغزالة الشاردة النشيطة الرشيقة ثم توقفت عند حجر كبير وصاحت "حسناً هذا قبر أخى".

بعد أن سمع حسين عبارتها تلك أسرع إلى هناك فرأى حجراً محفوراً عليه اسم موسى ، وبالقرب منه مجموعة من الأحجار رتبت موازية له على هيئة قبر فوقف عليه وقرأ الفاتحة ، إلا أن الحزن واللهفة قد تغلبت على قلب زمرد فسقطت على الأرض قبل أن تنتهى من قراءة الفاتحة ، واحتضنت القبر وبدأت فى البكاء والعويل ، وأخذ حسين يواسيها ثم أحضر ماءً وغسل وجهها وجلس محتضناً حبيبته الجميلة فى ظلام الليل الدامس وأخذ ينصحها.

زمرد (بصوت متحشرج) لا أريد أن أعيش يا حسين وأعرف أنني سأموت فى هذا المكان وقد ارتعدت فرائصى ، وكبدى يشفتت ، وقلبي سيهبط ، لكنى أوصيك قبل أن تموت أن توسد جسدى تحت تلك الأحجار بجوار رفات أخى موسى.

حسين : (فى حلة شديدة وعيناه مغرورتان بالدموع) إذا نفّدت هذه الوصية فلن ينفذها إلا رجل آخر غيرى فلا يمكننى أن أعيش بعدك ، ومن ينفذ هذه الوصية لابد أن يقوم كذلك بتوسيد جسدى معك تحت تلك الأحجار.

زمرّد : (فى ضراعة) لا يا حسين لا تفعل هذا، إنك لا تعلم ماذا يجذبني إلى هذا المكان الآن، لن أقول إنه محبة ولا يمكننى أن أقول إن وصف يعقوب كان فيه سحر ، ولكن فى اليوم الذى سمعت فيه قصة وفاة أخى موسى، رأيت حلمًا فى اليوم التالى كان أخى يقف فى هذا الوادى، ويشير بيده نحوى ويناديني قائلاً: تعالى إلى قبرى واقراى القائمة؛ لقد نادانى أخى المرحوم بطريقة مؤثرة وصورته آنذاك مارالت ماثلة أمام عينيّ ، وهكذا يمكن أن تدرك أننى جئت إلى هنا ألبى نداء أخى.

حسين : (لم يتمالك نفسه من البكاء الغزير، فقال بحماس شديد) حسناً لقد ناداك فى الحلم فأحضرتينى معك.

زمرّد : نعم لقد أحضرتك معى لهذا السبب ؛ فليس لى فى هذه الدنيا أحب منك ، وأمنيتى أن أسلم الروح أمام عينيك وبجوارك، بعدها تعود إلى البيت لتدافع عن سمعتى التى شوهت أمام أهلى وشرفاء المدينة الآخرين تخبرهم بنبأ موتى ، ولماذا مُت ؟ وأين ؟ وتؤكد لهم أننى كنت طاهرة الثوب عفيفة حتى وفاتى يا حسين ، أمنيتى أن تبقى حيًا وتظهر ثوبى من سوء السمعة.

حسين : (بعويل مفجع) لا قدر الله أن أحمل خبر وفاتك.

وفجأة انبعث ضوء على سطح منحدر جبل صغير وقع نظر زمرّد عليه أولاً فقالت بعد أن فزعت كيف انبعث هذا الضوء؟

نظر حسين فى حيرة إلى هذا الضوء وقال " الله يعلم حقيقته ، انظرى
إنه يتزايد من هنا من أولئك الناس الذين يستطيعون القدوم إلى هذا المكان
فى هذه الليلة المظلمة؟

اضطرب المحبان بسبب هذا الضوء ، واودادت حيرتهما ساعة بعد
ساعة وهم يشاهدانه يقترب منهما كثيراً ، كانت هناك مشاعل كبيرة تتراوح
أعدادها ما بين خمسة عشرة أو عشرين ومن تحتها سرب كبير من النساء
الجميلات الحسنات كالحور ، وعندما رأى حسين وزمرد هذه الحالة
صرخا مذعورين وقال كلاهما فى صوت واحد: " الحوريات " وأصيبا
بالإغماء ، وفقدوا وعيهما تمامًا .

الباب الثانى

حبيبتي زمرد أين ذهبت؟ لَوْن سجادتك بالخمر، مهما يقل لك شيخ الجوس

كان الصبح قد انبلج والنسيم يهب بينما كانت طيور السحر تستعد للخروج من وكنتاتها فأيقظ ذلك حسين من حلمه الذى فقد فيه ؛ وعيه فتقلب متشياً ذات اليمين و ذات الشمال ثم نهض وفرك عينيه بيده ، وأخذ يتلفت فى كل اتجاه ، لكنه لم يجد أثراً لزمرد فى أى مكان ، أخذته الحيرة والدهشة حين لم تقع عيناه على الوجه الجميل لحبيبته الفاتنة ، ومالت به الأرض بسبب ذهوله وضعفه وتعثرت أقدامه ووقع عدة مرات وهو ينظر حوله ، وأخذ يجيل بنظره فى كل مكان باحثاً عنها ، لكن لم يجد أثراً للحبيبة الفاتنة زمرد فى أى مكان ، وبعد أن تعب من البحث وصل إلى قبر موسى وجلس عنده، وأخذ يزرف دموع الحسرة والألم وبدأ يقول: أين ذهبت حبيبتي زمرد؟ آه هل ابتلعها الأرض والسماء؟ أم اصطحبها حوريات الليل!

وقع نظره على قبر موسى بالصدفة ؛ فاندعش بعد أن رأى القبر قد حدث فيه بعض التغيير ؛ إذ زيدت عليه بعض الحجارة التى لم تكن

موجودة حتى مساء أمس ، ولم تكن دهشته قد زالت بعد حتى وقع نظره على الحجر الذى حفر عليه اسم موسى ؛ فرأى تغيراً آخر فى الكتابة فبدأ يقرأها بتمعن ثم قال بصوت مرتفع نسبياً "موسى وزمرد" عندها صرخ وأخذ يدور مدهولاً وقد باغته صدمة قوية وغلبه الحزن والغم ، وبعد أن استرد وعيه قال فى نفسه : وأسفاه لقد حدث ما قالت زمرد، ماتت هى وأنا حى ، آه! يا لهن من حوريات ظالمة قتلنها وتركنتى بين الحياة والموت، آه لقد كانت زمرد روحى ؛ فكيف أعيش بدونها، قال هذا ثم بدأ يحطم ذلك الحجر المحفور عليه اسم الأخ والأخت، وخطر على باله أن يفتح القبر ويدفن نفسه فيه ، لكنه استبعد هذه الفكرة بعد أن همست صوت ملائكة الرحمن فى أذنه كأنها تقول: "هذا الأمر يتعارض مع الشرع ويهين الموتى" ، وبعد أن استمع إلى نداء ملائكة الغيب صاح قائلاً: "آه ماذا أقعل إذن" ، قال هذا ثم سقط على الأرض وهو يتلوى، وبعد فترة من البكاء والحويل نهض وأسرع نحو قبر موسى يحتضنه ظناً منه أنه قبر زمرد ، وأخذ يخاطبها كأنه يخاطب شخصاً على قيد الحياة قائلاً: "حييتى زمرد الموت ليس باختيارنا وقتل النفس حرام والحياة بلا فائدة وبلا طعم ، لكن متى يحل الموت ، وإذا كان لابد منه فلماذا لا أنتظره هنا فى هذا المكان، إن قبرك سيكون مؤنس وجليسى فى الأيام الباقية لى فى هذه الدنيا، وخيالك سيكون محبوبى الوفى، الآن سأعيش هنا وسأموت هنا، وكما استدعاك أخوك إليه فاستدعيني أنت أيضاً ، ولا يمكنتى أن أنفذ وصيتك ؛ لأننى سأملك هنا ولا يستبعد أن تمر الحوريات هنا وتوصلننى إليك بلا أدنى مشقة".

هدأ حسين بعض الشيء بعد أن حسم هذا الأمر مع نفسه ، ونهض من فوق القبر ، وذهب ناحية شاطئ النهر ورش على عينيه الدامعتين ماءً

نظيفاً طهوراً ثم ترضاً ووقف فى محاذاة القبر وصلى عدة ركعات نافلة ثم جلس وأخذ يدعو لزمره بالمغفرة فى خشوع وسكينة ، وقرر أن يعيش فى هذا المكان طوال حياته .

لقد اختار حسين هذه الحياة بقوة بأسه ، وشعر بلذة وهو ينتظر الحور من الآخرة أو يدعو لنفسه بالموت ، ولم يعد يتذكر موطنه ولا حتى رغبته فى الحج ، وصار خيال زمرد قبلته ، وقبرها المشترك مسجده ، وكلاً الغابة قوته ، وكان أحياناً يعيش على صيد العصافير ، وظل ينتظر رسالة الموت فى كل لحظة ، وكان إذا ما غلبه الحزن والغم يعانق قبر محبوبته الفاتنة ، ويكى حتى تنهر الدموع فتغسل الحزن من قلبه .

ظل على هذه الحالة ستة أشهر لا يبرح مكانه بجوار قبر موسى وزمرد ، وعاش فى تلك الجبال طوال فصل الشتاء حين كُسى قبر شهيدى الحسرة المظلومين برداء من الثلج لفترة من الوقت ، ونجشم برودة الجو القارس وتساقط الثلوج بصبر وشكر ، وحل فصل الربيع إذ ذاك فامتلات بالأزاهير المروج والأودية فى كل جانب ، وكان الهواء يتضوع دائماً بالمسك والعطر والطيب فتضاعف آمانيات القلب ساعة بعد ساعة حتى ازداد حزين إذ ذاك حدة عن ذى قبل ، وكلما رأى الربيع وهذه الورود ازداد يقينا بقدوم الحوريات ، وبدأ يظهر عليه الاضطراب ونفد صبره وهو ينتظر الحور الظالمات ، وفى أحد الأيام أخذ ينتحب ويقول " والأسفاه لقد أنجزت الحور مهمتها بالنسبة لموسى وزمرد فى يوم واحد ، أما أنا - لسوء حظى - فقد مر على انتظاري ستة أشهر وكأنهن نسين الطريق إلى هنا ، وذات يوم نهض من نومه فى الصباح فوجد على غير العادة ورقة على قبر زمرد فجرى بشوق ودهشة والتقطها وقرأها ووقف لحظات مُتسماً لا يتحرك من

أثر المفاجأة وأخذ ينظر مراراً إلى الكتابة ويقول: "إن العين لا تخطئ" لكنه كان يزداد ثقة لحظة بعد لحظة في أن هذه الكتابة بخط زمرد وكان مضمون الرسالة ما يلي " يا حسين أنا سعيدة للغاية في هذا العالم، فالمباهج هنا أسمى من ظنك وتخمينك وقياسك، أنا في تلك الجنة التي وعد بها القرآن وجميع الكتب السماوية كل مسلم يعرف الله، وقد حصلت على النعيم بفضل الله وكرمه ؛ فالزهرة والمشتري الذي كنت ترى شعاعهما من بعيد هما الآن جليساى وأنيساى لقد سمعت قصتهما، لا لكنك كم هى جذابة وفاتنة تلك النعم فى عالم النور ومركز اللاهوت حتى إن قصة هاروت وماروت لا تخطر على البال ، ولكننى هنا متحيرة من أجلك ومشتاقة للقائك، والملائكة والأرواح السماوية الأخرى يعلمون مثلى أنك تجلس مجاوراً لقبرى وقد جذبتنى النزعات المادية التى ظلت تتجه نحو عناصر عالم الروح لفترة من الزمن مراراً إلى قبرى ، ورايتك تحتضن قبرى وتبكي وقد وقفت أنا نفسى أبكى معك لساعات، لكن للأسف لا يمكنك أن ترى صورتى بعينيك الماديتين ولا تستطيع أن تسمع صوت بكائى بأذنك الدنسيويتين ، وأنت فى انتظار الموت الحق وبقاؤك فى الدنيا الآن لأيام معدودة، وقد نلت سعادة وصالك منذ زمن بعيد، والحديقة التى توجد فيها هى موطن الحور اللاتى لا يمكنهن المجيء هناك بسبب وجودك ولا يمكنهن أن يختطفن روحك ؛ لأن ميعاد موتك لم يحن بعد ، وهذه هى الأسباب التى بسببها لا يمكن لهن بأى طريقة أن يخرجوك من متزهنه فاضطرون هن أنفسهن إلى هجر موطنهن ، لكنك للأسف لم تعمل بوصيتى حتى توقف الذين الصقوا التهمة باسمى والذين أساءوا إلى سمعتى ؛ لأن كذبهم وافتراءهم يزعجنى ، ولهذا السبب فإننى أذكرك بوصيتى مرة أخرى ، وأقول لك بكل رجاء أن تذهب وتنفذ وصيتى.. المثيمة بك والبعيدة عنك.. زمرد".

قرأ حسين هذه الرسالة آلاف المرات ، وأخذ يحملني فيها بعينه
 ويتمن في كلماتها وأسلوب كتابتها فلم يستوعب هذا الأمر بأى حال ولم
 يفهم محتوياتها، وفجأة قال مدعوراً هل زمرد على قيد الحياة ؟ ثم أجاب
 بالنفى قائلاً لا يمكن أن تكتب هذه الرسالة بنفسها فهي في العالم الآخر،
 تنتزه في الفردوس الأعلى، لكن كيف وصلت هذه الرسالة هنا ومن
 أحضرها ؟

ظل يفكر لفترة، ماذا يجب عليه أن يفعل الآن، في البداية خطر
 بباله أن يعود إلى البيت بناء على نصيحة زمرد ، لكنه عاد فقال " لا، فلا
 طائل من وراء هذه الفكرة، فكيف وبأى وسيلة أذهب إلى هناك، ولو
 افترضنا أنني ذهبت فمن يصدق هذه القصة؟ فالجميع سوف يكذبونني
 ويسفهونني.. لا.. لا يمكن أن أذهب ، وسوف أصبر وأحمل قدر
 طاقتي، طوال السنوات التي سأعيشها، لقد عاهدت نفسي أن أعيش الأيام
 الباقية لى في الدنيا عند قبر زمرد ومع ذكراها، فزمرد تقول إننى سأعيش
 لمدة طويلة، فتحمل المشاق في هذا المكان أفضل من التشرد ، وللأسف
 فإن زمرد ستحزن من أعماق قلبها ؛ لأننى لم أنفذ وصيتها ، ولكنى
 سأقدم لها اعتذارى وسأبلغها إياه عن طريق الملائكة الذين ينقلون لها
 أخبارى يوماً بيوم، ومن الممكن أن تكون واقفة في ذلك الوقت، ترانى
 وتسمع كلامى ، ومن الممكن أن يكون المعنى قريناً للقياس (متطابق) تماماً
 ومن الضروري أن تكون روحها هنا في ذلك الوقت لتسمع الرد على
 رسالتى ؛ فلماذا لا أقول ما ينبغى قوله ؟

استحوذت هذه الفكرة على قلبه واتجه بنظره إلى قبر زمرد: وبدأ
 يقول "حبيتى زمرد أنا هنا في هذا القبر المنير حيث تسكنين، وليس عندى

تلك الورقة النورانية التي تحمل إليك رسالتى فى هيتها الترابية فاستخدمى نورك ونورانيتك بعناية، واسمعى عذرى بلسانى يا حورية الوجه ومحبوبة الله الجميلة وغواصة بحر رموز الوحدة والكثرة! أى عجب فى أن تشاهدى بنور عينيك الآن مسرحية ظلمى أو يصل إلى مسامعك الروحانية صوت تأوى وأنىنى الذى يفتت الكبد، فلا ترسلينى يا زمرد عند هؤلاء الناس ؛ لأن قصة روحانيتك وعصمتك وقبولك أسمى وأنبى من فهمهم وإدراكهم، ولن يفقهوا قولى فأبعدنى بحبك لى عن هذه الذلة والمسكنة ، وإذا كان لصوتى أثر على البلاط السمردى فحاولى أن تستدعينى عندك وأن ترسلى الحور، أرسلهم بسرعة لكى يبعدونى عن متزهمهم، إن روحى تهفو شوقاً إليك كطائر ذبيح، وأتوق للخروج من هذه القفص المادى ؛ فىا حبيبتى الفاتنة لاتجعلينى أتجه إلى مكان آخر بل استدعينى عندك " .

تضاعف حماس حسين حين أبدى مثل هذا رأى حتى سقط على الأرض بعد أن بلغ به الإعياء مبلغاً ، وبدأ يرتد على عقبيه وعندما راد وهنه احتضن القبر وغاب عن وعيه، وقد ضاعفت هذه الرسالة من حماسه وقضى ذلك اليوم فى غم وحزن أكثر من ذى قبل ، وكانت الرسالة التى أرسلتها زمرد من موطن الحور قد زادت حنينه إليها ورأى فى المنام حبيبته ساكنة الفردوس، وعنت له فكرة جديدة وهى أنه ربما يتقصد عالم الآخرة من علم وإيمان أى مسلم إلى حد ما مثلما كان الحال مع حسين ، فكانت الدنيا فى نظره هباءً مثوراً وبالنسبة له فقد كان يوجد فى برزخ ما بين عالم النور والظلمة، وكان مع إنكار الذات وعدم صبره يريد بأى شكل أن يمزق ملابسه المادية والجسدية ويصل إلى عالم النور ، واستمر على هذه الحالة شهراً ينتظر فى كل لحظة رسالة جديدة من زمرد ،

وفى النهاية انتهى وقت الانتظار ووجد رسالة كان هذا مضمونها: "يا حبيس الظلمة يا من تعيش فى البحث عن التوحد معى، وأنت لا تدري أن هذا الأمر لا يؤثر على أدنى أثر فعلاقتى بك باقية فى ثوب روحى ، ولهذا السبب يعم السرور والبشر كل مكان فى هذا العالم ، ويث الله فى قلبى متعة وحلاوة خاصة بعيدة عن الفهم والإدراك، إننى لا أستطيع أن أمحو التفكير فيك، ولا يمكننى أن أبعد عن قلبى الحزن على المتع الروحانية فى ذكراك .

حسناً ، إنك نجحت الآن فى الاختيار ، وليس هناك أى شىء يستطيع أن يخرج من قلبك حبى أو ذكراى .

فلا تياس واستعد للقاءى، تذكر أن ذلك ليس المكان الذى ستجدين فيه ؛ فأنا قريبة منك وبعيدة عنك أيضاً ، لكن هناك مسافة كبيرة على تلك البوابة التى ستأتى منها إلىّ والوصول إلىّ يستلزم رياضة ومجاهدة شاقة، فمن أجل هذه المهمة ستكبح جماح نفسك وتمارس الرياضة الروحية وتمضى على طريق طويل ، وعلى هذا فلا فائدة من الاصطدام بالجبال بدون مرشد أو شيخ ولا فائدة قط من البكاء والعويل ؛ فلو كانت لديك رغبة صادقة للقاءى فدع عنك هذا الوادى ، وأخرج إلى غار كبير فى الشعاب الغربية لجبل الجودى (*) والذى تحنث فيه كبار الصوفية لأربعين يوماً ، فالناس لا يعرفونه لكننى عندما جئت إلى هنا علمت أن

(*) يطلق الجغرافيون الإنجليز فى العصر الحاضر على جبل جودى اسم "جبل الإرادة" ، ويقع عند نقطة التقاء الحدود الإيرانية والتركية والروسية (المؤلف) .
- وهو جبل الجودى الذى استقرت عليه سفينة سيدنا نوح ، وورد ذكره فى القرآن الكريم (الترجم) .

إبراهيم عليه السلام عرف الله بفسخ العزائم من شروق الكواكب وغروبها ؛ هذا الغار هو ذاك الغار ، ويذكر الناس اليوم أن هذا الغار فى أرض الشام لكن هذا كذب صُراح فلم يقض إبراهيم عليه السلام طفولته فى الشام بل فى تلك الأرض ؛ حيث كان موطنه ، وحيث سكن نسله بعد أن استقرت سفينة نوح ؛ فعليك أن تتعبد فى ذلك الغار أربعين يوماً وتجتهد فى تلك الفترة أن تعيش فى اليوم الرابع على بعض النبات فقط لسد رمقك، ولا بد طوال فترة الأربعين يوماً أن تضع أمام ناظريك صورة واحدة فقط ، وأن تكون فى قلبك فكرة واحدة فقط، أما الصورة فهى صورتى والفكرة فهى لقاء ذلك المرشد الذى يضمك إلى مريديه وحيث تخرج من الغار وتمضى فى الطريق ، وسوف ترانى أيام خلوتك قأدعوك إلىّ، لكن حذارى أن تتخدع بهذه الصورة الخيالية وتتعرّ قدامك ولو مرة فتدرك أنه ليس هناك أى أمل للقائى، بعد الأربعين يوماً وفى الليلة الأخيرة اتجه من هذا الغار ومن شعاب جبل الجودى إلى أرض الشام وأذهب إلى مدينة الخليل بدون توقف حيث يوجد هناك فى الجُـب المشهور ضريح سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ، وتجنب أن تقع أعين الناس عليك ؛ لأنهم سيحاولون منعك ، ولكن عليك أن تحاول النزول إليه دون أن يعلم المجاورون والحُرّاس، ثم تتعبد مرة أخرى أربعين يوماً بعد أن تجلس بين القبرين ثم تخرج من هناك إلى مدينة حلب، هناك ستجد مسجداً صغيراً خلف محلة رامنه (ارامنه) يسمى مسجد الشماتين فاذهب وقم فى المسجد، وفى اليوم التالى سيأتىك شخص فى صلاة الفجر، سيظهر مرتدياً ملابس صوفية، شعر طويل، يغطى جسمه برداء أسود، غطى المشيب معظم شعر لحيته ، عمامته خضراء لأنه من سادات أولاد فاطمة، ومع أن له فى عالم النور (الفردوس) لقباً آخر يذكر به إلا أن اسمه فى

عالم العناصر (الدنيا) " الشريف على وجودى " ، ومع أنه كما سيبدو لك من هيئته وحالته متواضع، ولكن النور يشع من عينيه بسبب العواطف الروحية الفياضة وكبح جماح النفس والرياضة الروحية، وتذكر جيداً ألا تذهب إلى " الشريف على وجودى " ما لم يأت إليك بنفسه ، وسوف تعرف عليه بهذه العلامات الظاهرة واطلب منه الحقيقة ، فهذا الشخص هو الذى يستطيع أن يلاقينى بك ويحملنى إليك وفى يده مفتاح لنجاحنا ؛ فإذا كنت ميمماً بى وراغباً فى ؛ فعليك أن تكون فى حالة تسليم ومحبة للشيخ ما لم يتم مرادك، وإذا بقيت فى خدمة الشيخ " الشريف على وجودى " عاماً كاملاً فلا بد أن تسنح فرصة، وإذا ما كان فى حالة وجد وحماس ؛ فسوف يدعو الله لك بالتتزه فى الملأ الأعلى، فإذا سمعت هذا الدعاء فاركع على قدميه وأظهر له رغبتك الصادقة، فسوف يرضى عنك بلا شك، وعليك أن تتذكر أن كل أمر من أوامر الشيخ واجبة سواء استوعبت أو لم تستوعب الطاعة .

"لن سجادتك بالخمر، مهما يقل لك شيخ المجوس" .

فإذا طويت كل هذه المراحل، وأظهرت حماساً وتفانياً كاملين فى طاعة الشيخ فسوف يحقق مرادك ، وإذا ذاك ستجد يدى مفتوحتين لك، وأعدوا أكثر محبة لك فعجل بالخروج الآن من هذا الوادى وأترك قبرى وأظهر حماساً ولهفة فى سبيل لقائى " . . المشتاق إليك والتميمة بك. . زمرد" .

لم يستطع حسين أن ينفذ وصية زمرد الأولى أو ما جاء فى رسالتها التالية بسبب كراهيته للحب والمحبين ، ولم يكن من الممكن ذلك بعد أن يقيم لحظة واحدة فى ذلك الوادى وتذكر حب زمرد والوفاء لها ، وفى

النهاية ودع قبر زمرد بكبير حماس ولهفة ثم قَبِل الرسالة مراراً ووضعها على عينيه ثم دسها في صدره بالقرب من قلبه، وشمر عن ساعد الترحال. ومضى المر الجبلى الضيق المظلم بتمهل وحذر شديد حتى وصل إلى ذلك المكان الذى كان قد ترك فيه حماره وحمار زمرد مربوطين بالشجرة ؛ فوجدهما ميتين من شدة البرد والجليد بعد أن عجم لحمهما ، وكانت عظامهما ملقاة تحت الشجرة، لكنه وقف مشدوهاً حين رأى بدلا من الحمار الميت حماراً نشيطاً مربوطاً إلى الشجرة وعليه سرجه ، وعلى غير ما توقع وجد هذه الركوبة ؛ فشكر الله الكريم الذى أظهر له فى الدنيا كثيراً من رموز عالم النور سلك طريقه ، وكان كلما وجد الطريق وعراً وموحشاً يترجل ويمسك بزمام الحمار ، وكان إذا وصل إلى الأرض السهلة المنبسطة يمتطي الدابة التى منحها له الله ، ويتجه مباشرة شطر الغرب ؛ لأن هذه السلسلة من الجبال تتجه من الشرق إلى الغرب ، وهكذا بدأ يطوى البداية حتى وصل إلى مدينة تبريز بمنطقة آذربيجان بعد شهرين من جوب القفار ؛ حيث صار على مسافة عشرة أيام من جبل الجودى، وكانت تبريز مدينة ذات رونق وبهاء ؛ فخطر على قلب حسين أن يمكث فيها يومين للتتزه ، ولكنه تذكر تأكيد زمرد له، فلم يمكث فيها ساعة أو ضحاهما حتى رحل منها، وبعد عشرة أيام من طى الفيافي وقف تحت جبل الجودى الذى تناطح قمته الفلك.

وجبل الجودى هذا هو جبل شاهق الارتفاع ، وهو أعلى من معظم جبال إيران وآسيا الصغرى بل وسلسلة جبل قاف، تجول حسين فى البداية جولة كبيرة ثم خرج من الناحية الشرقية للقلعة المنيعة المكسوة بالثلج ، وبدأ البحث عن هذا الغار الذى يُتعبد فيه مدة أربعين يوماً فعثر عليه بعد

أن ظل يبحث عنه عدة أيام يقطع الشعاب والصخور، وكان معظم القرويين يأتون من أماكن بعيدة لزيارة هذا الغار فيصعدون إلى فتحته المعتمة التي يحكى عن بركاتها الكثير من القصص الشهيرة ، وينظر إليه اليهود والنصارى والمسلمون جميعاً بعين الاحترام والتبجيل ، وقد علم حسين قصة هذا الغار على لسان زائر من هؤلاء القرويين وعلم أن هذا المكان هو نفسه الذى سيؤدى فيه امتحانه الأول فى كبح جماح النفس وممارسة الرياضة الروحية ؛ حيث كان سيدنا إبراهيم قد عرف ربه فيه .

وعندما وصل حسين إلى فتحة هذا الغار كان عنده جمع من الزائرين الذين يعتقدون فيه من مناطق لبنان وجبل الجودى ، ويعد أن عادوا من هناك فى المساء غربت الشمس، سمى الله ثم دلف إليه وشغل بالرياضة بداخله ، وبدأ محاولة جعل صورة زمرد الخيالية مصباحاً فى الظلام الدامس هناك ؛ فوضعها أمام ناظره فى كل وقت ثم خرج فى الليلة الأخيرة لليوم الأربعين وقد حد من شدة جوعه بأكل العشب وأوراق الشجر ثم عاد وجلس فى تلك الخلوة .

فى النهاية رحل بطلنا المتحمس إلى الشام، وتراءت له مباني مدينة الخليل المقدسة بعد سفر ثلاثة أشهر، ودخل المدينة ، ووصل مباشرة إلى هذا الجُنب (السرداب) الذى كان النزول إليه محفوفاً بالمخاطر ؛ لأن الناس يتزاحمون حوله فى كل وقت ، كما أن الخطورة كانت فى اعتقاد المجاورين بوجوب قتل كل من يرغب فى النزول إلى هذا الغار المقدس فأخفى حسين رغبته ، وحصل على الإذن منهم بعد أن أقام معهم صداقة بحيث يبيت بالقرب من مكان النزول ، وصلى مقيماً الليل لعدة ليالٍ ، لكن لم تسنح له الفرصة كاملة ؛ لأن معظم الناس يسهرون الليل عنده ،

ولن تسنح له الفرصة فى أى وقت إلا حين ينهمك الناس فى العبادة والدعاء ، وبعد أسبوعين أو ثلاثة استيقظ ذات مرة فى الليلة الأخيرة فرأى الجوى قد خَلَلاً له ، ونام الناس من حوله فذهب بخطى وثيدة إلى باب الغار ، وأخذ ينظر حواليه ثم هبط إليه بسهولة بعد أن اطمئن إلى أن أحداً لن يراه .

لقد كان الذهاب إلى هذا المكان يتطلب جراءة وعزيمة أخذ الرعب يتسلل إلى قلبه حين تذكر الأنبياء العظام ، فكانت أقدامه ترتجف وقلبه يخفق ، ورغم هذا تغلب شوقه إلى زمرد على جميع تلك المخاوف القلبية التى كانت تتزايد باستمرار ، وقد شعر مراراً كأن الملائكة تمنعه وتقول لا تدنس هذا المكان المقدس بأقدامك ، لكنه تجاوز كل هذه الأفكار والخيالات ، وأخذ يتحسس يديه ورجليه الطريق فى الظلام . الحالك المطبق حتى وصل إلى الغار ، اضطرب حسين بعد هبوطه ؛ حيث كان الظلام دامساً بحيث لا يمكن لأحد أن يرى يده ؛ فلم يستطع حسين النظر إلى قبور الأنبياء ، وظل واقفاً فى هذا المكان يفكر لفترة من الوقت ثم استعد بعد أن استجمع قواه وتحسس المكان ، ثم تقدم للأمام ، وفجأة وصلت إليه أشعة الصباح ، واستقرت كالنهار المضىء فاستأنس بها لعله يصل إلى المكان الذى يريده بسهولة أكثر ، وكان له ما أراد ، فقد قلل ضوء النهار من العتمة ووقع نظره على عدد من المقابر ، وكان بينها رفات يعقوب ويوسف عليهما السلام ، وكانا فى مصر عندما ماتا وتم تحنيطهما(*) طبقاً

(*) كان المصريون يذمنون جثث ملوكهم بنوع من الزيت ويخليط معين حتى لا تتحلل أبداً ولا زالت جثثهم التى تستخرج من مقابرهما حتى الآن كما هى على حالتها ، وتوضع هذه الجثث فى متاحف باريس وإندن بعد استخراجها من مقابر مصر ويسمون هذا النوع من الجثث بالموميلاوات (المؤلف) .

لعادة المصريين القدماء ، وكان الجسدان فى تابوتين من الزجاج تبدو منهما الرهبة والجلال والرعب فى ذلك الظلام فارتعدت فرائص حسين بعدما رأى هذين الوجهين المقدسين ، ولم يجرؤ على أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام ، وظل واقفاً عدة لحظات خائفاً مشدوهاً ثم تجرأ ومضى قدماً إلى الأمام ؛ حيث جلس بين القبرين صامتا يتطلع طوال الوقت إلى وجهيهما المهيّب وقد بلغ به الخوف مبلغاً بات معه من الصعب أن يتشكل أمام عينيه صورة زمرد ، لكنه كان فى أثناء عبادة الأربعين يوماً فى جبل الجودى يحاول أن يجعل صورة الحبيبة ماثلة أمام ناظره وواضحة المعالم والقسمات ، وبعد قليل من الجهد ظهرت له صورة حبيته بين الوجهين المباركين .

الخلاصة أنه شُغل هناك بالعبادة ، ولكن لم يكن من الممكن أن يخرج فى أى وقت لينال ما يسد به رمقه مثلما كان الحال عند غار جبل الجودى ، ولما كان على دراية بهذا الأمر ربط فى رذاته قليلاً من الجبن لوقت الضرورة ، وقد أكل منها فى اليوم الأربعين وشكر الله وأكمل عبادة الأربعين يوماً هذه أيضاً بعد جهد جهيد ، وفى الليلة الواحدة والأربعين أراد أن يخرج فى صمت ويخطئ وثيدة دون أن يعلم أحد به ، وسلك الطريق إلى حلب ، وكان الناس قد استيقظوا ؛ فرآه بعضهم فأحدثوا ضجيجاً ، وهجموا عليه وأخرجوه من الغار ، ووقع أسيراً فى أيدي المجاورين الذين اتهموه بالوقاحة وسوء الأدب وكادوا أن يفتكوا به ، لكن للصدقة أو لحسن حظه أن حاكم مدينة الخليل كان قد لقي حنقه على يد أحد الفدائيين الباطنيين ، مع أن الناس كانوا يخشون من الباطنيين إلا أن الأمر الأكثر خطورة هو الانتقام الذى يعقب ذلك ، وبينما كانوا يعدون العدة للهجوم على إحدى قرى الباطنيين قامت جماعة كبيرة من الباطنيين

بالهجوم ، وإذ ذاك باغتنت مجموعة كبيرة من الباطنية الأهالى بالهجوم ، وأعملت فيهم القتل وسفك الدماء ، ومات كثير من الناس ، وفى أثناء هذا الاضطراب والهرج والمرج تحرر حسين من قيد المجاورين ورحل إلى حلب .

دخل حسين حلب فى مساء اليوم الثامن ، سأل العابرين فى الطريق السبيل إلى حى رامنه ومسجد الشماتين ، وعندما وصل هناك ألقى عصى الترحال ، وبعد أن أكل وشرب فى أول الليل أدى صلاة العشاء ثم استلقى ونام ، وبالرغم من أنه كان متعباً إلا أن الشوق لوصول زمرد كان كل شيء ؛ فلم يكد أكثر من نصف الليل ينقضى حتى فتح عينيه وظل يتقلب ذات اليمين وذات الشمال حتى الصباح فى انتظار صلاة الفجر ، واستعد بالوضوء قبل الأذان ، وجلس على الباب ، وأخذ يطالع وجوه القادمين ، وقد تراءى له أصحاب البيوت المجاورة وقد اصطدمت أقدامهم وتعثرت بسبب الشعور بالنعاس عندما انصرفوا إلى الوضوء ، وانتبه على حسين أكثر الناس لأنهم كانوا على شاكلة الشيخ الشريف على وجودى ، وهكذا لم يكن واثقاً فى كل المرات ؛ لأنه إذا توفرت بعض العلامات فى أحد القادمين لم تكن تتوافر فيه سائر العلامات الأخرى ، وفى النهاية بدأ قلبه ينقبض وأخذ يحدث نفسه فى صمت : أنا لست متأكداً من أننى سألتقى بالشيخ ، وما أن نطق بهذه العبارة حتى جاء شخص له نفس أوصاف الشيخ موقف ووضع يده على ظهره وابتسم ثم قال بلهجة مطمئنة وبلطف وعطف : أنا أعرف يا حسين أنك جئت تبحث عنى ، وعندما سمع حسين هذا خرّ على قدميه ، وبعد أن قبل أقدام الشيخ " الشريف على وجودى " بدأ يزرع الدموع عند أقدامه قائلاً : ساعدنى يا سيدى ، (أنت وحدك تستطيع أن ترشدنى إلى طريق الحق) فأنت وحدك الذى تعرف الصراط المستقيم الذى يستطيع الإنسان إذا سلكه أن يعرف الله وعالم الأرواح .

قال الشيخ: (فى جلال وحبور): ما هى عزيمتك وما مدى شجاعته حتى تستطيع فهم الرموز المختلفة لهذا اللاهوت غير الموجود(*) وأنت قطرة ضئيلة غير صافية بالنسبة لبحر الوجود ومحيط الوحدة.

حسين : لا غرو، فليس لى أى وجود، ولكن عندما تمسك بيد سباح بحر الوحدة فلا عجب فى أن أعبر هذا البحر الفياض الزاخر ، ويعد أن قال هذا بكى ، وبدأ يلثم قدم الشيخ.

تناقص جلال الشيخ بعض الشيء فأمسك بيد حسين ورفع له ثم ضمه إلى صدره وذلك صدره بصدرة بقوة شديدة عدة مرات وقال: حسناً اتبعنى ، وسأختبر صبرك وتحملك، وعندما أدرك مبلغ صدق طلبك سأضمك عندها إلى حلقة أتباعى.

وبعد أن سمع حسين هذا الكلام رفع رأسه شاكرًا وقبّل يد الشيخ وذهب معه وشاركه الصلاة وبعد الصلاة ، اصططحه الشيخ على وجودى معه إلى الخانقاه الخاصة به، وكانت على مسافة قصيرة من المدينة فى مكان، تعجب حسين بعد أن راودته هذه الفكرة وهى أنه ليس لمسجد السماتين ميزة حتى يذهب الشيخ إلى هناك لأداء صلاة الفجر، ولكى يستفسر عن هذا السر سأله بأدب هل حضرتكم تأتون كل يوم للصلاة فى هذا المسجد؟

(*) يعتقد أصحاب الفرقة الباطنية أن نسب أى صفة إلى الله يعد كفرًا بالله، أما الصفات المذكورة فى القرآن فى الظاهر فهى الصفات التى منحها الله للمخلوقات فهى من هذه الناحية هى الصفات التى منحها الله للمخلوق يُقال لله نور فهو منور وبصير فهو مُبصر، الله يمنح النظر .. وهكذا يقال الموجود : فالمقصود منه الواجد ثم ينقون هذه الصفات بعد نسبتها إليه : أى يقولون موجود وغير موجود (المؤلف).

الشيخ : (بلا اهتمام) لا . . ذهبت إليه اليوم فقط .

حسين : ربما ذهبتكم إلى هناك مصادفة لأمر ما؟

الشيخ : (بقليل من الغضب) ولا تتجسسوا ؛ لا يجب البحث عن المعنى الخفى لتلك الرموز، فلو توفر الشوق الصادق لا نكشف الأسرار من تلقاء نفسها فى وقت ما، والآن وقد خرج من فيك السؤال فسأخبرك، اسمع، إن الناس الذين تنعكس على قلوبهم أنوار الله السرمدية والأزلية، ينكشف عن أعينهم ستار الحجب ، و يلقى نور الأنوار بأشعته لتصل أشعة عيونهم إلى هناك أيضًا ، فجسمى المادى كان فى تلك الخانقاه، لكن الأشعة القوية الحادة لتلك العينين كانت فى جانب عند جبل البرر عندما كنت تبكى محتضنا قبر زمرد ، وفى غار إبراهيم فى جبل الجودى حينما كانت أمامك صورة زمرد فيما كنت تبحث عنى فى قلبك ، كانت سهام تلك الأشعة فى الغار (الجب) ، وحين كنت ترى وجه زمرد بين وجهى سيدنا يعقوب ويوسف عليهما السلام رأيتك بلا حول ولا قوة ، ولما كنت أسيراً فى أيدي مجاورى مدينة الخليل أرسلت أصدقائى لكى يساعدوك ؛ حيث أغاروا على أهل المدينة فسنتحت لك الفرصة للمجىء إلى هنا .

حينما كان الشيخ يتحدث كانت عيناه تلمع فى حدة لم يستطيع حسين أن يتحملها فوضع رأسه على قدمى الشيخ ، وبدأ يقول فى حماس المجذوب : أنت تعرف كل شيء، لا يخفى عليك أى سر، وتعلم كذلك ما أمل وأتمنى .

فقال الشيخ (فى حماس وحمية) أعرف كل شيء ، إلا أنه لم يحن الوقت بعد لإظهاره، فظهور هذه الرغبة على لسانك مرهون بوقت خاص

وحالة خاصة ، ولابد أن تكون فى حالة صمت الآن. أصيب حسين بالرعب بعد أن سمع هذا الأمر وبدأت فرائضه ترتعد بعد أن سقط على الأرض، وبعد فترة قصيرة أخذ الشيخ بيده، ومسح بيده المباركة على صدره وعينه مواسياً ثم قال: "يا حسين ستظل فى صحتى وتسكن الخانقاه الخاصة بى ، وسوف تصل سريعاً إلى هدفك بقدر ما تأخذ منى وتمثل لأوامرى التى هى فى الأصل أوامر إلهية ، وذلك بنشاط وهمة وىلا عذر، لكن عليك أن تعلم جيداً أن نَفْسك وقلبك غير مؤهلين الآن للتنوعات الربانية والتحولات الطبيعية ، ويمكنك فهم الأسباب و العلل إذا ما تمثلت دائماً قصة موسى والخضر ، وتأكد أن لكل ظاهر باطنا والنتائج دائماً تكمن فى الباطن، وأن أهل الظاهر لا يستطيعون فهم رموز القدرة، والروح تنال العقاب والجزاء وهو ما يظل يتصرف فى الباطن ، ويكون دائماً داخل القلب وحاكما على الإرادة ، وستجد هذه الأعضاء و الجوارح الظاهرية فى هذا الجوهر وستظل فيه دائماً ، ولهذا فإن حركاتها ليس لها أى اعتبار ؛ فالقاضى والمفتى كلاهما جاهل وناء عن نور الأنوار الإلهية ، ويصدران أوامرهما فى ضوء الحركات والأفعال الظاهرية، فالألوهية فى قصة موسى والخضر لم تؤيد موسى فى حب الظاهر بل قضت لرأى الخضر الذى كان يفهم الرموز الباطنية والإرادة الصمدانية ، وهكذا فانظر إلى سيدنا إبراهيم عندما جعل زوجته أختاً له اضطرب أهل الظاهر كثيراً ؛ لأن عصمة الرسول قد اعتراها الخلل والنقص ، إلا أن هذا الشيء يدل على جهالتهم ؛ لأن الله ينظر إلى ما كان فى قلب إبراهيم.

الخلاصة يا حسين عليك أن تدرك جيداً أن لكل ظاهر باطنا ، وأن الله نصير للباطن ، ويجب عليك طاعة الشيخ والمرشد طاعة عمياء مثل امتثال موسى لرغبة الخضر.

حسين : (بعد أن وضع يده على صدره) لاشك أننى سأمتثل مثله ،
ولكن هل يجب ارتكاب المعاصى والأعمال الخارقة بلا فهم .

الشيخ : (فى غاية الجلال وبعد أن احمرت عيناه) أتظن أن المرشد
سيأمرك بعمل كبير عظيم؟

حسين : (وهو خائف) لكن من الممكن أن يبدو هذا الفعل للمريد
والمعتقد ذنبًا .

الشيخ : نعم ، ممكن ، لكن باطنه ليس ذنبًا ، والنتائج تكون مترتبة
على الباطن فقط .

حسين : لكن ذلك الباطن يكون فى قلب الفاعل والمرتكب ، فأنا
أرتكب فعلاً ستكون نتائجه مترتبة على هذه النية ؛ فالذى فى قلبى إذا
عرفت أن جانبه الباطنى سيئ فستكون نيتى سيئة كذلك ، وعندما تكون
نيتى سيئة فيجب أن تكون النتيجة مطابقة لهذه النية .

الشيخ : (بعد أن ثار وهاج واحمرت عيناه) فهل فى رأيك يمكن أن
تشك فى نية الشيخ؟ وقبل هذا إنكار التسليم بالسر اللاهوتى؟

حسين : (بعد أن خر على قدم الشيخ): مطلقًا ، ولكن حديثى
هذا 'ليطمئن قلبى' (*) لن يأتى الله بذلك اليوم الذى أشك فيه فى نية
الشيخ .

(*) إشارة إلى الآية الكريمة فى قوله تعالى : (أولم تؤمن؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن
قلبي) .

بعد أن سمع الشيخ هذا الجواب رفع حسين وضمه إلى صدره ومسح بيد الرحمة على ظهره وقال: اسمع، لاشك أن الظنون ستأتى إلى قلبك، ولكن عندما تمضى قدمًا على طريق الباطن ستدرك أن قيمة المريد لا تزيد عن كونه آلة بلا روح، واعلم أن المريد مثل سيف فى يد الشيخ، ويمكنك أن تفهم أن السيف إذا انهال سيطح برأس من يشاء، إلا أن المدح أو الذم لا يمكن أن ينسب إلى السيف، بل إن هذه الأشياء تنسب إلى من أمسك بالسيف، وتأكد أنه ربما زال شكك الآن وبدأت تدرك أن أفعال المريد تتعلق بالجانب الباطنى لنية الشيخ لا إلى إرادة المريد نفسه، وسوف يصقل فكره بعد طى (مدارج) الإرادة الإنسانية بعدما يبدى الطاعة والهمة، وعندئذ سيصل إلى درجة القرب، وتكون نيته حينذاك جديرة بالاعتبار، لكنه مادام يطوى درجات الإرادة فإن نواياه وإرادته ليس لها أى اعتبار، وحتى ذلك الوقت يكون الشيخ والمرشد مسئولاً عن عمله.

حسين (بعد أن قبل يد الشيخ بحماس وحمية): صحيح ولا شك فى ذلك، لقد رُفِعَ حجاب الحقيقة عن عيني، ولن أبدى عنراً فى تنفيذ أى أمر.

الشيخ: يا حسين إن المريد ألقى على عاتقه مسئولية حساسة، فهل هناك أكثر من هذا كبحاً لجماع النفس بحيث يتفصل الإنسان كلية عن أفعاله بعقله وقلبه، ولكنك لو أمعنت النظر ستعلم أن هذه الأحكام الإلهية مطابقة تماماً لسرعة العصر، فالأعمال التى نفذها الخضر التى استبعد فيها موسى - كان جانبها الباطنى فى قلب الخضر فقط، وكانت فى رأى موسى معاصى حقيقية، لكن لا نستطيع القول إن موسى أذنب وشارك فى مثل هذه الكبائر، فلماذا كان هذا فقط؟ لأنه فى العالم الباطنى كان الخضر المرشد وموسى المريد.

فالطبيب يصف الدواء الشديد المرارة بل والسام فى الظاهر ؛
والمرضى ، مع أنه يجهل فوائده ، إلا أنه يتناوله بلا تفكير وتكون النتيجة
واحدة فهو يفهم ما فى نية الطبيب ؛ والام والأب مثلاً يضربان ولدهما
على عمل ما، والولد يعمل هذا العمل ويعتبره من قلبه عملاً طيباً، لكن
الأم والأب يضربانه على أساس أنه مضر طبقاً لرأيهما ، وتكون نتيجة هذا
العمل طيبة عند كل واحد منهما .

كانت هذه الخطبة مؤثرة للدرجة أن حسيّاً لم يستطع أن يتحمل
سماع أكثر من هذا ثم انتابته حالة شديدة من فقدان الوعي، وصاح
قائلاً: " لا شك أن ما تقوله صواب ؛ فقد اطمئن قلبى ولن أعصى لك
أمرًا " .

لقد جعل علم الغيب وهذه الخطبة المدعمة بالدلائل حُسيناً مفتوناً
بالشيخ على وجودى ؛ فلم يعد هناك أى شىء فى الوجود فى نظره إلا
الشيخ، فدوى صوت الشيخ فى أذنيه فى كل وقت ، ولم تحول صورة
الشيخ من أمام عينيه فى أى لحظة، وكان قلبه ينتظر أوامر الشيخ فى كل
لحظة ، ولم تعد أيضاً صورة زمرد ماثلة أمامه الآن بشكل منتظم، فكان
أحياناً يتجه بخياله نحو زمرد عندما يتمدد فى حجرة الخانقاه ويقول :
" حبيبتى زمرد إلى أين أرسلتيني لقد بدأت أنساك " .

الخلاصة أن حسيّاً نال درجة الفناء التام فى الشيخ تماماً ، وقضى
أحد عشر شهراً فى خدمته بحب وإخلاص ، وفى تلك الأثناء غاب
الشيخ ذات مرة لثلاثة أشهر حين سافر سرّاً إلى كان ما، وقد ظل حسين
أثناء غياب الشيخ فى تلك الخانقاه ، ولكن فى هذه الفترة عرف مريدى
الشيخ ، وعرف منهم مدى انتشارهم فى البلاد ؛ لأن العادة جرت على

أن يأتي هؤلاء لزيارة الشيخ مرة كل سنة بعد أن يسافروا مسافات طويلة ، فيعودون بعد أن يستمعوا إلى الأحكام الجديدة العجيبة والغريبة التي ينصاعون لها على الفور ، فمن ناحية يأتي مريدو خراسان ومكران وسيستان وفارس ورودبار وأذربيجان والعراق العربي والعجمي ، ومن ناحية أخرى يأتي مريدو عمان وحضر موت والحجاز واليمن وزنجبار ومصر وطرابلس الغرب والجزيرة وجميع بلاد أفريقيا وآسيا الصغرى ، ويأتي هؤلاء الناس بملبس وأزياء مختلفة ، يلتقون بالشيخ في معظم الليالي خفية ثم يرحلون قبل انبلاج الصبح ، وكان حسين ينظر إلى هذا الأمر باحترام وتقدير بالغ ؛ فقد كان مريدو الشيخ والمغتربون من فضله منتشرين في جميع أنحاء العالم يعيشون في الظاهر حياة البساطة وتكران الذات مع مالههم من سطوة وتأثير بالغين ، وذات ليلة اجتمع حول الشيخ نحو عشرة مريدين ، وانتحى حسين ركنًا بأدب جم ، وانفتح أكبر فيض للرموز الحكمية والروحانية على لسان الشيخ ، وقد حضر شخص من مصر قال بأدب في لهجة يشوبها الشك : "لم أستوعب هذا فكيف يستمتع الإنسان بمتعة الجنة بعدما يترك هذا الجسد الترابي؟ قال الشيخ مجيباً بقدر من الغضب "تماماً مثلما تتمتع بهذا الجسم في الدنيا" .

فقال كيف هذا واللذة والألم من متعلقات الجسم فقط؟

قال الشيخ : (بعد أن نحس قليلاً) مع أن الروح بلا جسد ، لكنها تمضي كأنها في الجسد .

قال الشخص : وكيف يمكن هذا؟ فما دامت المادة ليس لها كثافة ؛ فهل يمكن أن يكون له حيز؟

بعد أن سمع الشيخ هذا الكلام خف غضبه وطلب حسين وقربه منه وقال: "عندما كنت في غيابة جُبُ مدينة الخليل وغار الجودي وشعاب وادي جبل البرز هل كنت تدرك وجودي هناك في ذلك الوقت معرفتي بكل أحوالك؟

حسين : (بعد أن وضع يده على صدره) بلاشك، رغم أن عيني العاجزين لا ترى إلا أن جلوة حضرة الشيخ موجودة بالضرورة وإلا لم يكن من الممكن أن تطلع على تلك الرموز هناك ، وبعد أن سمع الشيخ هذا الكلام اعتراه قليل من الفخر والاعتزاز ، وأخذ يجول بنظره بين الناس، وركز نظراته الحادة من بينهم جميعاً على وجه ذلك الشخص الذي كان يشك فيه ؛ لأن قلبه لم يطمئن إليه حتى الآن. وعندما رأى الشيخ على وجودي على هذه الحالة من السخط والتبرم أخذ يداهنه ، وقال بصورة مباشرة : لاشك أن حضرتك ستكون موجوداً هناك وسترى حسين في كل أحواله، لكن روحك كانت حاضرة ولم يكن جسدك متشكلاً، ولو كان الأمر كذلك لرأى حسين بعينه أيضاً جمالك النوراني.

بعد أن سمع الشيخ هذا الحديث لم يقر له قرار وتحمس وهب واقفاً وتضاعف بريق عينيه ورق قلبه واغرورقت عيناه ونظر إلى ذلك الشخص وقال: هذا الجسد الكثيف جد مستمر، فلم يرد أن يفهم، ولم يحاول فهم شهود نور الأنوار مع وجودها ، كما لم يدرك أحد سر خلق الدنيا؟

ولماذا تبقى هذه الروح رهينة هذا القفص الترابي لفترة من الزمن؟ فلتسمع منى هذا السر أنا الذي جئت حالاً بعد أن تحولت للحظة واحدة في عالم اللاهوت ، واطلعت على تلك الرموز المكتوبة منذ الأزل على أطراف العرش الأعلى أو النور اللاهوتي، ففي النشأة لم تكن في الروح

المجردة قبل الحلول فى الجسد هذه الصلاحية وهذا الاستعداد ؛ أى لم تكن لتتمتع بالفرح والسرور المادى ؛ فقد كانت فى ذلك الوقت روحاً مجردة، غافلة تماماً عن كيفية الاستفادة من المتع والم لذات ، وقد وضعت فى هذا الجسد الترابى فقط لتتعلم هذا الأمر لفترة زمنية محدودة وهى الفترة التى تطلقون عليها اسم الحياة، ولحصول أرواحنا على درجة الكمال فقط ، فإن الروح اللطيفة تنشئ روابط وعلاقات مع هذه المادة، وعلى هذا تنشأ معرفة بكل أنواع اللذات ويكل صنوف الآلام، وبعد الانفصال عنها، عندما تريد أن تتشكل وتتحيز يكتنفا أن تتأثر باللذة والألم، وعلى نفس النسق يمكن لأى شخص أن يخطى بهذه القوة وهذا الاستعداد بعد طى المدارج الروحانية ، وفى حالة بقاءه فى جسده فإنه يغيب عن نفسه أو عن شكل الروح المجردة غير المتشكلة وغير المتحيزة ، وهكذا فإن الروح الإنسانية عموماً تتعبد عبادة الأربعين ليلة بعد أن تحبس فى حجرة هذا الجسم الترابى وبعد مغادرتها إياه عندما تريد أن تظهر بنفسها فى شكل أو جسم ، وحين تصل إلى هذه الدرجة من الكمال تكون ظاهرة وواضحة فى الشكل الذى تختاره ، ولعلك سمعت عن كثير من الصوفية العظام والشهداء ؛ حيث كانت أجسادهم فى زوايا القبر بينما الروح ظاهرة أمام أنظار معظم الناس فى شكلها أو فى شكل آخر. وهذه مجرد روح قد جاءت بدون جسم لتحصل على هذا الكمال والمقصود منها جبريل ، والذى يظهر فى هيئة كلب أو فى أشكال أخرى أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه ليس هناك أحد فى هذا العالم عارف بسره سوى ؛ أى كيف حصل جبريل على هذا الكمال الروحى ؛ ففى حديثه قال اسمع (لتعلم) أن ولادة المسيح ترتبط بهذا الرمز. لقد كان جبريل هو الذى حل فى جسد مريم الصديقة، وبعدها تشكلت صورة المسيح عليه السلام ثم

بلغ ذروة كماله الروحي في فترة زمنية وجيزة وقد انخدع المسيحيون بأنه كان الله ، لكنه لم يكن سوى روح فقط كانت من جسم موجود فيه روح أخرى، وقد صعد إلى السماء بعد أن اكتسب المواهب الجسمانية، لقد كانت روح المسيح روحاً أخرى كانت في جسمه ، لكن إلى جانب هذا فإن روح جبريل الآن قد حلت في صورته ، وقد ظلت عدة أيام ثم اختفت بعد أن ظهرت عظمة الألوهية في جسم المسيح ، فما كان إحياء الموتى من عمل المسيح ، بل كانت مجرد نتيجة مسلمة وعلامات للقوة الملائكية ، وقد تمت تجربتها للناس كذلك في عهد موسى^(*) عليه السلام ، لكن الذين لم يعطهم الله عيناً بصيرة لا يمكن أن يفهموا ذلك حتى اليوم، وإنما يضطربون بمجرد ذكر معجزة المسيح ، وهكذا يمكن أن تكون مهارة التشكل والتحيز، هي الهدف الذي يأتي كل روح إلى الدنيا لبلوغه ، ومن هنا فإنها تنال الشواب والعقاب على سلوكها بعد الرحيل فتكون في الجنة أو في النار طبقاً لكمالها.

فأنت جاهل بمواهبى وقدراتى، أنا ذلك الشخص الذى هو أنا بنفسى لا كل شخص أستطيع أن أصل إلى الملأ الأعلى وأرى كل شىء هناك ، بمواهبى وقدراتى أستدعى أشكال الجنة الروحانية أمام هذا الجسم الترابى .

وبمجرد أن قال الشيخ هذا الكلام بكى حسين وانتحب وأخذ يتضرع أمام الشيخ ثم خر على قدميه ، وقال يا سيدى أنا لا أشك فى أى مسألة ،

(*) يذكر بعض المفسرين أن سيدنا موسى عندما دخل بحر القلزم أراد فرعون التقدم ليعقبه ، إلا أن فرسه لم يتقدم ، وقد ظهر في ذلك الوقت جبريل ممتطياً صهوة جواد ، وأخذ يتقدم بينما بدأ فرس فرعون يهوى معه إلى قعر البحر، وكان السامري يرفع الطين تحت سنايك جواد جبريل، وبإلقاء هذا الطين بدأ القول بالعجل الذى عبده بنى إسرائيل (المؤلف).

ولكننى أتمنى أن أدخل اللجنة وقد حان الوقت لكى أعلن عن رغبتى لك وأنا متأكد أننى لن أظل محروماً.

ظل حسين فترة من الوقت ساجداً عند أقدام الشيخ ، إلا أن الشيخ كان قد امتلأ بحماس جعله يقف صامتاً لعدة ساعات، ثم رفعه وأجلسه وقال: يا حسين ، لقد أفدت إفادة كبيرة من حماسى فى ذلك الوقت ، حسناً ، الآن جاء وقت التأمل وغداً الخلوّة ثم الالتماس والطلب، لا شك أن الوقت قد حان لكى تمنى ثمار هذه المعاناة وتلك المكابدة وقد بقى أمامك الآن امتحان، وهو امتحان صعب، لأرى إلى أى مدى تسلم يدك بنفسك إلى المرشد، ولتعلم أن التأمل يكون بقدر امثالك لأمر مرشدك، ولعلك تتأخر فى الحصول على مرادك بهذا القدر.

انصرف المريدون جميعاً بعد أن استأذنوا من الشيخ، وانصرف حسين كذلك، وتمدد على فراشه ، لكنه قضى ليلته فى غاية القلق وضاعف الانتظار من نار الشوق ، وفى الصباح وبعد صلاة الفجر كان الشيخ على وجودى قد جلس بعد أن فرغ من أوراد الصباح فخرّ حسين على قدميه وصاح: الآن ليس لى مقدرة أكبر على الصبر، وأنت نفسك عليم بكل الأحوال ، ولست بحاجة إلى الإفصاح عنها، لكن بالله عليك أرجو أن تقابلنى بزمرد سريعاً.

الشيخ : حسناً سوف تلتقى بزمرد ، ولعلك تنجح فى وصلها ، ولكن عليك أن تستعد لذلك استعداداً جيداً.

حسين : مستعد بالقلب والروح.

الشيخ : انظر، ولا تفكر .

حسين : مطلقاً .

الشيخ : ولا ينشأ في قلبك شك أو فساد عقيدة .

حسين : لا ، قط .

الشيخ : هذا عمل من قبيل الجرأة والشجاعة .

حسين : سأجود بالروح .

الشيخ : وفيه مخاطر أيضاً .

حسين : حسناً ، فليكن .

الشيخ : فلتسمع .

حسين : سمعاً وطاعة .

الشيخ : ليس الآن ، ولتقوى قلبك .

حسين : قلبي قوى جداً .

الشيخ : إنني أعلم أنك قرأت الكتب الدراسية على الإمام لمجم الدين النيسابوري ، وأنت من مريديه أيضاً .

حسين : (في دهشة) لاشك ، لقد شاركت في حلقاته لمدة خمس سنوات كاملة .

الشيخ : ما مدى احترامه وتقديره في قلبك؟

حسين : اعتبره - بعدك - أكبر عالم وأعظم متصوف وأرهد الناس
وأكثرهم تقوى من بين العالمين كلهم .

الشيخ : حسنًا ، فلتذهب ولتشتترك في مجلسه ، وعندما تسنح
الفرصة اقلته .

وما أن نطق الشيخ بهذه العبارة حتى أطلق حسين صيحة وغاب عن
وعيه .

الباب الثالث

السفر إلى الملاء الأعلى

كان الإمام نجم الدين النيسابورى من كبار أئمة ذلك العصر ، اشتهر فى زمانه بالعلم والكرم والتقى والورع ، ولا يوجد مكان إلا وله فيه تلميذ تكون له إمامة إحدى جماعات المسلمين الكبرى ، ولم يكن أستاذ حسين ومرشده فحسب بل كان عمه أيضاً ، وكان موطنه الأصلى مدينة آمل ، إلا أنه خرج من بيته فى صغره شوقاً لطلب العلم ، ووصل إلى بغداد بعد أن شارك فى مجالس العلم الكبرى فى العالم ، وظل يتلقى العلم فى المدرسة النظامية لفترة طويلة ثم انصرف إلى طلب العلم فى البلاد الشرقية ؛ حيث اشترك فى المجالس العلمية فى بخارا وهراة ، وبعد أن اغترف من فيض مجالس العلماء هناك عاد إلى نيسابور ، واستوطن بها ، وكانت نيسابور فى تلك الأيام من أكبر مراكز العلم والمعرفة ومعقلاً لاقطاب التصوف المعروفين ؛ أما حسين فقد كان طيب النفس قريباً من الله ؛ لذا تملكته الحيرة والدهشة والاضطراب بعد سماع الأوامر بالقتل ، وسقط مغشياً عليه .

لم يحاول الشيخ على وجودى أن يعيد حسين إلى وعيه، بل تركه هكذا ملقى على الأرض، وظل منتظراً فترة من الوقت حتى يسترد حسين وعيه من تلقاء نفسه، ويعدده بأن ينفذ ما أمر به، ولكن عندما تأخر به الوقت فى استرداد وعيه تركه الشيخ وانصرف إلى حجرة أخرى، وفى غضبون ساعتين عاد لحسين وعيه فتذكر أمر الشيخ الواجب التنفيذ، لكن حالته كانت أقرب إلى الغوص فى بحر الغفلة، لكنه تماسك ونهض وأخذ ينظر فى كل صوب وحذب، وكان الشيخ على وجودى غائباً، وكان وحيداً فأنفذ يفكر فى الأمور السابقة ووقع فى حيرة: ربما أخطأت فى فهم قصد الشيخ لاشك أنه يبدو كذلك؛ فمثل ذلك الشيخ الطيب النفس المدرك للحقيقة ربما لا يأمر بهذا النوع من الظلم والإجحاف الشديد؟ أيكلفنى بالقتل العمد؟ وقتل من؟ الشيخ نجم الدين النيسابورى، وليس على وجه الأرض فى ذلك الوقت من هو أعلم منه، فمن المؤكد أننى سمعت خطأ، ولكن فلنفرض أن الشيخ أمر بهذا فما عسائ أن أفعل فهل أقتل إمامى ومرشدى وعمى الورع؟ (بعد أن اختلج قلبه) يبدو أن هذا أمر صعب جداً! ماذا ستقول الدنيا؟ أما فى القرآن فقد ورد قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) إننى لن أجنى من تنفيذ هذا الحكم إلا الحزى والعصيان فى الدارين، ولا يبدو منه أى فائدة إلا "خسران الدنيا والآخرة" ولا شئ آخر، لكن الشيخ كان قد قال إن لكل ظاهر باطناً فمن الضروري أن تكون فيه فائدة تذكر، فهو فى الحقيقة يعرف رموز القدرة (الإلهية)، أنا لا أستطيع المقارنة بين الإمام نجم الدين والشيخ على وجودى، ولا أتخيل أن تكون نية الشيخ على وجودى سيئة، فأى عجب فى هذا لو أمر بارتكاب عمل مكروه فى الظاهر من أجل مصلحة روحانية، فإذا كان هذا هو الحكم فى الواقع فلا يجب على التفكير فيه،

فهذا الامتحان الأول لى فلو اعتذرت إليه عذراً طفيفاً ساكون آثماً ، وسوف ظل محروماً من وصال ومرد ، ومن البديهي أن تكون هناك فائدة دينية من تنفيذ هذا الحكم ؛ لأن أمر الشيخ واجب النفاذ، وتبقى سوء السمعة الدنيوى ، ولن يكون لها وجود بعد ذلك ، وحتى لو بقى أى قدر منها إلا أن مكاسب جمّة ستعوّض ذلك حيث سيكون من نصيبى فى هذه الدنيا وصل حبيبتى ومرد.

بعد أن اختمرت هذه الفكرة فى قلب حسين خرج من الحجرة وأخذ يبحث هنا وهناك حتى وصل إلى الحجرة التى كان فيها الشيخ على وجودى ، ونظر إلى وجهه ووضع رأسه عند قدميه وصاح قائلاً: أنا لا أتذكر الحكم فأخبرنى به سريعاً حتى أذهب لتنفيذه.

الشيخ : انظر... لا تفكر الآن، فأنا أعتقد أن قلبك قد اعتراه سوء الظن ، وأنت قد أضعت كل جهدك هباءً، وعليك أن تتذكر جيداً أن لكل ظاهر باطنا.

حسين : أتذكر جيداً ، ولا أفكر فى ذلك ولو للحظة.

الشيخ : إذن فاذهب واقتل الإمام نجم الدين النيسابورى.

حسين : (بعد أن قوى قلبه) حسناً ، لكن ماذا لو ذهبت لقتله؟

الشيخ : لا بأس فى ذلك فسوف تلتقى بزمرد بلا صعوبة، لكنى أعلم أنه ربما لا يكون الأمر كذلك.

حسين : أتأذن لى.

الشيخ : قُم (بعد أن أخرج خنجرًا حادًا) خذ هذا الخنجر واخفه معك واستخدمه فى الوقت الذى تسنح فيه الفرصة لذلك.

إنه تخويل من المرشد، وهكذا أخذ حسين الخنجر واتخذ طريقه نحو المشرق ليقضى على أستاذه، ووصل إلى بغداد بعد شهر ونصف ، وسار من هناك إلى أصفهان ومنها وصل إلى نيسابور بعد شهر ونصف ، وحضر إلى مجلس درس الإمام نجم الدين وكان قد خرج من حلب منذ أربعة أشهر، وقد عرفه الإمام المذكور فعانقه وعامله بشفقة ولطف ، وكان قد علم من المراسلات المحلية أن حسين قد رحل بفضيحة بعد أن اصطحب معه بنتاً شريفة ، وبعد أن تذكر هذه الواقعة تأسف وقال: يا حسين لم أكن أظن أنك تتتهك المحارم بعد تحصيلك للعلم بشوق وشغف.

حسين : يا عمى أنا لم آخذها بنية سيئة ؛ فقد كنت أعزم العقد على زمرد ، وكانت هى فى غاية الشوق للحج، وكرهت منعها بسبب علمى بالدين ؛ فاصطحبها معى بلا تفكير ورحلت.

الإمام: وأين هى الآن؟

حسين : قُتلت على يد الحواريات فى شعاب جبال طالقان.

الإمام : (بعد أن ابتسم) ما الفائدة من اختلاق القصة الباطلة التى لا أساس لها ؟ لن أقنع بهذا الكلام.

حسين : أنا لاأخترق هذه القصة ، وتستطيع أن تدرك أنه ليس فى وصفى أى افتعال.

الإمام : حسناً ، لآى غرض جئت هنا الآن؟

حسين : للمشاركة فى حلقة درسك ، وقد أردت أن أترك العلائق الدنيوية حزناً على زمرد ، وأرغب فى أن أكرس بقية حياتى فى تحصيل العلم.

الإمام : لو كان الأمر كذلك ، فالله يبارك رغبتك ويوفقك ،
ولتخلفني من بعدى على حلقة الدرس هذه .

والخلاصة أن حسيناً انضم إلى المغتربين من فيض علم الإمام نجم الدين النيسابوري ، ولأنه كان ابن أخيه ؛ لذا زادت مكانته في قلب الشيخ يوماً بعد يوم ، لكن حسيناً كان يبحث عن الفرصة المناسبة لتنفيذ الأمر ؛ لأن الإمام كان يظل معظم الأوقات في جمع من طلبته ومريديه ، وقد انقضى على هذا ثلاثة أشهر دون أن يجد الفرصة لإخراج الخنجر ، وكان قد مر من الشهر الرابع بضعة أيام عندما أصابه الحمى الإمام فتوقف عن الدرس والتدريس لعدة أيام متصلة ، وقد تفرق أكثر الطلبة هنا وهناك في زمان هذه العطلة ، إلا أن حسين قد أبدى سعادة وحماساً رائداً في تمرير الشيخ ، وظل ليلاً ونهاراً مشغولاً برعايته بأداء هذه الخدمة .

ولما كان اليوم السادس من أيام الحمى التي نزلت بالإمام ، كان الشيخ وحيداً في حجرته ، وفي إحدى الليالي مصادفة كان معه حسين ، وكان قد انقضى هزيع كبير من الليل والإمام عمده على فراشه يتحدث إليه بصوت واهن ، وكان حسين اليوم أكثر صمتاً خلافاً للعادة بينما كان من المفروض أن تكون أحاديثه مفعمة بالدموية لكن عدا هذا لم يخرج من لسانه أى لفظ آخر ، وقد تعجب الإمام لهذا عدة مرات بل وسأله (ذات مرة) قائلاً: لماذا أنت صامت اليوم؟ لكن حسيناً راوغ وقال "هكذا" ، وظل حسين ساكناً ثم خرج وأخذ يستطلع النجوم ليرى كم انقضى من الليل ، وحين انتصف واطمئن حسين إلى أن أحداً لن يأتي حتى الصباح تأكد تماماً من هذا الأمر فأحكم غلق باب الغرفة وذهب عند الإمام الشيخ فرأى أن عينه مغمضة فظل واقفاً لفترة من الوقت ينظر في وجهه ، وكان

قد استبد به الغضب فأخذ يعد العدة للهجوم على أستاذه ومعلمه. لم تكن له دراية على الإطلاق بمثل هذه الأعمال الدموية وضغط على قلبه يريد أن يغريه بارتكاب هذا العمل ، لكن الأفكار كانت تتصارع بداخله حتى فترت همته مرارا وكانت الأقوال الوهمية تتراءى له فى كل جوانب الحجرة حتى تملكه الرعب والفرع ، وبدا كأن ملائكة أو أى نوع آخر من المخلوقات الغيبية تحرس الإمام، وكانت عيون الإمام التوراتين تشفع له أحيانا وتبدو مفرعة مهيبة تُرعب حسينا أحيانا أخرى ، ولكنه سيطر على كل هذه الأفكار جميعا ، وبعد أن أخرج الخنجر الذى أعطاه له الشيخ على وجودى نظر إلى نصله ، وتشجع فجأة وجثم على صدر الإمام وانتبه الإمام وفتح عينيه وصاح ، لكن حسينا وضع يده اليسرى على فمه بينما نفذ الخنجر فى قلبه.

وقاضت روح الإمام فى لحظات، وسالت الدماء فى أرجاء الحجرة ، وبينما كانت الجثة بلا روح ملوثة بالدماء ملفوفة فى الملابس وملقاة على القرائش ، وكأن الأمر تم فى بساطة شديدة ، ومع هذا فقد ارتعد قلب حسين بشدة فظل مضطربا ينظر فى خوف ورعب إلى جثة الشهيد المظلوم ، وفى النهاية ترك الغرفة على حالها وهو مشدوه من المنظر المخيف وألقى نظرة أخيرة على الحجرة ثم فتح الباب وخرج، وأغلق باب الحجرة من الخارج وخطا خطوات صامته ثم مضى بعيدا ربما لم يستغرق وقتا لكى يبتعد عن خانقاة المدينة وكان يحيط بنيسابور سور قوى محكم تغلق بوابته فى الليل ، ولهذا كان الخروج من المدينة فى ذلك الوقت مستحيلا ، كنه خاطر بنفسه وخرج فى الظلام الحالك، واتجه نحو الباب وهرب بسرعة ليبتعد عن المدينة قبل أن يدركه الصباح فلا يقوى عليه أحد.

وفى اليوم الثانى حين كان يمضى بسرعة كأنه يطير يقطع الصحراء ويشق الفضاء الغربى لخراسان، كان ضميره يؤنبه قليلاً وتذكر ذنبه وظلمه الذى كان يطل عليه من كل جانب، فيحاول أن يبعد باستمرار عن نفسه فكرة الذنب، وكانت هذه الجملة تتردد على لسانه بأهـة "أنا مذنب كبير" ؛ وظل قلبه يلعنه، وظل إيمانه يوبخه، فكان صدى صوت اللعنة واللوم يتردد فى أذنه، وكان كلما انتبه قال "الشيخ على وجودى هو المسئول عن هذا الفعل، لكنه كان يقول فى نفسه لقد قضيت على الإمام بيدى وأخذه بقسوة قلبى ؛ فكيف تقع المسئولية على شخص آخر، وأوقع ذلك الشك فى قلبه فساوره الشك فى مبادئ الشيخ أيضا، ورأى أن مكانة المريد فى يد المرشد هى مجرد آلة غير مسئولة، هى بلا روح وبدأ يقول : "لو أن مسألة علماء الدين هذه صحيحة وهو أن الثواب والعقاب اسمان لتلك اللذة والألم، وهى من نتائج أعمالهم، وتنشأ بنفسها من لوم القلب ومن الضمير الإنسانى فلا يمكن أن يكون عمل إنسان مسئولة إنسان آخر، افترض أننى قمت بعمل ما وهو طيب (جيد) فى رأى أى ناصح أو مشير لكنه فى رأى سبئى يستحق اللوم فسوف يلعننى قلبى على ارتكابه بالضرورة، وعندما عبّر عن ألم تلك اللعنة بالعذاب فى إصلاح الشرع فلاشك أننى لن أنجو من العذاب ومن جهنم، والخلاصة هى أن قلب حسين حدثه بهذا ؛ فأخذ يندم ويتأسف على ما فعل وقد ابتلى بمشكلة دينية شائكة، ومع هذا فقد ظلت مكانة الشيخ على وجودى عالية فى قلبه وقد رأى العديد من كرامات الشيخ على ولا يمكن أن يسئ الظن بها بل إنه يخاف فى بعض الأحيان ؛ لأن الشيخ يعرف الغيب من أحوال قلوب الآخرين، وسوف يغضب لو عرف شكوكى هذه، وسأرحل من هنا ومن هناك كذلك ؛ فبعد ارتكاب مثل ذلك الجرم العظيم أظل محروما من وصل زمرد وعندئذ ستملكنى الحسرة.

اعتمل هذا النوع من الأفكار والتصورات فى قلب حسين فأغرقه فى بحر الندم وتحسر على ما اقترفه من ذنب ودخل مدينة حلب وذهب أمام الشيخ وخر على أقدامه حتى رفعه وضمه إلى صدره ، وقال له فى حماس زائد : يا حسين لقد نجحت فى امتحانك نجاحا منقطع النظير ورمرد الآن فى شوق إليك يفوق شوقك إليها ؛ إن نور الأنوار للأنوار الأزلية انعكس فى قلبك انعكاسا كاملا ، وهذه الحفنة من تراب جسمك جعلت لديك استعدادا وصلاحيه تمكنك من تحمل تهليلات عالم الأنوار.

حسين : لكن يا سيدى إن هذا الفعل الظالم يثير الريب والشبهات فى قلبى باستمرار .

الشيخ : (بعد أن تملكه الحماس) لاشك أنه سوف يشير ذلك ويمكن فصل الروح عن كثافة هذه المادة بصعوبات جمة ، وهذا فقط هو الذى يمكن أن يشير الشبهات والشكوك ، وهو المركز الإشراقى ونسج الحياة السرمدية على الرغم من كونه غير حى ، وهذه الروح الجسدية المقيدة فى الجسم يمكن أن تتجلى صور عشقها بصعوبة .

حسين : لكن هل مثل هذه الطمأنينة وتوجيه النصائح تزيل الشبهات من القلب .

الشيخ : اسمع يا حسين ، إن القوة هى التى ستبعد شكوكك بشرط أن تشغل نفسك فى محاولة رفعها ، ولكنى أقول لأطمئنتك إن اسمها فى الدنيا تكميل النفس وهى ذاتها المشيئة الإلهية إن علاقات الروح منفصلة عن الجسم وتعود الروح على تغيير الأفعال الجسمانية ، وهى لا يمكن أن تؤدى أى عمل بدون مساعدة المادة ، وهذه الأرواح قد وقعت فى ورطة

الماديات فى الوقت الذى كانت تغادر فيه الجسم ، وهى فيما بعد أيضا توجد فى الظلام الحالك لغبار مادتها فى كل وقت ، وهذا الشيء ذاته هو جهنم فى اصطلاح الشرع ، وهكذا ينبغي السعى للنجاة فى الحياة عن طريق التخفيف من روابط الروح بالجسم وإن بداية هذا السعى تكون بأن يُستخدم الجسم فى ما لا تكون للروح فيه علاقة، فبعد أن تضطرب الروح يجب التوجه ناحيتها ومنعها بالإكراه بقوة الإنسان وشجاعته، وهذا هو التعليم الأولى للإلهيات، أما الثانى - أى التعليم المتوسط - فهو أن تقوم الروح بمثل ذلك العمل الذى لا يكون له علاقة بالجسم، ويؤثر فى أرواح الناس فى المدن البعيدة، ويجب فهم علاقتهم حيث يطوون الدرجة الوسطى لعالم الروحانيات. وبعد أن تحصل الروح على الانفصال عن الجسم إلى الحد الذى تكون فيه مبرأة ومرتزة عن المادة فى البحث عن انكشافات نور الأنوار، وتتره الملكوت وعالم اللاهوت تكون هذه هى الدرجة الثالثة. أما من يموت فى وقت البحث الأعظم فإنه يودع الجسم الترابى، وهذه النقطة الأولى التى تلتقى بعلة العلل وواجب الوجود تنال فى ذلك الوقت أعلى الكمال الروحى وهى تحصل عليه عن طريق رفع قيد العالم المادى ، وقد كان مبتلى بمصائب عالم العناصر الأربعة (الدنيا) ، والآن فإن حالته هى أنه من ناحية حين تظهر لديه هذه الصلاحية من التعليمات المادية للعلاقات الجسدية يستطيع أن يُشكّل نفسه كما يشاء أمام هذا العالم، ومن ناحية أخرى تصل إلى هذه الدرجة من التجرد والروحانية الكاملة بحيث يلتقى بالمركز الأول لنور الأنوار وينقطة الأزل إذا شاء ؛ لهذا يا حسين فإنك فى الصف الأول من مدرسة الروحانيات، وتتدرّب الآن على هذا الأمر أى تلك الأفعال والحركات الصادرة عن جوارحك وأعضائك التى تنسب إليك، وهذه اللعنة واللوم من جانب

روحك ونفسك اسمها العلاقة الروحية ، والتي يجب عليك السعى للانفصال عنها وعندما تصل إلى مرحلة معينة ولا تهتم الروح بأى فعل لأعضائك عندئذ تصل إلى الدرجة الثانية للتوحيد .

حسين : إذن لا أكثرث بتلك التهم وذلك اللوم والتأنيب الذى يتوارد على قلبى .

الشيخ : لا: مطلقا ؛ لأن تدرييك على هذا الأمر والعناية بنور الأنوار هو أول السلم .

حسين : يا سيدى لماذا تقول نور الأنوار على الله جل وعلا فلا أستطيع فهم رمزه ، فرب العزة تعالى بلا شك نور ، لكن لماذا الأنوار؟

الشيخ : (بعد أن تملكه الغضب) هو(الله) نقطة الوحدة ونبع التكوين وهو منزّه تماما عن هذا، فنحن ننسب إليه صفاتنا المادية وهو هكذا ليس كمثله شيء .

حسين : لكن عندما ينسب الله جل شأنه هذه الصفات لنفسه فأنى لنا أن نفكر ؛ كان الشيخ وجودى لا يزال غاضبا ؛ فنظر إلى حسين وحدث فيه بعينين حمراوتين مشوبتين بالغضب وقال : لاشك أن الإنسان خلق ظلوما جهولا فهذا مالا يدركه خيالك ، ونحن كذلك ننسب إليه تلك الصفات بموجب إرشاده وتوجيهه ونطلق عليه اسم "نور" ، ولكن لأنه منزّه فى خيالنا عن النور ؛ لهذا نقول عليه كذلك "الأنوار" .

حسين : هذا صحيح لا ريب وقد اطمئنت الآن وإن شاء الله لن أندم على أفعالى ، ولكنى أأمل الآن أن ترىنى تلك اللجنة حيث جلست "رمرد" متألقة بجوار الأجرام الفلكية.

الشيخ : حسنا . .

بعدها نهض الشيخ وفتح خزانة كتبه وأخرج منها كتابا صغيرا وقلب في أوراقه وأخرج رسالة وأعطاهما لحسين وقال: خذ هذه الرسالة واحتفظ بها تماما واحملها معك عندما تسافر إلى مدينة أصفهان وتذكر أن هناك خارج هذه المدينة مسجدا آيلا للسقوط متهدما ستجد في هذا المسجد فقيرا يتسول في الظاهر ، ولكنه في الباطن صوفي كبير وهو يرتدى جلد خروف طول الوقت ويستجدي من المارة وينادي في انكسار "من الأفضل أن تضع لقمة في فم الكلب" واسمه كاظم جنوبي فسلمه هذه الرسالة وإقرئه السلام وسوف يأخذك في الليل إلى غار تلتقي فيه بأحد كبار العالمين بالأسرار السرمدية ، وستبدأ في ذلك الوقت طي الدرجات للوصول إلى الجنة وفي غضون عدة أيام تعيشها في هذه الحياة التي هي غالبا مجرد حلم ، وسوف تصل إلى أعلى الدرجات حيث الفردوس الأعلى.

أخذ حسين هذه الرسالة وقبّل يد الشيخ ثم قبّل قدمه مودعا وقام متجها ناحية أصفهان، كان سفره إذ ذاك أكثر اطمئنانا وقد محت خطبة الشيخ على وجودى من قلبه كل أثر للوم أو لندم على الذنب، وتمثلت أمام عينيه حديقة الأمل والرغبة وكان زمرد أقبلت تريد أن تعانقه.

دخل بغداد وهو فى هذه الحالة من الطمأنينة والسرور وحين وصل أصفهان، ووقف مترددا على باب المسجد خارج المدخل الشمالى، فإذا بهذا الصوت يتناديه "من الأفضل أن تسد فم الكلب بلقمة" فأسرع فوراً ودخل المسجد وأخرج رسالة الشيخ ووضعها فى يد "كاظم جنوبي" والذي كان يجلس مرتديا جلد خروف ويصيح فى حلبة وضجيج.

نظر كاظم جنوبى إلى حسين نظرة استعجاب وحيرة وصاح فى لهجة قوية مخيفة "حذار من الناس حذار" ، ولكنه عندما قرأ الرسالة قام على الفور وعانقه، وقال لم أكن أعرف أنك فرع من شجر المعرفة، تعال اجلس تناول طعامك واسترح ، وفى الليل سأأخذك عند شيخ الجب، حيث اختار غيابة الجب ، ولما كان النهار مظهرا للنور ؛ لهذا تنعكس فوقه أنوار اللاهوت طوال النهار ، ولأن الليل مظلم وموحش، ونموذج للظلمة، لهذا ينشأ نوع من العلاقة بين الصور المادية فى هذه الظلمة.

حسين : لكنى لا أعلم هل تفضل لقاء المذنبين وذوى الأعمال الشريرة كذلك؟

كاظم جنوبى : من المؤكد أننا سوف نلتقى، فأنت فرع من شجرة المعرفة.

ظل حسين فى المسجد طوال النهار وفى المساء ، وبعد أن (مر من الليل ثلثه) اصطحبه كاظم جنوبى واتجه ناحية منطقة جبلية بعيدة ، وبعد أن طويا مسافة كبيرة بين مرتفعات ومنخفضات، ومرا على العديد من الممرات الجبلية توقف كاظم أمام فتحة غار كبير ثم صاح بقوة " شيخ الجب فراشة تتلألأ فى الظلمة المادية" ، لكنه لم يتلق الرد فصاح كاظم جنوبى قائلاً "أزح الستار من على المرأة، أريد أن تنعكس منها تجليات الأنوار اللاهوتية" لم يتلق جوابا عندئذ صاح "أسير هيكل العناصر الأربعة ليس لديه صبر للذهاب إلى الخلوة" وفى النداء الثالث جاء صوت مهيب من بين الظلام، وتمجواب صدى الصوت بين الصخور بداخل الغار "مرحبا بالشباب الأملى مرحبا" إن إحدى حوريات الجنة لا تصبر على فراقك منذ عامين، وقد رأيتها أثناء سفرى اللاهوتى حيث كانت هذه

الحرورية تبكى فى أركان الفردوس الأعلى وتسعى إلى معرفة الطريق إليك ،
والآن سوف تحصل على متاع الخلوة من هنا، تعال وشاهد معجزات
القدرة .

صاحب هذه الجملة نور بدا من قاع الغار، وقال كاظم جنوبى
لحسين : "كفى لا أستطيع التقدم للأمام، ليس لى طاقة على ذلك" .

حسين : لماذا؟

كاظم جنوبى : إن ضياء التجلى يحرق جناحى لو تقدمت قيد
أملة فلو تقدمت خطوة لاحتقرت ؛ فاذهب واعلم أنك فرع من شجر
المعرفة .

بعد أن سمع حسين هذا ترك "كاظم جنوبى" وهبط إلى الغار،
وقلبه متحمس لأن يرى حلم القلب، وهو فاقد لوعيه، وظل لفترة من
الوقت يتعثر بالصخور هنا وهناك ، لكنه عندما وصل إلى النهاية التى كان
النور ينبعث منها وجد على يمينه سلما فهبط مستخدما هذا السلم، وخلافا
لما توقع وجد أمامه بيتا واسعا فخما بين هذه الهضاب المخيفة ومساكن
الضواري والوحوش تضاء كل جوانبه بشموع كافورية ، وكان العود
واللبان والأبواب والحوائط مطلية باللون الذهبى وعليها النقوش والزخارف
على هيئة بيانات ، وكانت مرصعة بقطع من الزجاج والأحجار الكريمة
الملونة انعكست فوقها صورة الشموع المضيئة مما أوجد جوا عجيبا فى كل
اتجاه وناحية ، وقد أصيب حسين بالجنون وبهت بعد أن رأى كل مظاهر
المتعة هذه، وصاح فى حماس وقد نفذ صبره "هل هذا هو الفردوس
الأعلى" فانبعث من مكان قريب صوت فى لهجة ممزوجة بالطمأنينة ،

لمكن هذا هو المنزل الأول للمستترهين فى الخلوة ، والتى يمكن أن تكون كفوًا للبقاء فيها ، ويجب ألا تصاب بالذهول فجأة بعد أن ترى متع الجنة .
 حسين : لكن من أنت؟ وأين تكون؟ حتى أحضر لك وأودى لك الشكر .

صوت : أنا قريب منك .

وفجأة جاء صوت وسحبت الستائر المزركشة التى كانت تبدو أنها جدار فغاب عن النظر بعد أن سحبت الستائر ، وظهر رجل طاعن فى السن قوى البنيان تبدو طلعتة نورانية بهية متكئ على أريكة مطعمة بخيوط الذهب ، والعجيب أنه كان يجلس فى حالة استغناء وعدم اكتراث ، وكان وجهه نورانيا صافيا كالمرآة ، بينما كانت الشموع التى تتلأل كالشمس تلقى بنورها على رجاء الحائط والباب من جميع الجهات ، كانت لحية الشيخ بيضاء كثة تخدع (الناظر) إليها ، وتبدو كأشعة الشمس أو سجاج مصنوع من خيوط الفضة والذهب .

وعندما رأى حسين هذه الصورة النورانية جرى إليه كالفراشة ، وجثا على قدميه وقال: من فضلك من أنت؟ لعل اسمك رضوان؟

الشيخ : لا ، فأنا لا زلت حتى الآن فى إطار الجسد المظلم لكن الحجاب الأول قد رفع عن عينيك ، فأهل الدنيا يطلقون على اسم "شيخ الجلب" بينما أدعى "طور المعنى" بلغة المتصوفة أهل الحقيقة .

حسين : (فى حيرة) لعل "طور المعنى" فى الحقيقة هو نفس النور الذى تجلّى لموسى على جبل الطور؟

طور المعنى : لكنك ترى من خلال سبعين ألف حجاب .

حسين : بالله عليك ارفع عنك كل هذه الحجب .

طور المعنى : أنت الآن بعيونك المادية البهتة لست جديرا بهذا، لكن اصبر! وسوف تنال متاع ذلك ، وسترفع كل هذه الحجب .

وفجأة حضر غلام جميل وأعطى "لطور المعنى" كأسا من الشراب؛ فرفعه "طور المعنى" بيده ناحية حسين وقال : اشرب من هذا الكأس وستترب درجة أخرى من الملكوت ؛ فشرب حسين الكأس فورا وشعر معها بأن رأسه بدأت تدور، وغفل بعد أن التصق بطور المعنى وقد فتح عينيه عدة مرات فى نوم الغفلة فكان يجد نفسه فى كل مرة فى مكان جديد، فمرة يكون فى مروج خضراء نضرة، ومرة أخرى فى ممرات جبلية وعرة موحشة، وكلما عاد إلى وعيه لا يظهر له ملاك أو إنسان بل نوع من الناس غير العاديين فى هذه الخلوة يؤكدون له قربهم من هدفه أكثر فيتأكد له ذلك، وفى النهاية فتح عينه فإذا بشاب يقف أمامه يرتدى ملابس حريرية بيضاء مطرزة بالذهب، على رأسه تاج ثمين مرصع بجواهر كريمة، وعندما وقعت عينا حسين على هذا الشاب الوسيم الذى كان يرتدى ملابس ملكية ويلبس تاجا على رأسه بدأ يقول له فى لهجة متضرعة عاجزة "الآن ليس لى صبر على الانتظار و الأمل" .

الشاب : أيها الجسم الترابى لقد طويت مراحل الحياة، ألا تعلم أنك الآن قريب من السماء وعلى باب الفردوس الأعلى، فلا تضطرب، الملائكة المقربون فى انتظارك والخور العين تتزين لك الآن .

حسين : ومن أنت ؟

الشاب : أنا ذلك البروخ الذى يتوسط اللاهوت والناسوت ، وهذا هو جسمى الذى كان يتحول أحيانا إلى نور يتجلى على طور سيناء وهو نفس النور الذى أظهرته العظمة الإلهية فى جسم المسيح ، وكان يضىء مصباح الحياة فى الموتى وهو ذلك النور الذى يومض فى صدر رسول آخر الزمان من عظمة الإشراف المجرد، وهو نفس ذلك النور الذى يغير أجسام المعصومين بعد أن يضىء مشعل الإمامة.

حسين : فأنت إذن جبريل؟

الشاب : إن جبريل كذلك شمعته صغيرة من تجلياتى.

حسين : لعلك وحي لا تموت؟

الشاب : لست وحيًا لا يموت أو وحي لا يموت ، لكننى لا أستطيع أن أدعى ذلك مع هذا التشخيص، ومن الضروري أن أقول: "أنا خالق الأرواح"، "أنا خالق الإصباح"^(١) لكننى فى هذا الوقت شكل فى غير ثبات ، يظهر فى شكل إمام يجب على كل مكلف أن يؤمن به.

حسين : (بعد أن ضرب كفا بكف) وأنا أيضا أبابعك بإمامتك وعلى نقطة الوحدة هذه.

الشاب: اسمع يا حسين لقد وصلت إلى هدفك المنشود وطويت درجات الصعود ولعلك تناله قريبًا وهو مفتوح لك منذ ستين، ومع أنه سقطت عنك فرائض العبادات الدنيوية ، لكن ينبغى عليك لكى تخرج من قلبك الأثر الباقي من الدنس الأرضى أن تجلس أمام بوابة الخلوة لتؤدى

(١) هكذا فى الأصل .

طقوس عبادة مختصرة، يجب عليك أن تردد هذه الكلمة فقط على لسانك لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وهي : "يا مركز النور أغرقني فى بحار أنوارك"^(١). ولكن هناك شرط هو أن تأكل قليلاً ، ولا يجب ألا يتزل حلقك قطرة ماء فى تلك الأيام الثلاثة .

وبعد أن قال الشاب المتوج هذا الكلام ترك عدة أرغفة ورحل . وبذهابه غُلِّقَتْ فى وقت واحد جميع أبواب المكان فجأة ، وفى البداية شعر بالاضطراب بعد أن صار وحيداً ، لكنه تذكر على الفور نصيحة المرشد والإمام الأخير فشغل نفسه بالرياضة الروحية والتسيب وظل يردد تلك الجملة بشكل متواصل ، وجن جنونه فى اليوم الثالث من جراء العطش وجف كل حلقه من شفثيه حتى صدره ولم يكن يصدر عنه أى صوت سوى همسات خافتة ، لكنه لم يمنع لسانه من الأوراد شوقاً إلى زمرد، وكان يدعو بذلك وهو فى هذه الحالة من الاستغناء وإنكار الذات .

وفى اليوم الثالث كان لسان حال حسين يصيح من العطش فلماذا بالشاب المتوج الذى يرتدى ملابس ملكية قد جاءه وقال له : "هيا الآن استعد للسفر إلى الجنة ، لقد أكملت رياضتك وطويت جميع المراحل ولم يتبق أى شىء يقف عقبة فى هذا الطريق ، لكن حسناً أنت عطشان بعد قليل سوف تستعيد نشاطك وهمتك" ، ولم تكد هذه العبارة تخرج من لسان هذا الشاب حتى ظهرت امرأة غاية فى الجمال والحسن، وقد أمسكت فى يدها كأساً مرصعاً بالذهب، وممثلة حتى آخره بنوع خاص من

(١) هكذا فى الأصل .

الشراب ، له لون جميل فأخذ هذا الشاب الكأس من يد الحساء ورفع
ناحية حسين ، وقال : " خذ هذا الشراب الطهور الموجود على الدوام فى
الفردوس الأعلى ، وسوف يزول عنك التعب والإعياء والعطش وكل
الأمور المقلقة ، وسوف تدخل الجنة وأنت فى غاية السعادة الروحانية
والنورانية .

أخذ حسين الكأس بسرعة وأفرغه فى فمه ، وكان العطش قد اشتد
به فزال عنه بجرعتين فقط ، وما إن مرت لحظة واحدة حتى بدأ يشعر بثقل
فى رأسه صاحبه نشوة سكر ؛ فأخذ يغفو وفقد وعيه تماما حتى لم يعد
يدرى ما يدور حوله .

الباب الرابع

الفردوس الأعلى

لم يدر حسين كم قضى من الوقت فى هذه الغفلة، لكن ذهبه بدأ يزول قليلاً ، وبينما بدأت نشوة الغفلة تتلاشى إذا بأنغام جذابة طرية تصل إلى مسامعه، وبدأت أمامه كأنها مجموعة أشكال فائقة ساحرة بمصاحبة المزامير والآلات الموسيقية الغربية والعجيبة تبارك بهذه التريسة بأفواهاها التى تنبعث منها البهجة وحناجرها النورانية "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"^(١) فاضطرب وفتح عينيه تلقائيا من فرط سعادته، وحيثما جال نظره وجد هذا المنظر يخيم على كل مكان "فالمعجزة تشد طرف القلب ؛ فالمكان هو هذا المكان"^(٢) . فى هذا الوقت وجد حسين نفسه يركب سفينة مرصعة بالذهب ، وكانت السفينة قد رست من فورها على شاطئ قناة ضيقة لكنها جذابة بعد أن سحبا صبية أجسامهم رقيقة على درجة كبيرة

(١) هكذا فى الاصل .

(٢) هكذا فى الاصل .

من الجمال ، وكان الماء الصافى الطاهر يتحرك ليقبل هذا العشب الناعم البديع ، وفى بعض الأماكن تجدد الأشجار الكثة الظليلة مثل الضفائر الملتوية المتشابكة تنحنى على ضفتى قناة ؛ فتلامس سطح القناة أحيانا وتغوص بداخلها أحيانا أخرى ، ولكن السفينة قدمت على الشاطئ من فروج فسيحة ، وبناء على أوامر الملاحات الحسنات نزل من على السفينة وبدأ يتنزّه على العشب فزادت حيرته ، وبعد أن ترك شريط العشب الضيق الممتد عند الماء بدأت سلسلة الورود المفتحة ذوات الألوان البهيجة الممتدة على مسرحى البصر على ضفتى النهر ، وبالرغم من أن الورود كانت فى حالة من النضارة والألوان الزاهية ، والتى كانت تبدو فقط من عارض الأراهير لكن إلى جانب هذا الربيع الطيبى كان هناك هذه المتعة أيضا وهى ترتيب وتنسيق الحدائق بعلم وذكاء فوق العادة بل فى غاية الذوق ، فبعض صفوف الحدائق يحمل نوعا واحدا ولونا واحدا من الزهور ، وتبدو كأنها شعب واحد وملابس رسمية واحدة مقسمة على معسكرات الجيش المختلفة وتمتد حتى حدود الرؤية ، لكن معظم الحدائق التى تم فيها تنسيق الزهور مختلفة الألوان بها رخارف على الأرض يتحير لها العقل الإنسانى ، فكل الروضة وكل الوادى الذى يمتد لأميال بعيدة فى جمال متناسق وتتحلق حولها الجبال الخضراء النظرة ؛ فكانت تلك الرياض ممتلئة بالأراهير فى كل جوانبها ، وكانت الأنهار المختلفة تنزل من الجبال بعد أن تتكون صفائح الماء من خلال الشلالات فتتساب من بين الأراهير والرياض ، وسواء كانت مياهها مشبعة بشذا الورود أو بسبب آخر كانت تنبت شجيرات الورود والرياحين ، وكان لسان حال هذه الأنهار يصيح ويقول نحن تسيم وسلسيل ، أما الطرق والممرات فقد ظهر إعجاز فى إعدادها وترتيبها على ذلك النحو ؛ بحيث يكون هناك نهر صاف فى أحد جوانب كل روضة ،

وفى الجانب الثانى شارع صغير رائع يعانقه ؛ فكان هذا الشارع يظهر كمال الصنع أكثر من الروضة ، وقد استخدم فى تمهيد تلك الشوارع والطرق مختلف أنواع الحصى والحجارة والألوان ، وقد رصف كل شارع بلون خاص من الحجارة الكريمة فُرشُ أحد الشوارع الفسيروز والآخر بالزمرد . والثالث من الياقوت والرابع من أحجار النيلم ، وكان هناك نوع من الجمال فى التنسيق بحيث يبدو تناسب وانسجام بين لون أزهار الروضة والشارع الضيق الأبيض الذى يمر بجوارها والطيور المغردة الصداحة تطير وتتشرب فى أرجاء تلك الرياض وتخط قرب الورود تحكى قصص الحب والعشق ، ويعلم الله على يد أى أستاذ بارع تعلمت ، كما أن أكثر الداهيين والغادين فى النواحي الأخرى يسمعون نشيد الترحيب من حناجر الحور الثورانية ، وهناك جوقة طيور صداحة تردد كلمة الترحيب هذه على أرغونها الطيبى: "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"^(١).

وقد تعجب حسين وازدادت دهشته عندما رأى أسرة ذهبية وفضية متشرة فى كل مكان على شواطئ الأنهار فى تلك الحدائق وعليها فُرش من الحرير المشجر بالورود ، بينما الناس يسندون ظهورهم على أرائك كبيرة والفتيات الصغيرات الفاتنات يجلسن فى ركن من الأركان يستمتعن بالجنة فى طمأنينة .

فى أحد الأماكن يقف أمامنا فتية غاية فى الجمال والحسن يتشرون فى كل مكان يقومون بأعمال السقاية بحركات غاية فى الرقة واللطفة ، والشراب يدور ، وللنشوة والمتعة كانت الطيور المدربة تقطف الفواكه من

(١) هكذا فى الأصل .

الأشجار المشجرة تحضرها وتضعها أمامهم وتطير، وكانت المتعة الكاملة بالشراب والمحجوب متوفرة لهؤلاء الناس، وكان أكثر ما أثار انتباه حسين هو أن كل الناس يستمتعون بتلك اللذات باطمئنان ودعة، بلا تعب أو نصب ولا يدرى الواحد منهم أيضا من يمر بالقرب منه ولا إلى من ينظر فلا أحد يحسد أحد، ولا أحد يخفى سعادته عن أحد: الجنة هناك حيث لا تعب ولا أذى حيث لا يكون لأحد شأن بالآخر تولد الحماس في قلب حسين بعد أن رأى هذا العالم فصاح بصوت عال: لا شك أن هذا هو الفردوس الأعلى، هو بعينه، وهنا يأتى المؤمنون والصالحون لكى ينالوا جزاء أعمالهم الطيبة، لكن وآسفاه أين أنت يا زمرد؟ ولم يكذبته من هذه الجملة حتى قال شخص ما بصوت جذاب صدر من ناحية الورود بالقرب من الروضة "أنت الآن تراها فى رياض الجنة فارفع ناظريك قليلا وانظر فى القصور والمنازل".

لم يكذب يسمع هذا الصوت من ناحية حتى ظهرت أمامه حسناء فاتنة رقيقة الجسد، حنت رأسها وابتسمت وقالت "أنا أيضا لك" فاستحى حسين قليلاً وابتعد عنها، وبعد أن نظر إلى وجهها بتمعن قال: "لكننى لا أريد غير حبيبتى زمرد".

الحسناء : سوف تجدها أيضا ؛ إن كأس سعادتك ضيق، فانظر قليلاً إلى تلك المباهج والمسرات ومن ثم ستلتقى بها، انظر إلى قصر اللؤلؤ الذى أمامك حيث تقيم زمرد، إنه لك.

رفع حسين نظره فشاهد القصر المنيف، ووقعت عيناه على القصور الأخرى أيضا فرأى أن هذه القصور أكثر فخامة وبهجة من الحدائق ؛ بعضها يبدو من الذهب الخالص وبعضها من المرجان وبعضها من اللؤلؤ

ويطلقون عليها جميعا بكلمة "كشك" و "قصر" و "محل" حسب أهميتها من بين هذه القصور قصر من الفيروز وآخر من الزمرد وثالث من الباقوت ورابع من الماس ، وكان قصر اللؤلؤ بلونه الأزرق مخصصا لحسين باللون ، ويظهر أنه مطعم باللؤلؤ من أسفل إلى أعلى كما رُصعت أجزاء منه بقطع من الصدف الأصلي المتلألئ، وعلاوة على لون جميع القصور الذى يشير إلى القصر المذكور ؛ فإن جميع الأبواب والحوائط قد حُشيت إطاراتها بقطع من الزجاج والبلور ، وكانت هذه المرايا تتلألأ بقدر هائل فى ضوء آلاف الشموع الكافورية ليلاً ، وفى نور الشمس نهاراً .

بالإضافة إلى هذا رصعت تلك الحوائط من الداخل والخارج بالجواهر فكانت أشعتها المتلألئة تخلق جواً عجيباً من السرور؛ على كل حال فإن مجموعة القصور الملونة الذهبية والفضية ومراياها قد نشرت نورا فى جميع الجوانب الأربعة؛ بحيث لو وقع النظر عليها يتولد الحماس والحمية فى قلب الإنسان. بعد أن رأى حسين تلك القصور ظل واقفاً مبهوراً لفترة من الوقت لكن عقله اتجه ناحية هذا القصر الخاص الذى كان قد سمع من الحورية أنه خاص به ، والذى كان يأمل أن يلتقى فيه حبيبته زمرد ، عندئذ اتجهت عواطفه القلبية بقوة نحو زمرد فلم يعد يرى السعادة فى أى متعة ولا ينظر ناحية أى شىء قط فوصل مباشرة إلى بوابة هذا القصر ، وكانت زمرد قد خرجت من القصر لاستقباله أيضاً، كان نظرها غير عادى ، لكنها فى شكل أخذ جذب كانت تقف مكشوفة الشعر جدائلها مسترسلة على الظهر والاكتاف تلات ، وتواجهت العيون ، وفى حماس تلقائى نطق كل منها باسم الآخر وأسرعاً يتعانقان ، وكان حين فى سعادة غامرة ، وكان وجه زمرد ينطق بالبشر والسعادة غير العادية ، وانخرط حسين فى

البكاء تلقائيا من فرط حبه، ورأته زمرد يبكي من نفسه فانتحيت به جانبا وقالت : " يا حسين البكاء هنا حرام فجفف دموعك الآن " .

حسين : (بعد أن جفف دموعه) هل هذا هو الفردوس الأعلى
يازمرد؟

زمرد : هو بعينه.

حسين : لقد جئت إلى هنا وتركتيني في ذلك الألم والعناء .

زمرد : لم يكن الأمر باختيارى، لقد جئ بى إلى هنا فى استشهداد مفاجئ، لكنك بقيت على قيد الحياة ، وكان ضروريا أن تأتى إلى هنا بعد أن تطوى ما طويت من مراحل ودرجات، لكننى أقول لك صادقة إنه لم يقر لى قرار فى هذه اللجنة بسبب فراقك، فماذا أقول؟ عن الصعوبات التى واجهتنى لكى أحصل على إذن لأخبرك بكيفية المجيء عندى .

حسين : لقد كانت مثل تلك الأعمال التى ربما لا يستطيع أن أصل بها إلى هنا بالموت ، ولكن حبك فقط كان هو الذى أحضرنى على طريقة الخضر .

زمرد : حبيبى .

حسين : نعم حبك .

زمرد : لكنى ماذا عسأى أن أفعل لو لم يكن فى قلبك صدق الطلب؟

حسين : لكننى بهذا الطلب ثمكنت من الوصول إلى هذا الفردوس الأعلى ، وقد عقدت العزم على أن أكون عند هذا القبر وأمام هذا الحجر المحفور عليه اسمك المحبب حتى ألفظ أنفاسى .

زمرد : حسنا ، هذه أمور تحدث وستحدث ، فادخل الآن واجلس
بهدهو واشرب كأسين من الشراب الطهور ، وانظر كيف أن الله - جل وعلا -
قد هيا لى سبل الراحة والمتعة ، بعدها أخذت زمرد حسين إلى الداخل .

كان الوقت الذى نزل فيه حسين من السفينة على شاطئ النهر بداية
المساء ، والآن حلّ الليل ، فأضاءت الشموع الكافورية كل جانب ، وكان
هناك قسم خاص من النور البارد لا يعرف من أين ينبعث وكيف يتولد ،
أما فتحات ضوء السقف والنوافذ العالية والبوابات فكانت تتلألأ ويبدو
منها آلاف الأعمار قد أطلقت سراحها فجأة ، وفى هذا النور الساطع تسقط
الشموع فيها ، وكان الحبيبان فى لقاء حميم ينظر كل منهما إلى وجه
الأخر نظرة حب وانجذاب ، ورأى حسين فى حيرة هذا النور الغيبي وأدرك
كنها ؛ فكان يخرج مرارا من الباب ، ويسترق النظر ، لكنه لم يستدل على
شئ ، كل ما عرفه هو أن مركز هذا النور ومصدره قمم الجبال المحيطة به ؛
حيث ينبعث الضوء ويتلألأ أكثر فتنبعث أشعته من هناك لتتير كل مكان ،
ورأى الضوء يسطع بشكل كامل ، ويصل إلى ذروته ، وسمع أناسا
يتصايحون من كل جانب قائلين هذه العبارة "هذا الذى وعدنى ربى"^(١)
ترددت هذه العبارة ؛ ترددت على لسان حسين عدة مرات كذلك مع
أولئك الناس فى حماس غير إرادى ، وعندما لم يستطع حسين أن يحل
لغز هذا النور سأل زمرد قائلا : "ما هذا النور؟" .

قالت زمرد : ألا تعلم أنه هو النور الإلهى الذى كان قد تجلى لموسى
فى الوادى الأيمن ، وقد قرأت فى القرآن والحديث أن الله ربما يتجلى فى
الجنة ، وهذا نور من الله .

(١) هكذا فى الأصل .

حسين : إذن ، هذا هو الله جل وعلا؟

زمرد : لا أستطيع أن أقول هذا ، ولكنها إرهابه .. أولى وهى أكمل وأصدق صورة له .

بعد أن سمع حسين هذا الرد خر ساجدا أمام هذا النور ، لكن زمرد أنهضته وقالت : "أنت غير مكلف بالعبادة هنا ، فلا هدف من هذا النور سوى إدخال ينشأ الطمأنينة والسرور فى قلوب الناس .

الآن وقد رأى حسين فرش القصر وجميع الكماليات ، تأكد له أن كل هذا المتاع نورانى ، ولا يخطر على قلب بشر فى الدنيا ولا يمكن لأحد أن يقدر ذلك ثم أشارت زمرد بيدها قائلة هنا ترى جميع الأشياء العجيبة تدور ، وقد اعترف حسين وآمن من كل قلبه بحماس برحمة الخالق ذى الجلال والإكرام وقدرته على كل شيء ، وفى نهاية الجولة منع من دخول أحد الأماكن فعانت زمرد بعاطفة ملتفة وقال : مع جميع هذه المتع وكل هذا السرور والهناء إلا أن زمرد بالنسبة لى لا تعادلها نعمة .

زمرد : إن هذا الحب قد أتى بك إلى هنا ؛ لأن هذا المكان لا يمر به أى إنسان حى إلا نادرا ، وهذه هى فضيلتك الكبرى ؛ فقد وصلت إلى أرض النور بالرغم من هذا الجسد الترابى .

تجول حسين فى الجنة وتمتع بحسن زمرد وجمالها ، وقضى على هذا الحال أسبوعا يستمع إلى أصوات النغمات الحاملة المنعشة للقلب التى كانت تدوى وتهلر فى كثير من الأذان ، وكان الكثير من الحوريات يحضرن فى خدمته ، لكنه كان زاهدا فى جميع الحوريات الجميلات ، ولم تكن له أى علاقة بأحد غير زمرد ، فكان يتأبط زمرد كل الوقت يتجولان معا ويتزهران

فى تلك الروابى المنعشة والأودية الخلابة الساحرة، وقد ظلت زمرد تتجول معه وتتزدهر حيناً من الدهر حتى جعلته يشاهد جميع المتنزهات والأماكن الخلابة هناك ، وقال حسين ذات مرة: لقد سمعت يا زمرد أن الوقت فى الجنة دائماً هو وقت الصبح ، لكننى عندما جئت إلى هنا رأيت أن التغيرات الدنيوية موجودة هنا أيضاً.

زمرد : لقد أخطأ الناس فى فهم هذا الأمر، فما يقال أن كل وقت يظل كوقت الصباح هنا ليس معناه أن الإنسان هنا لا يمكنه أن يستمتع بأى وقت آخر، كذلك فإن الهدف الأصلى من الاستمتاع الكامل بالجنة هو أنك لابد أن تجد مثل ذلك المكان هنا فى كل وقت حيث يتمتع الإنسان وقتما أراد.

حسين : كيف؟

زمرد : هذا الأمر لا يتضح مشافهة، فهيا نمشى لتراه بعينيك، واصطحبته معها بعد أن قالت ذلك ، وخرجت من القصر الدرى قائلة : انظر هنا فالجو يبدو مثل الظهيرة، (ولتتقدم الآن قليلاً) وبعد فترة وجيزة وصلا إلى دوحة كثيفة من الأشجار الخضراء البانعة التى تمنع أشعة الشمس من الوصول ، وكان الظلام يخيم على كل مكان إلا من ضوء خافت بارغ هناك من الجبل الذى يطل على القلاع الشرقية، وبعد أن وصلت زمرد هناك قالت: انظر فهذا هو وقت الصباح.

حسين : لا شك فى ذلك.

زمرد : تقدم إذن.

وبعد أن غادرا ذلك المكان بفترة وجيزة وصلا إلى واد صغير تحيط به الجبال من كل جانب بين الأشجار تبدو ظلمة غير دامسة وعلى مسافة

قصيرة منها يتصاعد دخان خفيف من فوق القصور ، وكانت المصابيح مضاءة فى بعض الأماكن ، ويعلو صوت تغريد الطيور ، وتبدو أشعة غروب الشمس على القلعة من ناحية الغرب ، وهنا توقفت زمرد قائلة : "وهكذا يكون وقت المغيب" .

حسين : لا يمكن الشك فى هذا.

زمرد : لقد شاهدت وقت النهار ، ورأيت المساء كذلك ، ولم يتبق غير رؤية وقت الليل فهيا بنا لأريه لك .

بعد أن عادا من هناك أخذت زمرد حسين ودخلت فى غار فى أحد الجبال به طريق منخفض مهاد فى غاية الجمال ، ولم يكن به سلم بل جزء الأرض المرصوف والملون يهبط لأسفل لحظة بلحظة ، وكانت هذه الأرض تشعب فى طريقين ، وفى النهاية وصل الاثنان إلى منطقة مليئة بالفخامة والتنعيم حيث كانت أضواء الشموع الكافورية تملأ المكان ، والثريات والمصابيح الكثيرة مدلاة ومعلقة ، وكانت هناك قطع ذات ألوان مختلفة من الزجاج على الأبواب والحوائط ، وكانت ذوائب تلك الشموع تتلألأ بنور عجيب لا مثيل له يستلب النظر .

زمرد : انظر هذا هو الليل ، وكم هو ليل محجب .

حسين : حبيبتي زمرد مادمت معى فكل شئ محجب .

ويعد أن رأيا كل هذه المتعة عاد إلى قصرهما ، وبدأ يتحدثان معا فى أمور الحب وإن بدت زمرد فى البداية حزينة بعض الشئ ، وكان هذا الحزن واضحا على وجهها وإن كانت تحاول جاهدة أن ترسم على وجهها البشاشة رغم ما بقلبها من حزن .

وأدرك حسين هذا الأمر مندهشا فقال : يا زمرد تبدين اليوم حزينة أيضا رغم وجودك في هذا الفردوس الأعلى .

زمرد : لا .. لكننى قد اكتسبت شئت أم أبيت عندما أتذكر من آن لآخر المفارقات السابقة .

حسين : لكن الله قد صرف عنا هذه المصيبة ، وأمل الآن أن نكون هكذا دائما ويستمتع كل منا بوصول الآخر .

زمرد : هكذا إرادة الله ، لكننى لا أرغب فيها يا حسين .

حسين : (بدهشة) لا ترغبى ، هذه هى اللجنة التى تكون فيها المتعة الأبدية السرمدية ، وهنا لا يمكن للمرء أن يفكر فى العداة ، ولا يحسد أحد فما هو سبب اليأس والقنوط ، " لا تقنطوا من رحمة الله " (١) .

زمرد : لا شك فى ذلك ، ولكنك يا حسين جئت إلى هنا قبل الألوان وأولئك الناس الذين جاءوا للمتعة الأبدية السرمدية سيأتون بعد الموت بعد قطع علاقتهم بالدنيا ؛ فأنت حتى الآن لم تقطع صلتك بهذه الدنيا المادية وأحضرت معك هذا الجسم المادى ، والذي من أجله لا بد لك من العودة إلى ذلك العالم للتركة هناك فى عالم الدنيا ، فانظر لقد جاء السيد المسيح إلى هنا حيا ، ومازال كذلك لكنه لم يتمتع بأى متعة كاملة ، ولهذا ندرك أن عليك العودة إلى الدنيا ذات مرة لترك هذا الجسد ، ففى حقيقة الأمر لا يمكن للمادة الكثيفة أن تبقى فى موطن هذا النور .

حسين : وآسفاه متى سأذهب ؟

(١) هكذا فى الأصل .

زمرد : عندما يصدر الأمر ، لكننى أعلم أن ذهابك سيكون قريباً ،
ولهذا فسوف استدعونك لعدة حاجات ملحة هناك، دمعت عينا حسين
بعد أن سمع هذا، وزفر آهة باردة من قلب ملئ بالحرقه وقال: "انتهى
الربيع ولم نشبع من وجه الوردة"^(١).

فأنا الآن لم أحصل على متعة وصالك ، ولكنك يا زمرد لن
ترحلنى معى، ومن الآن سوف أضع يدي فى يدك دائماً فلا يفرقنى عنك
أحد أبداً.

دمعت عينا زمرد بعد أن سمعت هذا الكلام وقالت : يا حسين هذا
الأمر خارج عن نطاق قدرتك ؛ فحينما يحين الوقت لن يكون لديك علم
به ، وسياخذونك إلى عالمك فى طرفه عين.

حسين : (بعد أن بكى) إننى لن أتحمل مصيبة فراقك ، وسوف أقتل
نفسى ولن تمر ساعة واحدة إلا وقد وصلت عندك.

زمرد : لا تغضب إلى هذا الحد، فلو انتحرت ستحرم عليك الجنة ،
ومن ثم لن يكون هناك أمل فى لقاءك حتى يوم القيامة.

حسين : (بعد أن ضرب يده على صدره بقوة): لماذا إذن سأبقى
حياً؟

بالله عليك يا زمرد أخبرينى بحيلة وإلا سوف أعجز عن الفهم إلى
الأبد؛ لأننى بعد أن أذهب إلى الدنيا لن أستطيع الحياة، فهناك آلاف
الموانع ، وسوف أغرس خنجرى فى صدرى ؛ حسناً.. إن لم يكن الأمر
كذلك فامش معى.

(١) شطر من بيت شعر .

زمرد : هذا مستحيل بأى حال من الأحوال ، ألا تدرك يا حسين أن لا حول لى ولا قوة ، بدأت تضطرب بينما تنطق بتلك الكلمات ، ونهضت ونظرت هنا وهناك خشية أن يسمعها أحد ، وعندما لم يظهر لها أحد أطمأنت وجلست ، وقالت : يا حسين هل من فائدة من هذه الأحاديث الآن ، لقد حان وقت عودتك .

صاح حسين : (صاح بعد أن نفذ صبره) : ماذا الآن !! لن أذهب الآن ، ثم أمسك ييدى زمرد وتشبث بهما .

زمرد : لا فائدة من هذه الأفعال ، لأنك ستزداد سوءا بقدر ما تبدى من عدم تحملك ، لقد سنحت لنا الفرصة للحوار منفردين ، فاختتم الوقت واستمع لما أقوله ؛ لأنه لو جاء أحد فسوف تفلت هذه الفرصة من أيدينا ونظل طول العمر نتأسف حسرة عليها ، وستخطب فى أنحاء الدنيا ، ولن نصل إلى هدفنا .

حسين : (بعد أن تماسك وتحامل على نفسه) أسمعك جيدا ، حبيبتي زمرد أخبريني عن حيلة لكى أتصرف على أساسها ، ولم يكذبك هذه الجملة حتى اغرورقت عيناه بالدموع ؛ وبدأ فى النحيب والعيول . فقالت زمرد : (بعد أن وضعت يدها الرقيقة على فمه) هل تضايقت؟ بالله عليك تماسك وابك بعد أن تعود إلى الدنيا فلدى أمر هام أريد أن تسمعه بعد أن تسترد كامل وعيك و تستعيد حواسك .

حسين : (لم تفلح محاولة منعه من البكاء) : أخبريني يا حبيبتي زمرد ، فأنا أستمع إليك بقلبي وروحي .

زمرد : بعد رحيلك من هنا عليك أن تعمل جاهدا مع أولئك الناس الذين ساعدوك فى المجيء هذه المرة ؛ لأنك بطاعتك لهم تنال رضاهم

عندها تخين لك الفرصة للمجيء هنا مرة أخرى، فمن أجل هذا ولكي تحقق رغبتك لا ترفض لهم أمرا ، وإذا لم يعدوا بإرسالك إلى هنا ثانية وضاعت عليك السبل فلتعد أدراجك إلى ذلك الوادي ولتقم هناك عند قبري حتى أرسل لك رسالة أخبرك فيها بحيلة أخرى للمجيء إلى هنا.

حسين : جبل طالقان؟؟!!

زمرد : نعم هناك ؛ فلو أنك أقمت هناك شهرا فسأخبرك بحيلة، وحذار أن تخبر أحدا.

حسين : لكن يا حبيبتى زمرد لماذا لا تخبريني الآن بهذه الحيلة لكي أبدأ تنفيذها ؟

زمرد : للأسف لم تستطع أن تفهم ، فما عليك إلا أن تفعل ما أخبرتك به ، ولن أخبرك بهذه الحيلة الآن.

حسين : انظري كم من الأيام همت فيها على وجهي؟؟.

زمرد : اصبر واعمل بقوة وتфан ، وحذار أن تكشف هذا الضعف والجبين حتى لو أزمعت على الانتحار.

حسين : أنا أخشى من هذا يا حبيبتى زمرد إن حبك يجعلني أحيانا أفقد الوعي فلا أميز بين الخير والشر، لقد قتلت عمي الشيخ نجم الدين نيسابوري من أجلك.

زمرد : أعلم ذلك لكن لا تشركني فيه(بعد أن سمعت وقع أقدام) قالت: اصمت الآن.

وفجأة حضر نحو سبع حوريات فى جمال ودلال ، وتقصدن إليهما
ويدآن فى مخاطبة حسين فى نغمة عذبة: هيا بنا نخرج الآن لتتزه لثرى
منظر الأرائك النورانية الواقعة فى الجنان ؛ فهذا الوقت جدير برؤية الربيع ،
كما أن للشراب الطهور مذاقا خاصا فى الكتوس .

حسين : إننى أفضل البقاء هنا وحيدا .

زمرد : ما الحرج فى ذهابك هناك ، امضى وسأرافقك أيضا .

حسين : نعم لو يرضيك ذلك فبماذا أتعلى وتمثل قول الشاعر :
(لقى الحبيب بأغلالة حول رقبتي ، وسوف ينزعها حينما يريد)

أمشى . . . وبعد فترة قصيرة جاءت بقية الحوريات بينما اصطحبت
زمرد حسين إلى خارج القصر الزمرد ، وذهبن جميعا وجلسن على الأسرة
الذهبية وسط الروضة حيث يوجد حوضان من المياه على جانبي السريـر
وتأكدت لحسين الحقائق بلا كلام ، فالحوض الأول هو الكوثر ، والحوض
الثانى به الشراب الطهور ، جلست بعض الحوريات أمامه بدان فى الغناء
وعلى شفاههن طرب وأثر عجيب ، بينما كان بعض الغلمان يقفون
بالأباريق والكتوس الذهبية وهم يدورون بمصاحبة الألحان والغناء ، وبعد
عدة كتوس غاب حسين عن وعيه ، وتبدت له حقيقة الأمر وبينما كان يرى
بعينه الناعسة الفاقدة الوعى ذلك العالم النورانى تراءت له زمرد تعانقه
بإحدى يديها وتسقيه فى فمه من الكأس المملوءة باليد الأخرى ، وقد تمتع
حسين متعة كاملة بهذه الصحبة اللطيفة ، لقد شرب من الكأس ثم بدا له
كما لو أن الدموع كانت تنقطر من عين زمرد مثل اللؤلؤ ؛ فقال دون
وعى: يا حبيبتي الجميلة هونى على نفسك ، ولا تكثرى ثم سقط مغشيا
عليه ، وبعد ذلك لم يدرك شيئا مما كان يدور حوله .

الباب الخامس

العودة إلى الدنيا مرة أخرى

بعد وقت قصير من فقدان الوعى والغفلة بدأ حسين يسترد وعيه قليلاً، ووصل إلى مسامعه صوت يقول: "أيها الجسد الترابى انهض وقبّل يد البررخ الأكبر الذى هو أمامك ؛ فهذا هو قد اختار الشكل المادى المحض المجرد من أجلك أنت فقط" ، فتح حسين عينيه بلا تكلف أو عناء فوجد أمامه بدلاً من الجنة وجوار زمرد ذلك الشخص المتوج بنفسه، الذى كان قد بايع على يديه وقد لقيه فى المنزل الأخير من رحلته إلى الفردوس الأعلى، فرك حسين عينيه ونهض ثم جلس تأدباً وخر على قدميه وبدأ يقول: "اللهم لا توقظنى من هذا الحلم".

فقال رجلٌ: لا ينبغي عليك الذهاب إلى العالم الأرضى، وحاذر إذ لا يجب الهروب مطلقاً من شيوخ الباطن، هاهى يدى فيها إلى جانب النور جزء مادى قليل جداً وقد تلاقت بيديك وستظل دائماً فى يد أولئك الناس الذين عن طريقهم تصل إلى هذا الملأ الأعلى.

حسين : لكننى الآن أريد البقاء فى الجنة عدة أيام أخر.

شخص : لا يمكن لك العيش فى هذا العالم المادي لكن يمكن لك ذلك فى تلك الدار الروحانية فاذهب ، عليك أن تنتظر وقتا تحاول فيه مرة أخرى أن تشرب من كأس الفناء بأمر من المرشد والإمام.

حسين : أنت إمامى، فاسقنى من كأس الفناء وأوصلنى إلى الفردوس الأعلى.

شخص : الآن نحن على حدود الملا الأعلى وليس هنا فناء، وفى تلك الأثناء جاءت نفس الحورية الحسناء التى أخذت من يدها الكأس المملوءة من قبل ، وما إن رآها هذا الرجل حتى قال: كفك الآن ولا تتعلل أكثر واحتس هذا الكأس الأخير من الشراب الطهور، ثم رفع الكأس بيده إلى حسين.

لقد أدرك حسين الآن أن هذا الشراب الطهور شراب لا يترك أثر السكر عليه، وكما أن نشوته كانت قد سمت به فى بداية أمره إلى عالم النور ، وسوف تنزل به الآن إلى حضيض الظلام، إلا أن مشقة اليأس قد ضاعفت عطشه حتى جعلته لا يتجرأ على الرفض فأخذه وشربه بهدوء ، وبعد فترة وجيزة فتح عينيه فبدأ يترأى له منظر مختلف أمام عينيه الحائرتين ؛ إذ كان أمامه صحراء أحيانا، وجبالاً عالية ومنخفضة أحيانا ، وفى النهاية وفى ليلة من الليالى فتح عينيه فإذا بشيخ الجب أمامه، وفى أول نظرة له ربت بيده على كتفه وقال: "يا حسين لقد عدت مرة ثانية إلى دائرة الجسد المظلم وقد رأيت بهاتين العينين الأنوار المحضة والمجردة، وهما أنت الآن ترى نور سيناء هكذا من خلال سبعين حجاباً".

فقال حسين (بعيون دامعة): لكنى لم أكن أريد المجيء إلى هذه الظلمة الترابية.

طور المعنى : لا شك أنك لا تريد، وأن عواطف نور الوحدة تجذبك هكذا إليها، لكن كيف يمكن لهذا الجسم الترابي المعيب أن يقيم دائما في موطن النور هذا.

حسين : بالله عليك حاول أن تأخذني إلى ذلك الملا الأعلى بعد التخلص من هذا الجسم الترابي .

طور المعنى : إن الشيخ على وجودي يمكن له أن يطمئنتك في هذه الأمور فاذهب إليه وافعل ما يأمرك به .

حسين : (بعد البكاء والنواح ويقلب متحمس) وأسفاه!! أبعد رياضتي هذه وبعد أوقات طويلة من الأمل لا أنال غير هذه المدة الوجيزة! فماذا أفعل حتى يكون وصل زمرد من نصيبى مرة أخرى؟!

وبعد هذا بدأ حسين يجهد بالبكاء والعويل حتى وصل ببكائه إلى النحيب .

طور المعنى : يا حفنة التراب العالية الهمة إنك بعد أن تخرج من خلوتي وتذهب إلى صفحة الوجود وتكمل هذا الأجل المحدود ستكون حبيسا في هذه الأرض المظلمة لبضعة أيام .

حسين : (في حيرة من أمره) يا ليت "حفنة التراب" هذا يدرك إلى متى سيظل حائرا هائما على وجهه في هذا العالم .

طور المعنى : إن حل تلك الرموز بالنسبة لك هو من عمل الشيخ على وجودي ؛ لأنه مرشدك، لكننى أريد أن أخبرك بسر وهو أن ريارتك لعالم النور ثانية ستكون برغبة هذا الإمام فقط، وهو الذى بايعت على

يديه وهو البروخ اللاهوت والناسوت ، وهو ذلك التجلى الذى يظهر فى الإمامة والنبوة بأشكال مختلفة.

حسين : ولكن كيف الوصول إلى ذلك؟ ولماذا أرمى فى قعر الظلمة هذا بعد أن كنت فى الملأ الأعلى.

طور المعنى : مع أن مكانه المحدد هو فى أرض النور الأعلى ، إلا أنه بسبب هذا النوع من العلاقات البسيطة يغير كثيرا من ملامح الإمامة وينجذب إلى أرض العناصر هذه فى كثير من الأوقات ، ولكنك لا يمكن أن تنال النجاح فى قصدك هذا بدون مرشد، لو أصبرت على ذلك فإن مرشدك الشيخ على وجودى سوف يساعدك فى هذا الأمر، فقط عليك الآن أن تترك خلوة النور هذه ، ولتذهب لكى تُقْبِلَ قدمى مرشدك ؛ إننى لأمل بهذه المقولة أن أضئ المصباح المظلم فى صدرك مرة ثانية ؛ حيث إن نوره سيخرجك من ذلك الغار ، إلا أن حيرته لم تنته بعد ؛ فقد رأى كاظم جنوبى واقفا على مدخل الغار (الجب) فى هذا الوضع وهذه الحالة التى كان قد تركه عليها، وعندما رآه كاظم جنوبى قال: "لعلك قد اطمانت إلى أنك أيضا فرع من شجر المعرفة.

حسين : متى جئت إلى هنا؟

كاظم جنوبى: الآن.. جئت معك.

حسين : الآن!

كاظم جنوبى: نعم الآن.

حسين : لقد مرّت عدة أسابيع منذ أن ودعتك.

كاظم جنوبى: (مبتسما) هناك فرق كبير بين هذا العالم وذلك العالم، فاليوم هنا يعادل سبعين سنة.

حسين : لعلها ساعة واحدة، ولكن لماذا تقف هنا؟

كاظم جنوبى: كان هذا بأمر الإمام قائم القيامة.

حسين : من هو الإمام قائم القيامة؟

كاظم جنوبى: هو نفسه الذى بايعت على يده فى سفرك لعالم النور.

حسين : لكن كيف تصل أوامره إليك؟

كاظم جنوبى: بوساطة ذلك المرشد ، وأنا واسطة بينهما من أجل طى طريق الحقيقة.

حسين : لعل مرشدك سيأتى إلى هنا؟

كاظم جنوبى: لا حاجة له فى ذلك ؛ فبنظرة واحدة منه تظهر أفكاره فى قلبى.

حسين : للأسف.. فقد أخرجت بالقوة من الجنة.

كاظم جنوبى: عليك ألا تشتكى من هذه الرموز الإلهية ، وأن تبحث عن مغزاها، فاذهب إلى مرشدك الشيخ على وجودي، لكن تذكر أنك جئت الآن بعد نزهة فى عالم النور، وعليك أن تذكره بذلك اللقب (الدينى) المشهور به فى هذا المكان.

حسين : هل له أيضا لقب آخر ؟ لم أسمع عنه.

كاظم جنوبي: نعم، هو الذى تعرف اسمه فى هذه الدنيا، لكنهم يطلقون عليه "الوادى الايمن" فى عالم النور.

حسين : (متعجباً) الوادى الايمن (بعد برهة من التفكير) لاشك أنه يجب تسميته بالوادى الايمن، فقد تراءى لى من جانبه الشعاع الأول لنور الحقيقة.

كاظم جنوبي: كفى واذهب الآن ولترغب فى الطلب.

حسين : لكن من الضروري أن أخبره عن إمكانية مرورى مرة أخرى فى عالم النور.

كاظم جنوبي: لاشك فى أنه يستطيع هذا الأمر، فالؤكد أن مرشدك إذا اهتم بذلك فإن كل الأمور تكون ممكنة.

بهذه الجملة أشعل كاظم جنوبي مصباح الأمل فى صدر حسين إلى حد ما وفى النهاية تركا المسكن الموحش وقدا إلى مدينة إصفهان، وبمجرد أن وصل كاظم جنوبي إلى باب مسجده صاح قائلاً: "من الأفضل سد فم الكلب بلقمة"، وبعدها ودعه حسين وسلك طريقه إلى مدينة حلب.

فى هذه الرحلة أخذ حسين يفكر فى الجنة وحورها فى كل وقت، ومع أن جسمه كان فى هذه الدنيا، لكن أفكاره ومعتقداته وروحه كانت تستمتع باستمرار بالعالم الآخر، عالم النور، وكان يقول فى خاطره؛ لقد اتضح لى الآن وبعد كل هذه التجارب ما معنى "موتوا قبل أن تموتوا" أو مهما كان البقاء فى هذه الدنيا، لماذا يقضى الإنسان فى عالم الملكوت شطراً كبيراً من حياته؟ بعد قطع علاقته بأرض العناصر هذه أو الدنيا والآن وفى هذه المرة عندما كان يتسجه من أصفهان إلى حلب تراءى له

شئ جديد عليه تماما أوقعه فى حيرة من أمره وهو أن أكثر الناس فى القرى والمدن التى كان يمر بها كانوا يعرفون تلقائيا بأنه رجع بعد أن طاف بالجنة، فأخذوا يأتون عنده ويباركون له فكان قلبه يضطرب، فما سر هذا الأمر؟ وأى علامة تلك التى بسببها يعرف الناس حالته؟ لقد استفسر عن هذا السر من بعض الناس، ولكن لم يخبره أحد بشئ، وزمرد الآن قد ملكت عليه عقله وقلبه أكثر من ذى قبل، فى النوم واليقظة، فى الجلوس والنهوض فى كل حالة كانت تترأى له صورتها الفاتنة أمامه، فكانت تستدعيه إليها أحيانا ، وتؤكد له على الصبر والتحمل أحيانا أخرى ، وكان يراها فى الحلم مضطربة، ووصل إلى مدينة حلب وذهب إلى الشيخ على الوجودى ، وخر على قدميه فأنهضه الشيخ وقبل جبينه وربط على ظهره ثم أجلسه بجواره، وقال: يا حسين لقد جئت بعد أن تزهرت فى اللاهوت الأكبر.

فقال حسين: أيها الشيخ لقد رأيت عالم النور بكل تجلياته، فى أيها الوادى الأيمن إن التسجلى الذى ظهر لى من جانبك كأنه اشتياق موسى للسؤال وتلقيه الرد بـ "لن ترانى" ، لكن ماذا أقول وبأى حشرات تركت أرض النور هذه؟

الشيخ : يا حفنة تراب! أخبرنا ماذا رأيت هناك؟

حسين : ما رأيته هو كل ما تتمناه العين.

الشيخ : لقد كان ذلك بسبب جاذبية النور ؛ فهل لاقيت زمرد؟

حسين : (بعد أن قُبِّل قدم الشيخ) قابلتها ، ولكنى حتى الآن لم أشبع منها (واغرورقت عيناه فلم يعد قادرا على الرؤية) .

الشيخ : ولكن جسمك الترايبى هذا لن يستطيع البقاء كثيرا فى موطن النور، فمع أنك تقول إننى متأكد بأننى رأيت عالم النور بعينى، إلا أننى أقول لك يا حسين إنك لم تراه.

حسين : لا.. إننى رأيته أيها الشيخ الوادى الأيمن ، وأعتقد أننى أراه بعينى الآن.

عندما سمع الشيخ هذا الجواب من حسين أخذته العزة واشتاط غضبا واحمرت عيناه وهب واقفا فجأة فى حماس ، أما حسين فقد ارتعدت فرائصه من الخوف من رأسه حتى إخمص قدميه.

وبدأ الشيخ يقول: أيها المتكبر المغرور يا حفنة من تراب أى طاقة لديك بحيث يمكنك أن ترى بعينيك القاصرتين هذا النور الأزلئ، لقد رأيته بعينيك الماديتين، فإن الأشعة الساطعة للأنوار الأزلئية لا يمكن لها أن تلمع وتومض فى الضوء الخافت ؛ فإن هذا النور غير المتحيز كان ظاهرا أمام جسمك ، ولا يمكن أن تتضح أطواره الحقيقة أمام عينيك بأى طريقة ، نعم إنك سوف ترى هذه الأنوار ، وسترى حالتها وشكلها الحقيقى، ولكن متى؟ بعد أن تترك هذا الجسد الترايبى ، وتصبح متجردا منه ، عندئذ ستذهب إلى منطقة النور ، وفى ذلك الوقت سوف يترامى لك أنك أيضا مصباح فى هذا النور الأزلئ.

حسين : (بصوت مرتعد) ولكننى الآن لا أريد المضى من هناك.

الشيخ : لاشك أنك ربما لا تريد ، ولكن كان هذا مستحيلا، فلا يمكن للنور أن يتحمل كثافة المادة.

حسين : لكنك أيها الشيخ الوادى الأيمن لو أردت فلإنك تستطيع الرجوع إلى عالم النور، آه أنا كثير الاضطراب من أجل زمرد.

الشيخ : (بعد أن استشاط غضبا) إذا كان هناك حب فيكفى هذا القدر ، لا يمكنك تحمل مشقة قبول عدم رؤية موطن السرو هذا، فلإنك إذا ألقيت بشيء مادي في النار فلإنها بعد أن تتعامل معه تنحى الشوائب المتبقية، وهكذا موطن النور فإنه يقذف بجسمك بعد أن يخرج منه الخير.

حسين : إذن فحررتني من قيد هذا الجسم الترابى بيديك حتى أذهب بعد التجرد والصلاحية وأخذ حبيتي زمرد في أحضانى فأى عجب فى هذا وهى حتى الآن بأسطة يديها شوقا لى .

الشيخ : الآن يستطيع الإمام قائم القيامة مساعدتك فى الوصول إلى هناك.

حسين : مع أننى بايعته فى هذا البروخ الأكبر وقت وصولى فى بلاطه إلا أنك ساعدتنى، وعونك لى مقدم على الجميع.

الشيخ : حسنا ، لا تقنط فلإننى سامتحنك مرة أخرى ، ولو نجحت فى هذا الامتحان فلإننى سوف أوصلك مع توصية منى إلى بلاط الإمامة .

حسين : فلتأمرنى سريعا فأنا مستعد للتنفيذ، فالموت أعظم أمنياتى ولو كان الموت من نصيبى فى هذا الامتحان ؛ فأى حظ سعيد لى أكثر من هذا.

الشيخ : أسلك الآن الطريق إلى مدينة دمشق واقتل الإمام نصر بن أحمد الذى يلقى خطبه ضدنا نحن معشر الباطنية ثم ارجع ..

حسين : سأرحل الآن ، ولكن أخبرنى هل نحن أولئك الباطنية الذين يذكرهم الناس أحيانا باسم "الملاحدة" ، وأحيانا أخرى باسم "القرامطة" .

الشيخ : لا شك ، نحن نؤيد إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ، ولأن الإمامة ظاهرة لهذا فإنه من الواجب علينا أن نبلغ بها فى الخفاء وبالطرق السرية الباطنية ، لقد فصلت الأنوار الأزلية فى هذا الأمر منذ القدم وهو أنه مادامت الإمامة ظاهرة فإن التبليغ بها يكون فى الباطن ، وعندما تكون الإمامة سرية وباطنية عندئذ يبدأ التبليغ بها علانية .

حسين : لكن أسباب ذلك أسمى من أن يدركها عقل القاصر .

الشيخ : لاشك أنها أسمى (وحدد فيه بقوة) إلا أن شكوكك الجاهلة أسمى بكثير ، فاتجه بخيالك إلى الله جل وعلا ترى أنه خفى ، ولهذا السبب فإن التبليغ والدعوة تكون علانية .

حسين : أيها الوادى الأمين إن النبوة ظلت ظاهرة ، وكانت الدعوة بها علانية باستمرار منذ زمان ظهورها .

استشاط الشيخ على وجودى غضبا ، وصاح بلهجة شديدة الغضب "الشیطان حتى الآن مستقر فى قلبك ، فقد أغواك ويعوق رغبتك فى الذهاب إلى عالم النور ، أنصت ، إن الإمامة فقط هى المرتبطة بهذا النظام ، أما النبوة فستظل ظاهرة دائما وظلت الدعوة إليها علانية منذ وقت ظهورها ، ولكن إلى أى شئ يتجه الناس فى دعوتهم إلى الرسالة والنبوة؟ إلى الله وناحية الفردوس الأعلى وكلاهما مخفى عن الدنيا !

حسين : (مرتبدا) ولكن الإمامة أيضا تدعو إلى مثل هذه الأشياء .

كان الشيخ قد بلغ به الغضب مبلغا ، وانتفض فجأة وهبّ واقفا وقال: أنت تشك في التنزه في عالم النور وتتجاهله ، إن الجنة ونور الأنوار لم تكن ظاهرة في عصر النبوة بهذا القدر الذي عليه الآن في عهد الإمامة ، فالرسالة لم تبعث مطلقا إلى موطن السرو هذا في شكل مادي ، في حين ظلت الإمامة تبعث باستمرار ، وعلى هذا تكون النتيجة الحاسمة والنهاية أن الفردوس الأعلى والنور الأزلّي كانا مخفيين في البداية ، وهما الآن ظاهران ؛ ولأنهما ظاهران الآن لذا يجب العمل على الدعوة لهما بطرق خفية وسرية .

حسين : يا أيها الوادى الأيمن لقد هدأت من روعي الآن ، وكان من الضروري أن ترتفع شكوكي ؛ لأننى سمعت كثيرا من الإشاعات والتهم التى لا أساس لها تنسب لهذا المذهب ، وكنت قد سمعت أن الناس فى ضمن حلقة ألموت تعرضوا لكل أنواع الدسائس للدخول فى هذا المذهب .

الشيخ : هذا محض افتراء من الأعداء والجهلاء ، ومثل هؤلاء الناس ليس لهم عين بصيرة ، وليس لهم قيمة أو اعتبار ، وليسوا أكثر من خفافيش أمام تلك الأنوار الأزلّية ، فهل هناك أى اعتبار لأقوالهم ، من المؤكد أنه بعد طى هذه الدرجات سوف يتراءى لك فى أى ملا أعلى نكون نحن؟ وبأى سهولة نتنزه فى موطن السرو؟ وهم فى أى قعر من الجهالة يسقطون؟ وكيف ينحدرون تحت الثرى يوما بعد يوم؟

حسين : أعلم ذلك ، نطق حسين بهذه العبارة ثم ودّع الشيخ وسلك طريقه إلى دمشق ليقبض روح الإمام نصر بن أحمد .

كان حسين الآن أكثر جرأة لمثل هذه الأعمال ؛ فالشكوك التي نشأت في قلبه في أول مرة لم يعد لها مكان فيه ، وكان قد تأكد أن الجنة في أيدي هؤلاء الناس الذين يعتقد بهم حقا وبإشارة منهم ينبو من أفعال الخير والشر ؛ فبالرغم من قتله لعالم جليل القدر إلا أن قلبه لم يتردد قيد أنملة ؛ لأن صورة الشيخ وزمرد قد شجعاه ، ووصل دمشق لتنفيذ الحكم على المرشد بوحشية ويقلب غاية في القسوة ؛ فانضم إلى أنصار الإمام نصر .

وكان قد رأى في هذا السفر ما حيره ، فبعض الناس في أثناء سيره في الطريق يتعرفون عليه ، ويعانقونه ، ويؤكدون له وحدة التفكير والأخوة ، وقد بدا له من هذا كم أن المتجانسين معه في الرأي والعقيدة منتشرون في الدنيا بكثرة؟ ولحسن حظه وبسبب اضطراب قلبه ساحت له الفرصة لتنفيذ هدفه بعد شهر ، ففي نهاية إحدى الليالي وعندما كان الإمام نصر مجاورا المسجد يؤدي صلاة التهجد وحيدا في الظلام ومختفيا عن الجميع غرس حسين الخنجير في قلبه ، بعد أن أغلق فمه بإحدى يديه ، وبعد أن قتله صرعه على الأرض وجثم فوق صدره وجلس فوقه بعد أن ضغط عليه ، وهكذا لم يصدر عن الإمام نصر صوت ولم يتململ ، وعندما صارت الجنة باردة تماما خرج من المسجد في صمت الهزيع الأخير من الليل وفي سكونه ورحل ، وفي الطريق جلس على شاطئ أحد الأنهار وغسل ملابسه واتجه صوب حلب .

وقد أثنى الشيخ على وجودي على خدماته وقوى من عزمه وقال إنك يا حسين تطوى مراحل اليقين بسرعة فائقة وتنجح في أهدافك .

حسين : أيها الوادى الأيمن إنتى متحير من أمر ما حيرة كبيرة فحيثما أذهب وأينما أتوجه فإن المتجانسين معى فى الفكر والعقيدة ينظرون إلى هيتى ويعرفوننى ، لكنى لا أستطيع معرفتهم .

د أن سمع الشيخ هذا أخرج مرآة من أحد الصناديق ، وبعد أن
أ قال : انظر إلى صورتك ألا تبدو على وجهك علامة ما .

سين : نعم هناك وسمه على الجبهة ولا أعرف أى وسمه هذه ربما
سقطت فى مكان ما فى مرحلة الطفولة .

شيخ : (مبتسما) لا هذه علامة قبلة الحور ، وهذا هو الشيء الذى
نما على أن الإنسان يمكن له أن ينتزه بجسده فى الفردوس الأعلى

سين : إذن فأولئك الناس الذين عرفونى غالبا ما تكون علامة قبلة
وجوده على جباههم .

شيخ : لاشك ، ربما تكون ، وانظر يا حسين إنها موجودة على
أيضا .

سين : (بعد أن رأى نفس هذه العلامة على جبهة الشيخ) لاشك
سام طى مدارج اليقين .

شيخ : يا حسين هذا شيء عظيم جدا ، فبعد الموت سيذهب جميع
إلى الجنة ، لكن الناس الذين تنزهوا فى الحياة الدنيوية فى مركز
لذا فإنهم سيفتخرون به هناك ، فإن هذه العلامة ستظل تلمع كالنور
بباهم هناك وهى بالنسبة لنا ستكون تأكيدا على التميز .

حسين : لكن هذه العلامة عزيزة عندي فى الدنيا ، يا ليت شفتى
أن تصل إلى جبهتى لكى أقبل هذه العلامة ويتسلى بها قلبى ، فلا
ن تكون هناك علامة لقبلة أحد آخر على جبهتى سوى لزمرد ولو
على قبلة فتكون فقط من شفتيها الياقوتية .

يوسمى أنا الفقير لورق الحناء لكى أقبل كف القدم ذلك بالرسالة
لكن للأسف فكما أن زمرد فى قلبى ولا أستطيع أن أنالها هكذا فإن
علامة قبلتها معى فى كل وقت لكن ليس من فرصة أستطيع أن أوصل بها
شفتى المشتاتين إلى هناك .

الشيخ : أبعد عنك الآن الأفكار الشاعرية ، واستعد لتقبيل أقدام
أمام القيامة .

حسين : لييك ، ولكن أيها الوادى الأيمن ردى لماذا تطلقون عليه أمام
القيامة؟

الشيخ : هذا أيضا رمز من الرموز الربانية ، ولعلك لا تعلم أيضا
أسماء أولئك الأئمة حتى الآن ، والذين يعدون أشعة النور الأزل
ويظهرون فى أجساد مختلفة ، وفى أوقات مختلفة ويظل هؤلاء دائما
الناشوت الأكبر ، وهو نفس النور الذى كان يشع فى الأجساد الطاهرة
لسيدنا آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات
الله عليهم أجمعين ، ثم ظهر فى النهاية فى جسد سيدنا على المرتضى ،
ولأن النبوة قد ختمت الآن لهذا فإن هذه الروح الواحدة بدأت تتقل فى
الأجساد المختلفة ثم سرت فى أجساد الحسين وعلى زين العابدين ومحمد
باقر عليهم السلام ، وهى ذلك النور الذى حل فى الجسد المنير لحضرة
جعفر الصادق وهو حى حتى تركت صورتها الجسدية وحلت أولاً فى
إسماعيل ثم فى محمد المكنوم بن إسماعيل وفى غضون عدة أيام ظل هذا
النور يشع فى الخفاء فى الأجساد الطاهرة بالترتيب الإمام منصور بن محمد
المكنوم وجعفر الصادق وحبيب بن جعفر ، وظلت الإمامة مخفية . . فى
ذلك الوقت عن إسماعيل .

والآن فإن هذا النور ظهر فجأة في ذات عبيد الله مهدي ، وأظهر أنواره الكاملة ، وصارت الإمامة ظاهرة ، وظل هذا النور من بعده يتبدل في الأجساد الظاهرة المختلفة باستمرار وبشكل علني، فأعلى درجات اللاهوت الأكبر توجد في أجساد القائم بأمر الله ومنه إلى منصور ثم المعز لدين الله ثم العزيز بالله فالحاكم بأمر الله ثم الظاهر لإعزاز دين الله ثم المنتصر بالله حيث تشع من جسده ومن بعده إلى نزار ثم حسن بن محمد عليه السلام ثم حلت هذه الأنوار الأزلية في الحال عند ركن الدين خور شاه حاكم قلعة الموت وهو إمام قائم قيامة البرزخ وهو تجلي اللاهوت والناسوت الذي ظل يصدر عن الأجساد المختلفة للإمامة والنبوة.

حسين : (في حيرة) وهو نفسه الذي بايعته على يديه في عالم اللاهوت.

الشيخ : هو نفسه.

حسين : ولكنك تقول إنه هو حاكم التumont^(١).

الشيخ : بلا شك لكن هذه العلائق الدنيوية وتجرده ونورانيته قد نالها من عالم الإلهام الغيبي ، ولا يمكن له أن يخدع ، وهذا هو الفرق بين الإمام الديني وعامة الناس، فالشيء الذي لا نستطيع أن نحصل عليه بالعمل والرياضة الروحية يمكن أن يحصل عليه كاملاً بالقطرة ، ولهذا يطلقون عليه برزخ العالمين.

حسين : ولماذا يدعى إمام القيامة؟

(١) هي قلعة الموت وأحياناً ترد هكذا في النص وهي خطأ وقع فيه النساخ .
(المترجم) .

الشيخ : (بعد أن هدأ قليلاً) نعم أنا لن أذكر لك سره الآن، ففى عهد الإمامين المستنصر ونزار كان يوجد فى الأنوار الأزلية شمع مضى جديد وغير عادى ، ويقال إن هذا الشمع هو انعكاس لنور الإمامة الجديدة والقديمة ، لكنه انعكاس كامل وضخم إلى الحد الذى أضاء بتجلياته جميع ممالك الأرض ، ومنه كان مصباح نور المراد الذى سطع فى الجسم الصافي لحسن بن الصباح، ولقب إمام القيامة كان من شعاع مرآة النور الإلهى ، والتى وصلت فجأة من حدود الدرجات العلى وأرض النور، فمثل هذه الطرق الصحيحة التى تنشأ فى الإنسان ويحصل بها أقل الناس على الكمال ، والتى كانت فى العهود القديمة مقصورة على الأنبياء والأئمة؛ فمن قبل لم يكن أحد يستطيع أن يفكر فى الذهاب إلى الفردوس الأعلى، لكن الآن وبعد ظهور الشعاع الإلهى الأسمى عرضت لى هذه الحالة وهى أننى أغمض عيني وفى لحظة تجدى أنتزه فى عالم النور ، ومن الممكن لك أنت ومئات المؤمنين أن تذهبوا إلى هذه الجنة وتمتعوا بمعانقة الحور، إن معنى القيامة عند أهل الظاهر هو ذلك الوقت الذى تنتهى فيه الحياة الدنيا ، لكن القيامة عند أهل الحقيقة والصوفية هى فقط هذه الحالة أو اسم ذلك الوقت الذى ينال فيه المخلوق القرب من الخالق أو شعاع النور، ولأن حسن الصباح نال درجة القرب هذه فى عهده ؛ لذا يطلق عليه إمام القيامة أى الإمامة التى عن طريقها يقترب المخلوق من الخالق ، ونتيجة لهذا الجوار فإنه فى غضون عدة أيام ؛ فإن الإمام على ذكره السلام هو صاحب الإمامة القديمة التى كانت تتقل جيلاً بعد جيل من سيدنا على المرتضى، وهو أيضاً الإمامة التى كان مصباحها يضىء فى البداية فى نفس حسن بن الصباح.

لقد جمع بين كلتا الإمامتين^(١) ، وفجأة ثارت الأنوار الأولية ، ومنذ ذلك اليوم رفعت عن العباد جميع التكليفات الشرعية ؛ ففي يوم ٢٧ رمضان ظهر شعاع النور والخطوة أى عليكم أيها المؤمنون أن تتحرروا من القيود الشرعية ، ولهذا السبب فإن ذلك اليوم بالنسبة لنا عيد وفي ذكره يتردد على لساننا كل وقت :-

انشرح الصدر وزال الحقد بتأييد إلهي، إمام الزمان "على ذكره السلام" .

حسين (بعد أن تملكته الحيرة): ولكنني أراك مُنهماكاً في الرياضة الروحية ليل نهار ، ومثلك مثل العديد من مرشدي هذه الفرقة الناجية الذين لاقيتهم يبدو جميعهم غاية في التقوى والورع وفي غاية الحيلة ومرتبطين بالشرع.

الشيخ : لاشك أن من يريدون طي درجات التصوف والعرفان عليهم طيها بالعبادة والرياضة ، لكن لم يفرض على المؤمنين الآن أى عبادة وخاصة المختارين منهم الذين يتقربون من الإمام قائم القيامة.

حسين : ولكن أيها الوادي الأيمن إن قلبي في حاجة إلى هدايتك واهتمامك، ورفع التكليفات الشرعية أحد الأشياء التي تبعث الشكوك في قلبي.

(١) هكذا تم الجمع بين الإمامتين، أما إمامة إمام القيامة فقد ورثها حسن بن الصباح والإمامة الثانية القديمة فإن "على ذكره السلام" قد زعم بتوليقات وإرشادات عظيمة أنني لست ابنه الذي ينسب إليه بل أنا في الحقيقة ابن من أبناء نزار بن المستنصر الفاطمي الذي كان مختبئاً في قلعة التمون، وهكذا يلتقي ببناء فاطمة (عليها السلام) في سلسلة النسب ، وكان قد أعلن أنه سيد بنفسه ، وأنه وارث للإمامة.

الشيخ : (بغضب) أتشك أيضا فى طى مثل هذه المتازل! أبعد السير فى عالم النور والجنة هناك شك، الآن ليس هذا شك بل وقاحة؛ اعلم أن جميع عبادات الله عز وجل لنيل القرب منه، وعندما يتم هذا القرب لا يكون هناك ضرورة لأى عبادة، لعلك سمعت أو رأيت أيضا أنه ليس هناك أى شخص مكلف بالعبادة فى الجنة، وهذا هو أصل الفكرة ومنشأها؛ فالعبادة تكون للتقرب من الأنوار الأزلية وهناك يحصل عليها كل فرد.

حسين : بلا شك هذا هو الهدف المقصود والعبادة هى الطريق إليه وبعد الوصول إلى الجنة لا يكون هناك أهمية لأى عبادة فى الحقيقة، لكن الناس الذين لا يزالون حتى الآن خارجها لا يمكن القول إنهم وصلوا إلى الهدف المقصود أو أنهم سيرون إليه أو هم فى الطريق لهذا؛ فالعبادة ضرورية لهم كذلك.

الشيخ : (وقد غضب غضبا شديدا وغاب عن وعيه) إن هذه الشبهات والشكوك تخرب هذا الهيكل الترابى (الجسد)؛ فهذا شك باستمرار والشك عقبة كبيرة، اسمع يا حسين إن إمام القيامة قال بنفسه إنه فى عالم النور هذا خارج عن الجسد ومعناه مع أن جسده يبدو فى هذا العالم المادى فى الظاهر إلا أنه فى الحقيقة بعيد عن هذه الماديات وفى الفردوس الأعلى، وأن ما يعنيه البقاء بالقرب منه والالتقاء به هو أن الإنسان بعد أن يخرج من هذه الأرض المظلمة ويصل بالقرب من اللاهوت الأكبر كيف تكون العبادة بعد أن يصل إلى هناك؟

حسين : حسنا، لقد ابتعدت شكوكى، إن كلامك يزيل دائما الشكوك من قلبى، ولنيل هذه الطمأنينة فلبنى أعرض عليك دون تردد ما قد يساورنى من شكوك.

الشيخ : حقا ، لقد اجتزت هذا الامتحان بنجاح ، وسأرسلك فى خدمة الإمام عليه السلام ، فاذهب إليه وأطع أوامره طاعة كاملة واليوم العشرون من صفر والسابع والعشرون من رمضان هو عيد إمام القيامة ، وسوف أحضر هناك فى هذا التاريخ أيضا ، وسوف يكون الشيخ (طور المعنى) موجودا هناك كذلك ، ولو تأثرت تأثرا كاملاً بطاعة إمام القيامة فسوف أشفع لك ، وسيفعل طور المعنى كذلك ، وفى ذلك الوقت سوف تنجح فى لقاء زمر ، لكن عليك أن تعلم فى هذا البلاط الأعلى ترفع عن كاهل الإنسان كثير من التكاليف الشرعية حيث يكون الانقياد هو الطاعة والعبادة ولو حدث تقصير فليس له علاج عندى ولا عند أى شخص آخر فيحرم المقصر للأبد من الرحمة الإلهية ويصير مطروداً أبدا وملعوناً لهذا البلاط .

حسين : إننى لن أعصى أى حكم .

الشيخ : إنه يختلف عن هذا المقام ؛ حيث تظهر شكوك قلبك هكذا بلا تكلف مثلما تفعل معى .

حسين : مطلقاً . لن أشك فى أى أمر .

الشيخ : لو أنك متماسك إلى حد ما ؛ فاذهب من هنا فى صباح الغد واتجه إلى قلعة آلوت ، وسأحملك رسالة تأخذها وتمثل بين يدى الإمام ولا تغادر هذا البلاط مادام لم يصدر أى أمر منى أو من هناك .

حسين : لن أغادر قط . (قال هذا ثم قُبِلَ قدمى الشيخ) .

وفى صباح اليوم التالى أخذ رسالة التوصية من الشيخ على وجودى وودعه وولى وجهه قبل المشرق ، وبعد عدة أيام وصل إلى أصفهان قادما

من بغداد ثم وصل إلى منطقة رودبار ، وكان في هذا السفر يتعرف على من هم على مذهبه دون عناء من علامة قبيلات الحور ؛ حيث يجدهم في كل مدينة وقرية ، وكانوا يخلصون له النية عندما يعترضهم ، وكان في قرية ديلم شخص باطنى يُعرف من علامة جبهته قد أتى لتوه من جنة الفردوس ، فأخذ حسين إلى بيته بصفاء قلب وإخلاص عظيم ، حيث حل عليه حسين ضيفاً عدة أيام ، وكانت هناك صحبة من الناس في منزله ، فقد اجتمع جمع من الباطنية الذين كانوا قد طعموا من الجنة في خلال عام أو عامين ، وكانت صحبة هؤلاء الناس خالية من الغرياء وقاصرة على من هم على شاكلته فبدأوا يتذكرون الجنة فيما بينهم ، وفي أثناء الكلام قال أحدهم : "لكن ظلت لى أمنية في الجنة " .

الثانى : (بدهشة) وما هى ؟

الأول : هناك أمر (بالجنة) يبدو فائق وخلاب حتى إنه يجعل القلب يتملص بلا سلطة ، لكن يعلم الله ما هذا الأمر؟ وقد حاولت آلاف المرات إلا أن الحورية الفاتنة لم تحب عن هذا الأمر .

الثانى : هذا موضع تعجب حقيقى ، فمثل هذا يجب ألا يكون فى الجنة فعندما يميل قلبك ناحية أية حورية ولم تلتفت إليك فإن جميع المتع سوف تذهب هباء حقا .

وبعد أن سمع هذا قال شخص ثالث فى الحقيقة : إن هناك بعض العيوب من هذا النوع تبدو للإنسان ، وكنت قد طرحت هذا الأمر على الشيخ الذى طمأننى بدوره بسهولة كبيرة ، حيث قال بحماس وحمية عظيمة وكأنه لا يزال يقول فى أذنى الآن: لقد ذهبت إلى عالم النور بعد

أن اصطحبت مع هيكلك المادى آلافا من الدنس ، ومن ثم آمل أن تنظر إلى اللجنة بشكل مجرد وصافٍ مثلما تراها بعينك غير الماديتين ، فهذا فى حد ذاته عيبك وعجزك المادى ، ومن ثم يبدو لك هذا النور شائن وبه عيب .

الأول : وأنا هناك كنت قد سمعت بهذا أيضا أن هذه الحورية لم تحصل على هذا التجرد الذى حصل عليه الآخرون ، ولهذا لم تنقطع عنها التعلقات المادية كلية .

الثانى : لاشك فى أنه ربما يكون هذا هو السبب ؛ ففى البداية كان يوجد عيب شخصى فى هذه الحورية ثم نظرت إليها بعينيك الماديتين فتضاعف القبح .

حسين : (بقدر من الاهتمام) ألم تعلم اسم هذه الحورية؟

الأول : نعم علمت ، اسمها زمرد ، وأنا لن أنسى حوريتى التى كنت أستمتع بها فى حضنى ، وقد علمت أنها متعلقة بأحد الهياكل الترابية بحيث لا تلتفت ناحية أى من المنتزهين فى اللجنة .

وفى اليوم الثانى مضى حسين قدما بعد أن ودعهم ، وظل لعدة أيام واقفا على باب قلعة الموت .

الباب السادس

المطروود الأزلئ

منع حسين على باب قلعة الموت؛ لأنه لم يستطيع تقديم تصريح الدخول إليها ؛ لذا أرسل إلى المسئول عن القلعة بالرسالة التى كان قد كتبها له الشيخ على وجودى ثم قدم طلبا إلى ركن الدين خورشاه وكان إماما لجميع الباطنية فى تلك الأيام وكان حفيدا لعلى - على ذكره السلام - وكان خورشاه آنذاك فى عتفوان الشباب ، ولكن عندما يظهر الإمام فى عقيدة هؤلاء الناس يكون هو الإمام ، ولهذا لا يوجد أى فرق فى تقديسه ومهابته بسبب حداثة عمره ، ففى رأيهم أنه مادام حصل على منصب الإمامة فهو معصوم ويتساوى فى ذلك طفل فى السادسة من عمره مع عجوز فى السبعين من عمره، وأحكام كل منهما واجبة التنفيذ على قدم المساواة ، وكان حسن ابن الصباح قد أسس هذا المذهب وهذه المملكة بعد جهود خارقة ، وقد انقضى عليها الآن مائة وخمسون عاما ، وبالرغم من الثورات الكبرى التى حدثت فى العالم إلا أن هذه الأسرة ما تزال تبسط سيطرتها ، وقد أضر بمكانتها السياسية بعض الأبطال المغامرين والغزاة مرة

أو مرتين ، إلا أن أثرها الديني انتشر أكثر من ذي قبل واستمرت قلعة آلوت هكذا محصنة وفي مأمن ، وبالرغم من الاعتراض والمخالفة فلا أحد يستطيع أن يمسه بسوء .

إن تاج الإمامة الدينية كان قد بدأ من هنا على رأس هؤلاء الملوك ، ولكن منذ بداية عهد على ذكره السلام ؛ فإن هؤلاء الناس بدأوا يطلقون على أنفسهم لقب الإمام والأسرة الخالدة لبني فاطمة ، ولهذا فإن على ذكره السلام قد زعم أنه عندما كان طفلاً استبدل بطريقة سرية بحفيد نزار بن المستنصر الفاطمي ، ومن ثم فقد ادعى هؤلاء الناس المطالبة بالإمامة علانية آنذاك ، وهم الآن يظهرون بأنفسهم برزخ الناسوت واللاهوت والنور المحض ، وهؤلاء الناس هم الذين يمثلون للأوامر بعد أن يغضوا الطرف عن أوامر الملك أو الإمام بلا عذر أو سبب ، والتي ترتعد الدنيا بأثرها من خنجرهم يسمون بالفدائيين وطريقتهم التضحية بالنفس بأمر الحاكم والإمام ، وهم يعتبرون الانتحار وسيلة للخلاص والنجاة ، وبسبب أولئك الفدائيين كان ذلك الرعب والرهبنة في بلاط ركن الدين خورشاه ، وربما لم يدانيه في ذلك في عهده بلاط ملك آخر ، وليس لأي شخص هنا طاقة على المعارضة ، كما لا يخطر على باله سوء الأدب أمام الملك .

وعندما رأوا خطاب الشيخ على وجودي سمحوا لحسين بالثول بين يديه فقد أخذ فدايى قوى البنية، مهيب الجانب ، واصطحبه إلى خورشاه وعندما ، مثل حسين أمامه ورأى صورة حاكم آلوت أسرع فتعثرت أقدامه وصاح "هذا إمامي! هذا إمامي" ، وتردد ركن الدين في رفعه إليه فقام بعض من كبار القوم من أهل البلاط برفعه ثم أوقفوه فقال: لاشك في أنه

إمام الزمان والنور المحض ، ولكنى أستعمل الصبر والأدب وأقدم التماساً إليه .

خورشاه: أيها الشاب الأملى ماذا من أمرك؟ فالوادي الأيمن يشئ عليك ثناءً جميلاً ، ويمتدح فيك علمك وفضلك وشجاعتك وتضحيتك .

حسين : (بعد أن قبل الأرض بأدب) فقط بسبب أنني لم أقصر لحظة في أداء خدمته ، ولم أتحجراً مطلقاً وأحيد عن أمر بحر الحقيقة .

خورشاه: والآن لآى سبب أرسلك الشيخ إلى هنا؟

حسين : يا إمام القيامة ، إننى أريد رؤية الفردوس الأعلى وأنظر إليها مرة أخرى .

خورشاه: (بعد تفكير) إن ومضات الأنوار الأزلية لا يزال ينبعث منها هذا الصوت ردد "لن ترانى" .

حسين : لكن اهتمام إمام القيامة شفع لى فليس من الصعب ألاتحقق أمنيتى .

خورشاه: أيها الهيكل الترايى المجنون ، إننى الآن لا أستطيع أن أعدك بأى نوع من الأمانى فيما يتعلق بذلك .

وبعد أن قال خورشاه هذا التفت إلى أحد الأشخاص بينما قال حسين بصوت مفعم بالآلم واليأس، بعد أن دمعت عيناه : "لو أذن بلاط الإمامة لهذا الفدائى الحقير بأن يقف على هذه العتبة انتظاراً لذلك الوقت مادام هذا سوف يحقق أمنيتى ويمناسبة العيد القادم لإمام القيامة سوف يحضر الوادي الأيمن إلى هنا أيضاً فأى عجب فى ذلك اليوم عندما يجتمع

الإمام وقائم القيامة فى مكان واحد ويقترب المخلوق من الخالق والشعاع من النور، فلتقبل دعائى " .

خورشاه: حسنا. قف .. لكن عليك أن تعلم أن الاختبار هنا صعب للغاية .

حسين : أنا مستعد لتأدية جميع أنواع الاختبارات .

وبعد هذا اتجه خورشاه ناحية شخص ثان وسأله : متى جئت ياديدار؟

ديدار : (بعد أن طلب العفو) اليوم فى الصباح .

خورشاه: وهل أتميزت المهمة التى ذهبت من أجلها؟

ديدار : إن خنجرى لا يخطئ الهدف قط؛ فمع أن المهمة كانت مستحيلة ، لكننى أتميزتها بنجاح كبير شوقا للجنة والذهاب إليها ولاأمر الإمام .

خورشاه: حسنا ، صف لنا كيف قتلت جغتائى خان .

ديدار : يا إمام القيامة كان فى تركستان فدائى اسمه متقى نشأت بينه وبين فدوى صداقة قوية بعد أن شارك فى جميع المجالس واللقاءات حتى بدا لدى منقوخان الابن الشجاع لجغتائى خان رغبة قوية للقاءى؛ فدعائى للإقامة فى بيته واستمرت على هذه الحالة لعدة أشهر ولم يكن يميل إلى أى أمر، ما لم أكن معه وعرفنى بأبيه وعندئذ صار جغتائى خان أيضا شغوفًا بأحاديثى ، وظل الأب والأبناء لعدة أيام ليس لهم أنيس ولا جليس غيرى، وكان جغتائى خان بنفسه مهيب الجانب قوى البنيان حيث لاح استحالة نجاح الهجوم عليه ، ولهذا السبب لم تسعبنى الشجاعة رغم

أن الفرصة سنحت لى عدة مرات ، وفى نهاية الأمر وفى مساء أحد الأيام كان هولاكوخان قد جاء لأمر وذهب متقوخن للقاءه فوجدت جغتائى خان ينام وحيدا ، ولم اكن أتوقع فرصة سانحة أنسب من هذه فالتحمت معه أولاً وقيدت يديه ورجليه بالحبال ثم جثمت على صدره وقضيت عليه وبعد قتل جغتائى خان عدت ، ولكن كانت الأوامر عندى أن أخبر هؤلاء الناس أن جغتائى خان قد قتل ومن أجل هذا الغرض كتبت كل هذه التفاصيل فى رسالة واحتفظت بها عندى فى البداية وبعد ذلك أخذت هذه الرسالة واتجهت ناحية مقر هولاكوخان ، ومن حسن حظى أننى لاقيت ابن جغتائى خان فى الطريق ، وكان عائدا لتوّه إلى بيته بعد لقاء هولاكوخان ، وفى ظلام الليل وضعت تلك الرسالة فى يديه وهربت واختفيت فى إحدى الغابات القريبة ، وفى صباح اليوم الثانى علمت أن الماتم سعد فى قراقورم^(*) وكل شخص يبحث عنى بعد هذه الحادثة ؛ فأويت إلى غار وبقيت فيه مختبئا ثمانية أيام كاملة ، وفى اليوم التاسع تبين لى أن الساحة خالية منهم فخرجت من الغار واتجهت إلى هنا ؛ ولأنال بعد ثلاثة شهور الآن شرف تقبيل العتبة .

خورشاه: لاشك يا ديدار أنك قمت بعمل عظيم، وتستحق أن تنتزه فى اللجنة اليوم.

بعد أن سمع ديدار هذا خر على قدمى الملك ، ولكن خورشاه نفسه رفعه بيديه واصطحبه معه بينما حسين الذى غاب عن وعيه قال بحماس: أيها الملك الظالم أنا أحق الناس بالذهاب للجنة وأنا مشتاق لها وإلا فامتنحى، اختبرنى بأن أقتل شخصا ما؛ آه فأنا لا أصبر على فراق زمرد.

(*) كانت قراقورم عاصمة التتار القديمة وهى قريبة من كاشغر (المؤلف) .

خورشاه: الآن لا يمكن امتحانك ، وليس لك حق فى الذهاب إلى
جنة الفردوس .

حسين : (فى صباح وجلة) ليس هناك أحد أحق بها منى فقد
أطفأت مصباح حياة الإمام نجم الدين النيسابورى وخضبت يدى بدماء
الإمام نصر بن أحمد ، أبعد هذا يوجد أحد أحق منى؟ أنا لا أستحقها
فقط من أجل عدم صبرى ، ولكن هناك حورية مضطربة وحائرة من
أجلى . انتبه الجميع بعد سماع هذه الجملة الوقحة وتسارع البعض للهجوم
على حسين ، وكان بالقرب منه فدائي قوى البنيان كاد أن يفتك به ،
ولكن الجميع توقفوا بإشارة من يد خورشاه الذى نظر إلى حسين بحدة
وقال: أقول لك إن جزاء هذه الوقاحة وسوء الأدب أن تطرد فوراً من
القاعة ، ولن يسمح لك قط أن تخطأ بأقدامك غير الطاهرة الأرض الطاهرة
للفردوس الأعلى، كان جزاؤك القتل، ولأسباب عدة رأيت أن قتلك غير
مناسب ، ولكن الآن لا يمكن لك أن تلبث ساعة فى القلعة، وفكر حسين
فى وقاحته وخر على الأرض ذاهلاً عن نفسه وبلهجة عاجزة وخاضعة بدأ
يكيى ويتحب ويقول: لا يا إمام القيامة أعفُ عن خطاى ؛ لقد جعلنى
حماس الحب بلا وعى وذاهلاً عن نفسى لكننى لم أقصد ما قلت تماماً،
فاصطحب خورشاه ديدار إلى قصره وذهب ، وبمجرد أن ذهب أمسك
الحراس بقوة بتلايب حسين وأخرجوه من القلعة ، وأخذ يسترحمهم
ويستجدي عطفهم ولكن لم يرق له أحد ، بل قال له بعضهم إنك
محظوظ لأنك تطرد خارج البلد وإلا فإن القتل هنا جزاء الوقاحة .

حسين : إذن ماذا أفعل الآن؟ وأين أذهب؟

الحراس : نحن لا نعرف؟ فهذا شأنك .

كان اليأس قد بلغ بحسين مبلغاً في ذلك الوقت، فلم يكن قد يش من وصال زمرد فحسب بل كان قد ابتعد بنفسه عن الأبدية والرحمة، كان في اعتقاده أنه ما دام قد طرد من هذا البلاط فإنه لن يجد له مأوى، فأخذ يتدب حظه في الجبال خارج قلعة الموت ويضرب رأسه في الصخور، وحديثه قلبه بأن يذهب إلى الشيخ على وجودي ويطلب منه العفو، ولكنه ظن أنه بعد أن طرد من بلاط الإمامة هذا فلن يجد له ملجأ هناك، ولكنه استبعد هذه الفكرة ورأى اليأس محققاً به من كل جانب، وفي النهاية تذكر نصيحة زمرد وإلى جانب هذا تراءت أمام عينيه صورة زمرد والممر الجبلي لجبل "البرز"، وفجأة قال بلا تفكير يجب على الذهاب هناك؛ فلم يعد لي الآن أي ملاذ ألتجأ إليه سواه، ولكن مع هذا خطر على باله أنه لا أمل كذلك في النجاح هناك مادامت علاقته قد قطعت تماماً بالقلعة والجنة، ومن ثم فلن ترضى عني كذلك ولو افترضت أنها سترضى وذلك الحب القديم مستقر في قلبها أمن الممكن أن تساعدني بأي نوع من المساعدة خلافاً لأمر المرشد والإمام؟ والآن لم يعد لديه أمل، أمكن لها أن تدلني على طريق لنجحي مثل ما وعدتني من قبل؟! وانخرط في البكاء بعد هذه الفكرة، وكان يخطر على قلبه مراوا أن يضرب رأسه في هذه الجبال ويتحجر، ولكن من المؤكد أن اليأس سيكون مضاعفاً، وفي النهاية قرر أن يذهب إلى قبر زمرد ويجلس عنده، فماذا يمكن أن يقلل من اليأس فسوف يضاعف ذلك من اضطراب القلب، عندئذ سوف احتضن قبر هذه الحورية.

وبعد أن قرر هذا طأطأ رأسه وأخذ يبكي، ذهب أولاً إلى قزوين ثم خرج من قزوين إلى جبل البرز، ووصل إلى ذلك الممر الجبلي القديم

حيث أقام هناك ، وبعد هذه الثورة وتلك الحيرة صار مجاوراً لقبر محبوبته الفاتنة ، وهكذا ظل مشغولاً بقراءة الفاتحة والعبادة ليل نهار ، كان يمكث عند القبر لساعات يتحدث مع طيف زمرد ويكي مرارا ويقول : "أيها الفاتنة يا من تسكنين الفردوس ، بالله عليك انجهي ناحية قبرك وانظري كم أنا حيران ومضطرب ، آه فلا صبر لى على فراقك وحبك ، وقد خسرت العالمين فلا أنا هنا ولا أنا هناك ، فلم يبق فى هذه الدنيا ولا فى ذلك العالم غير رضاك أنت أيتها المحبوبة الوفية يا بلاطى الأزلى فانظري يا حبيبتي إلى حالتي المزرية ، واشفعى لى ولا تتركينى يائسا من وصلك ونيل صدقة لحبك .

كانت هذه المشاعر التى يظهرها أمام القبر ، وكان مثل هذا الدعاء هو الذى يردده كل وقت ، وفى النهاية تحققت أمنيته فى أحد الأيام حيث فتح عينيه فى الصباح الباكر فرأى على القبر رسالة من زمرد ، لم تكن رسالة بل رسالتين إحداهما فى مظروف مغلق والثانية مفتوحة ، وأخذ حسين الرسالتين وقبلهما ووضعهما على عينيه وبدأ يقرأ الرسالة المفتوحة :

"يا حسين إنك قد أخطأت خطأ جسيماً ، فقد أسأت الأدب فى حضور الإمام قائم القيامة ، وإنه لكسب لأنك قد نجوت ، وآسفاه فأنا لم أستطيع أن التفت إليك بقلبي ، وجئت إلى هنا عدة أيام ، وسوف أرجع مضطربة ، ونتيجة لهذا الاضطراب أكتب لك هذه الرسالة ، وبما يؤسف له أننى لم أكن أرغب فى العمل الذى ارتضيت ، ولكنى كنت مضطرة فلماذا تركت الأمر الذى كان ينبغى أن يكون ، حسنا الآن أنت مستعد لتنفيذ خطتى ، لكن عليك أن تفهم أن هذا العمل خطير للغاية ويجب أن تؤديه بصبر ودقة ، وإذا عملت خلافا لرأى ولو قليلاً فسوف

يلحق الضرر بك وبى أيضا ، ومن ثم سوف لا نستطيع اللقاء مطلقا فهذه آخر حيلة وأخطرها وأنا مضطرة لتنفيذها فى هذا الوقت بعد أن تأكدت الآن أن جميع أبواب الأمل والرجاء قد أوصدت دونك . أما هذه الرسالة الثانية التى ستجدها مع هذه الرسالة فاحتفظ بها مغلقة هكذا وخذها واتجه ناحية الشرق واذهب مباشرة إلى مدينة قراقورم القريبة من كاشغر حيث الملكة بلغان خاتون وهى إحدى ملكات الأسرة الملكية المغولية ، وحاول اللقاء بها منفردا وأعطاها رسالتى هذه ولا تحاول أن تعرف بها ولا تسأل بلغان خاتون عن أمرها ، عليك فقط أن تجيب إجابة صحيحة على سؤالها لك ، ولو وافقت الملكة بلغان خاتون على هذا الأمر فسوف تساعدك وإن رغبت فى المجيء معك فأحضرها هى ومن معها إلى قبرى وانتظروا، سوف تظهر لك بلغات خاتون كرمها فى الغالب ، ومن المؤكد أنها سوف تصمم على المجيء إلى هنا مع جيش من قومها فعلى الرحب والسعة ، وترقب ماذا يكشف عنه الغيب " حبيبتك زمرد " .

قرأ حسين هذه الرسالة ووضع الرسالة الثانية فى صدره بحذر وهب واقفا واتجه ناحية قراقورم على الفور، وفى الطريق كانت هذه الفكرة تخطر على قلبه مرارا وهى ما الغرض الذى من أجله أرسلتنى زمرد إلى هناك ، ولكنه كان يبعد عنه هذه الفكرة ، ويقول إن زمرد قد منعتنى من التجسس على هذه الأمور ، ومع هذا كان الفكر قد استبد به فى هذا الأمر وهو أن زمرد قد نصحته بأن يجيب بصدق على أسئلة الملكة . لقد انتهيت من مثل هذه الأعمال وعند إفشائها أفكر فى نفسى، فهل أخبرها أنني قتلت الإمام نجم الدين النيسابورى بلا ذنب أو جريرة، وسلبت روح الإمام نصر بن أحمد وهو يصلى ، وكل هذه الأفعال ممنوعة فربما أصدرت

أمرًا يقتلى لو علمت أن لى علاقة ما بالفرقة الباطنية، وفى الأشهر العديدة التى كنت أطوى فيها منازل السفر كانت هذه الأفكار تأتىنى ويخامرنى هذا النوع من الظنون، وفى النهاية وصلت إلى هراة ودخلت حدود تركستان ثم وصلت بعد عدة أيام إلى مدينة قراقورم الخاصة التى كانت مركز التتار وعاصمتهم، وبعد أن وصلت إلى قراقورم انقضت عدة أشهر كذلك دون الوصول إلى الملكة بلغان خاتون، التى كانت قصص حسناتها وجمالها مشهورة فى كل المدينة، ويقال إنها اعتزلت جميع الملذات الدنيوية بسبب صدمتها فى موت أبيها، وكان لها حديقة خارج المدينة مجهز بها موضع للصيد واسع وممتع، لكن الحزن على أبيها جعلها هكذا كثيرة، فلم تعد تأتى إلى هذه الحديقة، وذات يوم كان حسين واقفاً فى وسط المدينة وفجأة حدث ضجيج وجلبة "الملكة بلغان خاتون قادمة"؛ فوقف بجانب الطريق، لم يطل انتظاره فقد قدمت الملكة مع عدد من صويحباتها يمتطين ظهور الخيل ثم مضيّن سريعا. ربما تجرأ حسين وخاطر بروحه وأعطاها الرسالة فى يدها، إلا أن رمرد كانت قد أكدت عليه أن يعطيها لها حين تكون بمفردها؛ فظل واقفا صامتا وقد أصابه اليأس، وعندما مضت الملكة قال فى نفسه يبدو أنه من المستحيل وصولى إلى مخدع هذه الملكة الجميلة.

انقضت عدة أيام آخر فإذا به قد سمع أن الملكة تعتزم بعد فترة من الوقت الذهاب إلى مكان الصيد والحديقة فدب الأمل فى حسين؛ لأنه قد يجد الفرصة سانحة هناك، ومن أجل هذه الفكرة فإنه فى البداية ظل مختبئا فى موقع الصيد، وهناك جاءت الملكة بلغان خاتون ومضت لكن الفرصة لم تسنح لحسين، فقد التقى بالملكة عدة مرات ولكن فى كل مرة كانت معها صديقة من صديقاتها.

حين استبد بحسين اليأس فكر فى حيلة أخيرة وهى أن يطلب وظيفة ، وهكذا يصل إلى مقر الملكة ، وكان بعد إقامته فى قراقورم هذه الفترة قد نشأ له أصدقاء عدة فزكوه لديها حتى نال بصعوبة شرف رئاسة اصطبل الملكة ، بعد شهرين من تسلمه لهذه الوظيفة لم تسنح له الفرصة للقائها بمفردها ، وفى النهاية عندما نهضت الملكة من فراشها الوثير ذات مرة فى الصباح الباكر ذاهبة إلى الحمام كانت بمفردها تماما فقابلها وصافحها بعد أن تعلم ، ويعد أن رأت بلغان خاتون أن حسين يعترض طريقها بشكل غير عادى ، توقفت وسألته : لماذا؟

حسين(بعد أن قبل الأرض أمامها) : الجميع بخير ، لكننى أحمل للملكة رسالة حصلت عليها منذ أشهر ، ومنذ ذلك الوقت أقسم فى قراقورم ولم يكن مسموحا لى تقديم هذه الرسالة بدون أن تكونى بمفردك ، ويسبب ذلك كان هذا الحد من التأخير ، واضطرت أن أقبل وظيفة الملكة ، وبعد سلسلة من الفشل الذريع ولحسن حظى سنحت لى الفرصة الآن لتقديم هذه الرسالة ، بعد أن قال هذا أخرج رسالة زمررد وأعطائها للملكة .

لم تكن الملكة بلغان خاتون مثل نساء التتار بل كانت عكس ذلك كذلك من أمراء التتار ، ملكة على قدر كبير من التعليم والتحضر والثقافة فكانت تتحدث الفارسية بطلاقة ، ليس هذا فقط بل كانت تستطيع أن تنقد شعر شعراء فارس بشكل جيد وتفهم أصعب ما فى الفارسية وأبلغها على أكمل وجه ، فأخذت الرسالة ونظرت فيها بتمعن ، وكان غلاف الرسالة بسيطا وبلا زخارف فنظرت إلى حسين بتعجب وسألته : من الذى أرسل هذه الرسالة؟

حسين : ستعلم الملكة ذلك بعد قراءتها ، وفى حدود علمى فإن هذه الرسالة لم يخطها إنسان بل هى من إحدى الحوريات التى تسكن فى ذلك الفردوس الأعلى فى النور الأبدى، تملك الحيرة بلغان خاتون بعد أن سمعت هذه الإجابة ونظرت إلى حسين وسألته : "إذا كانت هذه رسالة إحدى حوريات الفردوس الأعلى فكيف التقيت بها وما هى صلتك بها؟" .

حسين : كل ما يربطنى بها هو الحسرة على ذكرها فقط ، وأحيانا تصلى منها رسالة بإحدى الطرق الروحانية .

رادت حيرة الملكة الترية بعد أن سمعت هذا ، وأمعنت النظر فى حسين ثم فكرت وقالت : "حسنا، اذهب أنت الآن، وسوف أقرأ هذه الرسالة بىروية واطمئنان ثم أستدعيك" .

حسين : (بعد أن وضع يده بأدب على صدره) : حسنا ، ولكن على الملكة إن أرادت الاستفسار عن الأمر أن تستدعيني بمفردها فأنا لا أستطيع أن أبوح بسرى بشكل جيد أمام شخص آخر .

بلغان خاتون : سوف ألتقى بك بمفردى .

كانت هذه الرسالة إلى جانب وصف حسين من الأشياء غير العادية حتى إن الملكة بلغان خاتون نسيت الاستحمام، وقفل حسين عائدا بينما انقلبت هى إلى مخدعها ، وبعد أن جلست بمفردها فتحت الرسالة وبدأت قراءتها باهتمام وتدبر شديدين ، فكان مضمونها كما يلى :

"أيها الملكة الحزينة الطيبة، لقد ابتليت بالحزن على أبيك الذى قتل بخداع مكر على يد فدائى الباطنية ديدار، إتنى أواسيك فى الملك وحزنك ، ولهذا فلأتنى - خلافا لوظيفتى - أخبرك بأن ديدار يجلس هنا فى قلعة

آلوت يستمتع بالجنة فلو أردت الانتقام لأبيك ورغبت فى القضاء على إحدى الفتن الكبرى فى هذه الدنيا، فتعالى مع حسين، الذى حمل رسالتى والذى بسبب الشوق إلى زيارة الجنة فقد العقل والحواس بل حتى الإيمان والدين، تعالى إلى قبرى فى وادى جبل البرز، وبعد أن تأتى أقبلى أحجار القبر وسوف تجدان أسفلها رسالتى الثانية التى سترشدك إلى ما ينبغى عمله فإلى جانب انتقامك لأبيك ستكتشفين لغزا كبيرا، وتفشين أكبر أسرار الدنيا وستعلمين الفرق بين الدنيا والملا الأعلى، وتستطيعين أن تسألى حسين عن أحواله وسوف يتضح لك أى أثر للفردوس الأعلى - حيث أكون - على قلبه، وسوف أجعلك شاهدين هذه الجنة بدون صعوبة، ولعل المجرم يقع فى يديك؛ لذا تعالى وأسرعى بالمجيء.

لكن تذكرى أن تكونى موجودة على قبرى فى صباح السابع والعشرين من رمضان، إلى جانب هذا من الضروري أن يكون أحد الجيوش التتية موجودة بأعداد كبيرة بالقرب منك، ولكنك يجب ألا تحضرى معك على قبرى أكثر من أربعة أفراد.

ساكنة الفردوس.. زمرد.

لم يكن تأثير هذه الرسالة على بلغان خاتون بأقل من تأثير السحر؛ فكانت وهى تقرأها تغضب غضبا لا حدود له، وأحيانا تسيطر على قلبها أفكارا خاصة بشكل كبير؛ فلا يقر لها قرار ولكن حيرتها ودهشتها بلغت مبلغا لا حد له، لقد قرأت الرسالة عدة مرات من أولها حتى آخرها وتفكر قليلا ثم تقرأ وتمعن فى التفكير ثم تفكر ويمتلكها الغضب وتبدأ فى التفكير بعد أن تضع يدها على الحدود الذهبية الرقيقة، وفى النهاية وبعد كثير من الاضطراب والتردد استدعت حسين وبادرته بالسؤال:

أتعلم ماذا كتب فى هذه الرسالة؟

حسين: لا ، لا أعلم حرفا مما جاء فيها.

جعلت هذه الإجابة بلغان خاتون تحقق فى حسين وتتنظر إليه بعين الشك ثم سألت:

- هل أنت باطنى؟

حسين: (فى رهبة): نعم.

بلغان خاتون: هل تنزهت فى الجنة؟

حسين: رأيتها مرة واحدة وأطعم فى رؤيتها مرة ثانية.

بلغان خاتون: حسنا، سوف تحقق هذه الرغبة، ولكن أخبرنى هل تعد من القدائين كذلك.

حسين: لا شك فى ذلك.

حملقت بلغان خاتون فى حين بعد أن سمعت هذه الإجابة ثم قالت: كم من الأنفس قتلت؟

حسين: فقط شخصين ، لكنهما من الكبار ، وقد ندمت على قتلهما.

بلغان خاتون: ألم تخف أثناء إعمال هذا الخنجر فيهما.

حسين: حدث ذلك، لكننى لم أكن أستطيع أن أحيى عن أمر المرشد.

بلغان خاتون: (بدهشة): ألم تفكر فى الخير والشر عند ارتكابك لمثل هذه الكبائر بأمر المرشد؟

حسين: متى يخطر على بالنا الخير والشر ونحن ننظر إلى كل شيء فى الظاهر، والشيخ تقع عينيه على الباطن- أو كما يحلو له القول - الحقيقة الأصلية.

بلغان خاتون: لو قال لك المرشد ألقى بنفسك فى البئر هل تفعل؟

حسين: بلا تفكير ؛ لأن ذلك هو أول عقائلنا ورياضتنا الروحية الأولى ؛ فالمرشد يأمر بعد أن يرى الخير ولا يكون أمامه أى وجود للشر أو الضرر.

بلغان خاتون: كيف افترقت عنك زمرد؟

حسين: لقد منعتها، لكنها لم توافق وسلكت هذا الممر الجبلى فى جبل البرز حيث يمر به الحور أحيانا، وفى أثناء سيرنا وصلت الحوريات وقتلوهما على الفور وأعدوا لها قبرا هناك وهو الذى أخذت أبكى وأنوح عليه فترة من الوقت.

لقد أوصلت الشهادة زمرد إلى الفردوس الأعلى وجاورت أنا القبر فى انتظار الموت، فلذا بزمرد ترسل لى رسالة من الفردوس الأعلى تنصحنى فيها بالدخول فى الفرقة الباطنية الناجية، وتخبرنى بطريقة الوصول لها وطبقا لنصائحها هذه حظيت بشرف رؤيتها مرة واحدة، لكن للأسف لا أمل فى لقائها مرة ثانية.

والآن فإننى أسعى ثانية لزيارتها و (سييدا) ذلك عن طريقك ، لكن نظرا لأنك لم تسمى لى بالسؤال لذا لا أستطيع أن أتمنى شيئا فى حضورك.

اندهشت بلغان خاتون من سداجة حسين، فابتسمت قليلاً ثم قالت :
لا شك . . . سأحقق أمنيّتك وتنال ما تتمنى، لكن عليك أن توصلى إلى
ذلك المكان حيث قبر زمرّد وإلى ذلك الموضع الذى (تطلق) عليه مقر
الخوريات.

حسين: أمرك!!، عندما تتفضل الأميرة بالرحيل سيكون هذا الخادم
فى ركبائها.

بلغان خاتون: يا حسين لو قلت لك اقتل أى شخص فهل ستقتله؟

حسين: بلا شك بشرط ألا يكون هناك صعوبة فى قتله.

بلغان خاتون: وهذا الشرط يرتبط بالمرشد.

حسين: لا ، إن (علاقة) المرید بالمرشد نوع آخر من الارتباط، فمعه
يجب أن يكون المرید كآلة بلا روح.

بلغان خاتون: حسناً، الآن سأعد العدة للسفر ، وعليك أن تستعد
أنت كذلك.

حسين: أنا مستعد فى كل وقت.

ودعت الأميرة حسينا وذهبت إلى حمامها وهى فى دهشة متزايدة،
وكان الناس قد وجدوا نوعاً من التغير غير العادى فى مزاجها، فأخذ كل
شخص يسأل عن سبب ذلك لكنها ظلت صامتة ومندهشة أيضاً، وفى
صباح اليوم الثانى حمل إليها رسول رسالة ثم اتجه إلى مكان ما ، وبدأت
هى كذلك تعد العدة للرحيل لكن كان من الضرورى بالنسبة لها أن تحصل
على إذن من أخيها متفوخان ملك التركستان ، وكانت مترددة فى ذلك.

الباب السابع

سفر بلغان خاتون

بعد أسبوع من ذلك اليوم الذى سلم فيه حسين رسالة حبيبته زمرد ساكنة الجنة إلى بلغان خاتون، ذهبت الأميرة التتية إلى أخيها منقوخان فى الصباح حين كان فى بلاطه عدد من زعماء الأسر التتية وسادتها فجلست صامتة وخائفة لم تنطق شيئاً أمامهم لفترة من الوقت، فقال منقوخان بعد أن رأى الأخت صامتة:

لماذا هذا الصمت غير العادى يا أختاه؟

أحد رجال البلاط: إن الأميرة لم تنس الحزن على والدها حتى الآن.

منقوخان: بخ ، بخ يا بلغان ، دعى عنك هذا الحزن الآن، فإن بقاءك حتى هذه الأيام فى الألم والحزن يتعارض مع طبيعتنا وشجاعتنا القومية.

بلغان خاتون: حقاً يا أخى، نسيت هذا الحزن (وبعد قليل من الصمت): حسناً ستمضى الأمور ، لكننى حضرت الآن لأنجز عملاً مهماً.

منقو خان: ما هو؟

بلغان خاتون: يا أخى لقد انتصرت فى معارك كثيرة، لكن الآن
أرغب فى أن أخوض إحدى المعارك بنفسى.

تملك الجميع الحيرة بمجرد أن سمعوا هذه الجملة، وحملق فيها
منقو خان متسائلاً:

"حسناً يا أختاه، أى معركة هذه؟ وهل تستطيع أسلحتى أن تؤدى
المهمة؟ أخبرينى برأيك واذكرى لى اسم أى شعب أو دولة، وليس من
الضرورى ذهابى بنفسى بل سيذهب جيشى الشجاع هناك ويدمر كل شىء
فى لحظة.

بلغان خاتون: هذا صحيح، ولكننى أريد أن أدير هذه المعركة بنفسى
بشكل خاص.

منقو خان: فى النهاية أية معركة تلك؟ وعلى من ترغين الهجوم؟
رداً على تساؤله وضعت بلغان خاتون رسالة رمرد أمامه وقالت:
اقرأها أولاً ثم اسأل.

قرأ منقو خان الرسالة من أولها إلى آخرها، ولكن قبل الانتهاء منها
بدأ الشرر يتطاير من عينيه ومط شفتيه وتطاير الشرر من عينيه واهتز
حاجباه، وبعد أن انتهى من الرسالة قذف بها بغضب وقال: "حسناً،
فلتطمئنى يا أختاه وليهدأ خاطرك، سأكتب غداً إلى هولاكو خان".

بلغان خاتون: لا - هذه معركتى.

منقو خان: ماذا ستفعلن بذهابك؟ ليس عملك الحرب والضرب.

بلغان خاتون: بعد أن أمحو هذا المذهب من الدنيا، أريد التأكيد على أن النساء أيضا يتميزن بالشجاعة مثل الرجال فلو أعطيتن الفرصة فإنهن لن يكن أقل من الرجال فى أى أمر ، والآن أنت تدرك هل الحرب هناك ضرورية أم لا؟

منقوخان: لا شك أنها ضرورية، ولا يمكن النجاح بدونها، يبقى بعد ذلك شجاعة النساء فأنا أوافق على أن النساء يتفوقن على الرجال فى الحكم، فهن اللواتى أعيتن شجعان الدنيا بأسرها ودمرن عروش الملوك العظام والأبطال الكبار ، وعليه فلإن المرأة هى التى تحكم ولكن أسلحة المرأة أسلحة أخرى، فهى لا تحارب بالخنجر والسيف ولا بالسهم والنصل، بل تنصهر على أعدائها بخنجر الرموش وسيف الحجاب ونصل الدلال وسهم النظر، إلا أن أسلحة المرأة هذه لا يمكن أن تكون مفيدة فى ميدان الحرب، ففى ذلك الميدان الذى تريدان الذهاب إليه يكون النصر فى مثل هذه الميادين باسم أسلحة الرجال ، طأطأت بلغان خاتون رأسها خجلى من هذه الإجابة ، ولكنها أبدت صلابة وقوة من خلال نظراتها وقالت: "يا أخى لا تظن الأمر بهذا الشكل فإننى سأحارب هكذا بفدائية وشجاعة كما يجب أن تحارب أى فتاة تتربة شجاعة.

منقوخان: أنا أعرف ذلك ، ولكن مادامنا موجودين أحياء فلا يمكن أن نشق عليك أيتها الجميلة بوضع قدمك فى ميدان المعركة، وفى نهاية الأمر ما هو أهمية ذهابك؟

بلغان خاتون: هذه فقط معركتى وهى واجب ، وأنا الآن أريد الآن تحمل المسئولية.

منقوخان: حسنا فاذهبي بمثل هذه الرغبة، لكننى سأذهب معك ،
فلا يطيب لى أن أستسيغ تقدم إحدى أميرات الأسرة المغولية المعززة إلى
ميدان المعركة وحيدة :

بلغان خاتون: لكن يا أخى لا أمل فى أى قتال هناك وسنكون بضعة
جنود وسنتصر .

منقوخان: أنت لا تدركى ذلك ؛ فالناس الذين يستعدون للتضحية
بروحهم بإشارة واحدة من القائد ينبغى الخوف منهم .

بلغان خاتون: لكن رهبة التتار مستقرة فى القلوب ؛ للدرجة أن
هؤلاء الناس يلقون بالسلاح بدون حرب وقتال ، وهذا ما أفهمه
وأدركه .

منقوخان: لا شك فى ذلك ؛ فالرهبة والخوف منا أمر واقع ، ولكن
ليس من السهل عليك أن تقتلعى أسرة دينية وملكية قديمة قدم مائة
وخمسين عاما من جذورها وتلقى بها جانبا .

ظل منقوخان مصرا على رأيه لفترة طويلة إلا أن الأميرة بلغان خاتون
لم تستغ مشاركته بأى حال من الأحوال ، وعندما رأت أن أخاها الملك
لا يوافق مال عليها وقال لها شيئا فى أذنها بعدها أخذت تفكر لفترة قصيرة ،
وفى النهاية وبعد بحث وتشاور قرر أن تتوجه الأميرة التتية الشجاعة وفى
ركابها خمسمائة فارس، ثم نهضت واستعدت بلغان خاتون فى طريقها
للعودة وتوقفت وعرضت الرسالة مرة ثانية أمام أخيها قائلة: " لكن انظر
قليلاً فقد أخبرتنا كذلك متى يجب الذهاب من هنا، انظر فى أى تاريخ
دعنا زمرد " .

منقوخان: (بعد أن قرأ الرسالة) فى ٢٧ من رمضان.

بلغان خاتون: الله يعلم ما الهدف من تحديد هذا التاريخ ، إذن ينبغي على الرحيل .

منقوخان: لابد أن فيه أمر جليل ، وهذا أيضا لم يدر فى خلدى فماذا سيحدث بعد وصولك إلى هذا الممر الجبلى ، من الممكن أن تكون هذه المرأة التى قالت بأنها حورية تخدعك .

بلغان خاتون: أرجو ألا تكون رسالتها ودعوتها لى خدعة ، ومع هذا ومن جانب الاحتياط عقدت العزم على اصطحاب معى قليل من الجند ، وأنت تعلم أنتى قمت بالاحتياطات اللازمة من أجل سلامتى ، نعم لقد دعتنى زمرد يوم ٢٧ رمضان ، فأى تاريخ اليوم؟

منقوخان: عشرون من جمادى الأول يتبقى أربعة أشهر تقريبا لن يستغرق الطريق أقل من ثلاثة أشهر وإذا وصلت سريعا فلتقیمی فى موضع ما فى الطريق ، أما عن الذهب فینبغى الرحيل غدا . بعد ذلك فكر منقوخان قليلاً وقال : "حسنا لقد جاءتنى فكرة جيدة ، فلتبقى يازمرد لمدة يوم أو يومين وفى اليوم الرابع يسير هولاکو بالمدد بجيش جرار قوامه أربعون ألفا من الجنود ، وسوف يصطحبه طوبى خان وتكونى معه أيضا ؛ فهؤلاء الجند سيذهبون إلى حيث تتجهين ، بل سيتقدمون عليك ، فقد استولى هولاکوخان على عرش الديلم وهو الآن يتعقبه ويعد وصول هذا الجيش سوف يقصد أرض العراق ويرغب كذلك فى عقاب خليفة بغداد على غروره وصلفه .

بلغان خاتون: إذا كان الامر مجرد يوم أو يومين فسوف أبقي .

بعد ترتيب جميع الأمور عادت بلغان خاتون إلى قصرها واستدعت حسين وأبلغته أن الرحيل بعد غد ، وأن عليه أن يظل مستعدا، وضع حسين يده على صدره وأحنى رأسه بأدب وقال : "أنا مستعد في أى وقت تطلبنى".

وعلى الجانب الآخر بدأ طوبى خان بن منقوخان إعداد العدة للرحيل ومعه أربعون ألف جندي وأعطيت الأوامر لهم بالاستعداد، وقد قضى الجند الليلة الأخيرة فى انتظار وترقب وشوق عجيب بينما عمت الضوضاء والضجيج جميع أنحاء قراقورم، وانتشرت البهجة وزاد تحرك الجند هنا وهناك، ومن كان منهم فى خيامهم ومنازلهم كانوا يختبرون أسلحتهم ويعدونها أو كانوا يودعون أطفالهم وزوجاتهم الاثريات ، وفى الصباح الباكر دقت طبول الرحيل فإذا بأسراب التار يتقاذفون فى غمار الحماس تحت أعلامهم ويبارقهم يتغنون بأناشيدهم القومية وقد ارتفع ضجيجهم.

سار هذا الجيش بعد تقسيمه إلى ألوية مختلفة، كل مقدمة يتقدمها خمسة آلاف شاب ثم ينقسم الفدائيون إلى مجموعات كل مجموعة تضم خمسة آلاف يتشرون يمينا ويسارا، وظل لواء مكون من خمسة آلاف فى سرب فى الخلف بينما كان فى الوسط أى القلب عشرون ألفا كاملة من الترك وقد ساروا من الخلف للأمام وهم مقسمون تحت الرايات وفى جيوش منفصلة ، وكان طوبى خان وبلغان خاتون يمتطيان حصانين تركيين قوين ، وكانت الرماح والأقواس التارية تتحلقهم من الجوانب الأربعة ، وكانت تتعالى من كل طرف من الأطراف الأربعة أصوات الحماس والثورة ، وارتفعت كذلك نغرات النصر والفتح ، لقد كانت جحافل التار هذه مثل سرب من الجراد أخذ يخرب ويحطم كل شىء فى الطريق.

وكانت القرية التى تلوح فى الأفق تجدها خالية من البشر ؛ لذا فإنه عندما سمع الناس بمجيئ قطاع الطريق الظالمين تركوا منازلهم وفروا هارين، وقد أضرمت النار فى المنازل غير المأهولة والخربة ، وكان هؤلاء الجند يهدمون القرى والمدن التى يمرون بها ويقوضونها فيصبح التراب أسود بعد أن تحترق، وكان هؤلاء المتوحشون يقتلون كل من يلتقون به من بين الرعايا طفلاً كان أم عجوزاً، رجلاً كان أم امرأة، وخلاصة القول هو أن هؤلاء الناس خربوا منطقة غزنة وخراسان بأسرها ، وساروا بمحاربة شاطئ بحر الخزر حتى وصلوا إلى مارندران ، ويعد أن نهبوا ودمروا القرى هناك خرجوا ناحية آذربيجان وكان هولاء كوخان موجودا فى تلك الناحية ؛ لأنه كان يتعقب سلطان الديلم ، ولذلك توغل ناحية الشمال أكثر ، وفى تلك الأثناء وصل إلى هذه الأرض خمسمائة تاتارى ، وكان ذلك فى الثامن عشر من رمضان فكان عليهم أن يربطوا مضطرين فى هذا المكان عدة أيام فلا يمكن أن تكون هناك مصيبة بالنسبة للجيش التاتارى أكبر من هذا ؛ فقد كان من عادة هؤلاء القوم أن يعيشوا سعداء وفى أحسن حال ماداموا ينهبون ويغيرون وحيثما حلوا فى مكان ما يصيبهم الفقر ما لم يجدوا مدينة أو إقليم جديد ينهبونه فماذا يفعلون هنا؟ لقد كانوا مضطرين، فالجميع يعيش فى فقر وفاقه أيام الانتظار، وكان يوم انتظارهم التاسع يوافق يوم السابع والعشرين من رمضان ، وكانت بلغان خاتون فى انتظار أحد ما منذ الصباح ، وكان اضطرابها يتضاعف كلما تأخر، وفى النهاية وعندما رأت أن الميعاد قد فاتها فإنها رحلت بعد عظيم تردد مصطحبة معها ثلاثة من الجنود الأقوياء تاركة جميع رفاقها متخذة من حسين مرشدها، وبعد أن ترك حسين والأميرة التاتارية الطريق وصارا على شاطئ نهر ديرنجان وصلا إلى الحديقة المقصودة بعد أن عبروا الغابات والمرتات الجبلية

بصعوبة ومخاطرة ووقف حسين على قبر زمرد وقرأ الفاتحة وقال: هذه هي الحجارة التى يستريح تحتها الهيكل العنصرى لزمردتى .

أخرجت بلغان خاتون رسالة زمرد ثم قرأتها وبدأت إزالة أحجار قبرها بيديها طبقا لنصيحة زمرد فتحت جانبا أربعة أو خمسة أحجار ووجدت رسالة زمرد الثانية حسب الاتفاق ففتحتها وقرأتها فى صمت مطبق ، وبعد تردد قليل بدأت تنظر وتجمل النظر أمامها ، وبعد عدة لحظات فكرت قليلاً ثم مالت على أحد المرافقين لها وأسرت له بشيء وقفل الجندى التاتارى عائدا بعد أن سمع سر الأميرة التى نظرت ناحية حسين وقالت: " هيا بنا " .

حسين: إلى أين؟

بلغان خاتون: حيثما أذهب - وبمجرد أن قالت هذا أشارت إلى الجندين الباقيين بالمجىء معها وانطلقت ؛ لم يكن أمام حسين من خيار فمضى معها دون تامل أو تردد .

وانجهت بلغان خاتون إلى الجهة الشمالية لهذا الوادى فى تلك الناحية التى كان حسين قد رأى فيها الحوريات ، وأخذت تسير حتى وصلت بعد ساعتين تقريبا إلى سفح جبل أخضر ، ورغم أنه لم تكن هناك علامات على وجود أى طريق فى هذه الناحية لكنها ظلت تتقدم ، وكان حسين ذو عقيدة والمريد يطيع بلا عنر ، لكن الجنود المصاحيين لها كانوا فى دهشة وحيرة فإلى أين تأخذهم الأميرة، فتقدم أحدهم وسألها بأدب: لا يوجد طريق هنا فردت عليه بلغان خاتون وقالت: لا تتكلم أمشي فى صمت ، وبعد أن وصلت إلى سفح الجبل ولجت فى غار مظلم وقالت لرفاقها:

"امشوا هكذا حتى لا يعلم أحد أثار الأقدام" ، وطبقا لأمر الأميرة كان الناس يخفون الوطء بقدر الإمكان ؛ كان الغار معتما تماما من الداخل فيتلمس الجميع الطريق بالأيدي وساروا وهم يتجنبون التصادم فى كلا الجانبين وبعد خمسة عشرة أو عشرين دقيقة لاح ضوء من بعيد فاتضح أن فتحة الغار من هذا الجانب ، وفى النهاية خرجت بلغان خاتون من هذا الغار ، لكنها بعد أن خرجت من الغار اتضح لها أن هذا الموضع لا يقل وحشة ، حيث كانت هناك غابة كثيفة متشابكة الأشجار ؛ فكان ضوء الشمس يصل بصعوبة إلى الأرض .

وبمجرد أن وصلت الأميرة إلى هذه الغابة عرجت ناحية اليسار وكان وجهتها الآن ناحية الغرب فمضت للأمام باستمرار وتعثرت فى الأشجار والأشواك المتشابكة ، وكان المصاحبون لها قد اضطربوا بعد أن رأوا صعوبة فى عبور هذا الطريق ، وكانوا فى حيرة من أمرهم . وفى النهاية انتهت هذه الغابة فجأة عند أحد الجبال وعندما وصلت الأميرة انحرفت ناحية اليمين وسارت بمحاذاة الجبل حتى نهايته وعند موضع ما لاحظت الجبل وكأنه قد تصدع وانشق بسبب صدمة مفاجأة ، وظهر فى وسطه ممر طويل وضيق لا يسمح بمرور أكثر من شخص .

نظرت بلغان خاتون إلى هذا الممر بتمعن ثم جالت بنظرها فى جوفه ، ويعد أن اطمأن قلبها ولجت فى هذا الممر ، ولكنها قبل الدخول فيه مالت على أذن أحد الجنود المصاحبين لها وقالت شيئا ما فقفل راجعا من فوره . ودلفت الأميرة مع حسين والشاب الذى تبقى فى الممر فعثرت على شباك فى "صرة" داخل الممر ففتحتها فرأت زوجا من الملابس النسائية وزوجين من الملابس الرجالي لقرويين ورعاة البقر فأعطت الأميرة الملابس لحسين

ورفيقه الثانى وقالت : " اخلعا ملايسكما واتركاها هنا وارثديا هذه الملابس ،
قالت هذا ويدأت هى نفسها ترتدى الملابس النسائية ، وعندما انتهى
الجميع من تغيير الملابس بدأ حسين ينظر بدهشة إلى ملابس الأميرة
وهيبتها رغم حلول الظلام وصعوبة الرؤية .

بلغان خاتون: لأى شىء تتعجب يا حسين ولماذا؟

حسين: هل تأذنى لى ، فإنك تبدين بعد ارتداءك هذه الملابس
كحورية سماوية لا أميرة دنيوية .

بعد أن سمعت بلغان خاتون هذا الكلام ابتسمت وقالت: تعال بنا
فى صمت ولتتقدم ، واتضح فجأة أن صخرة مديبة معوجة أغلقت
الطريق، وعندما استدارت بلغان خاتون رأت أسفلها فتحة صغيرة نوعا ما
بحيث يستطيع أن يخرج منها شخص واحد بصعوبة بعد أن ينكمش،
فخرجت من هذه الفتحة وأمرت المصاحيين لها بالخروج كذلك، ثم
تقدمت الأميرة بعد تجشم المشقة ، لكن الآن ظهرت مشكلة كبيرة فى
الظاهر وكانت عبارة عن بوابة حديدية قوية مغلقة من الجانب الثانى، لكن
بلغان خاتون أخرجت حجرا كان بجوار المقبض الأيمن للبوابة وما أن
ترحزح حتى ظهرت كوة ؛ فوضعت يدها فى هذه الكوة وفتحت سلسلة
البوابة من الداخل ، وبعد ذلك دفع الجندى الترى بمساعدة حسين المصراع
الحديدى للداخل بقوة ، وهكذا ظهر طريق الخروج .

وما أن خرجت بلغان خاتون من هذه البوابة حتى نظرت فى حيرة
ودهشة حيث بدأت الحداثق والرياض المفرحة والمتعشة للروح ورأت الطيور
المفردة وجبل الورود فصدرت عنها عبارات الإطراء بلا تصنع ، وكان

حسين ينظر إلى هذا المكان بدهشة بعد أن جال فيه ببصره وبعد أن سمع هذه الكلمة على لسان الأميرة قال: "إتنى أعلم أنها هي الفردوس الأعلى ، ولكن أنى لى أن أقول ذلك؟".

بلغان خاتون: الآن انظر إلى حوريتك، ومن الضروري أن تبدو لك هذه الحديقة جنة، ولكن انظر بتمعن هل هذه هي الفردوس الأعلى الذى تنزهت فيها" ، وقد ابتسمت الأميرة قليلا بعد أن قالت هذا .

حسين: تبدو من هذا المكان هي بعينها، يا إلهى هل هذا علم أم حلم؟ انظرى هناك ، فإن الطيور تصدر نفس النغمات "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" (١).

بلغان خاتون: ما معناها؟

حسين: إن الله جل شأنه وعد فى القرآن الكريم أنه سيرحب بالعباد (المؤمنين) بهذه الكلمات .

نطق حسين بهذه الإجابة بلسانه ، لكن الحيرة كانت تستولى على قلبه وعقله وعينه ساعة بعد ساعة وهو ينظر إلى كل شيء مضطربا ويردد مرارا هل صعدت إلى السماء أم هبط الفردوس الأعلى إلى أسفل؟! فهى الحديقة بعينها التى تحولت وتنزهت فيها مع زمرد .

بلغان خاتون: لقد وصلت إلى الفردوس الأعلى ، فاطمئن الآن وسوف أقابلك بزمرد .

(١) هكذا فى الأصل .

بعد وصول حسين إلى اللجنة وتأكدته من ذلك وسماعه لهذه الجملة من الأميرة، خرّ على قدميها وبدأ يقول: "لقد أرشدتيني إلى هذا الطريق ولم يكن عندي أمل في مساعدة الشيخ على وجودي، إحسانك هذا سوف يظل منقوشا على قلبي للأبد.

بلغان خاتون: (بعد أن أخذت بيد حسين من على الأرض) اصبر وتجلد قليلاً، إن شرط لقاء رمرد أن تمشي معي في صمت ؛ لأنك باضطرابك هذا سوف تفسد الأمر. وبعد أن قالت الأميرة هذا أخرجت رسالة رمرد وقرأتها ثم اصططحت معها رفيقيها ومضت إلى ناحية في دقائق معدودة صارت بالقرب من القصور والأكواخ.

وكان حسين واقفاً في هذا الجو المبهر ينظر بنظرات الدهشة والذهول عن النفس، وفجأة جاءت امرأة جميلة وفاتنة أمام الأميرة ثم انحنت لتقبيل قدميها.

بلغان خاتون: من أنت؟ لكن نظر حسين وقع عليها فصاح في حماس وبلا وعى: زمرد، ثم جرى وعانقها.

رمرد: (بعد أن تنحت بحسين جانبا) اصبر قليلاً فلأنني أريد أن أبدى الاعتراف بالفضل أمام الأميرة.

بلغان خاتون: آنت زمرد؟ قالت ذلك وعانقت رمرد وقالت: أين إحسانى يا أختاه؟ لا شك أننى أشكرك شكرا جزيلاً فلو لم تساعدني لما تخلصت من الحزن والألم أبداً .

رمرد: (بعد أن ابتسمت ويقدر من الندم) لكن أيتها الأميرة لقد كان في ذلك مصلحة شخصية.

بلغان خاتون: يجب عليك ألا تصفى ذلك بأنه مصلحة شخصية ،
إن إحسانك على هذا الشاب الغر أن تمنحيه شرف حبك وتنقيذه من هذا
الخداع البالغ الأثر ، وبعد هذا التفتت زمرد ناحية حسين وقالت: والآن
فقد انكشفت لك جميع الأسرار.

حسين: أى سر؟ لقد أطعت أمر الأميرة وكان ذلك بسبب نصيحتك .

بلغان خاتون: لا فإننى حتى الآن لم أقبل له شيئا ، ولم أريه
خطابك ، ولكننى عندما دخلت فى هذه الحديقة ازدت اضطرابا وحيرة
وفقدت للوعى ، والآن اذهبى معه وقولى له ما تريدن قوله ولتبعدى هذه
الوحشة عنه ولتصبحى إنسانة .

زمرد: وآسفاه لقد أخطأت حين فعلت ما فعلت ولمن الصعوبة بمكان
أن أنال الطمأنينة .

بلغان خاتون: لكن من الحكمة الآن أن تأخذه إلى قصرى وتجهدى
فى رفع حجاب الخداع من أمام عينيه ، ولكن أخبرينى أولاً ألا تشعرين
بالخوف هنا ، فطبقا لرسالتك ، فإنى قد جئت حتى لا ينالك أى سوء .

زمرد: عليك أن تطمئنى أيتها الأميرة ، ولا تفكرى فى أى أمر
ويمكنك البقاء هنا اليوم آمنة مطمئنة حتى المساء ؛ أما ما كنت قد كتبت
فهى احتياطات وتدابير قمت بها .

بلغان خاتون: لقد أعددت كل العدة بالرغم من أننى مترددة قليلاً
فيما يتعلق بذلك .

زمرد: ما هى؟

الأميرة: حسنا لا بأس من هذا ، وسوف أقصه عليك فيما بعد ،
قالت هذا ثم قالت للشاب الذى بقى معها شيئا فى أذنه فرجع وبدأت فى
سؤال زمرد: 'أخبريني من أى ناحية يمكن الهجوم على القلعة؟' .

زمرد: الآن أنت فى القلعة ، ولكن هذا الجزء قد فصل عن القلعة .
بالرغم من أن الناس الغرباء هنا يخرجون من تحت الجدار الخارجى عن
طريق نهر ديرنجان ، لكن قصر خورشاه فى هذا الجانب من النهر .

حسين: (بعد أن انتبه) قصر خورشاه أين هو من هنا ؛ إنه فى قلعة
الموت .

بلغان خاتون (مبتسمة) : الآن أوصليه إلى قصر ك الدرى هذا والذى
يتشوق لرؤيته ، وسوف نتحدث فى بقية الأمور بعد العودة ؛ لأنه لو ظل
موجودا فلن نستطيع الحديث معا .

زمرد: لا شك أن قولك صائب أيتها الأميرة فسوف أجلسه هناك ثم
أحضر ، وبعد أن قالت هذا أمسكت بيد حسين الذى كان واقفا فى عالم
من النسيان وسحبته وأخذته معها إلى قصرها الدرى ؛ فطرح حسين عليها
العديد والعديد من الأسئلة طوال الطريق لكن زمرد قالت عند الإجابة
على كل سؤال سأقول لك فيما بعد ، وبعد أن أجلسته فى القصر عادت
إلى الأميرة وظلت واقفة تأدبا .

بلغان خاتون: نعم هذا الطريق يتجه من هنا إلى قصر خورشاه .

زمرد: نعم هو يأتى هنا فى النهار ثم ينصرف إلى حياة اللهو
والترف ، وستصلين بسهولة مع جميع رفاقك من هذا الطريق ، وستجدين
طريقا بمجرد أن تنزلى أولا من الجسر الذهبى للنهر وهو الذى يؤدى

مباشرة إلى قصر حريم خورشاه ، والسدى يدخل فيه يدرك أنه وصل إلى قلعة آلوت ، واليوم يوم العيد ، وفى هذا الوقت عادة لا يحضر أى شخص إلى اللجنة ولا خورشاه نفسه ، ولهذا فإن جميع المقرين فى هذه المناطق وعلية القوم والرؤساء يأتون من بعيد لزيارة الإمام ، ويجمع جمع كبير من أتباعهم فى القلعة ، ولهذا السبب استدعيتك فى ٢٧ رمضان ؛ لأنه من الضروري أن تظل هذه الحديقة خالية من الأغيار فى هذا اليوم ، كما أن الفرصة لا تسنح لخورشاه نفسه بالمجيء هنا لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، ولو كانت فى وقت آخر فانه سيعرف بمجيئك إلى القلعة فى الحال .

بلغان خاتون: إذن الآن لا يعرف أحد خبر مجيئنا .

ومرد: لا على الإطلاق ، أولاً ليس هنا أى رجل ولو علم الحراس استعدادوا للحرب ، وربما تهرب أى امرأة وترحل ، ولكننى اليوم فى الصباح أغلقت بوابة جسر المدينة بالقفل والمفتاح عندى ، ولهذا لا يستطيع أحد الهروب من القلعة ، ومن حسن الحظ أنه لا يمر أحد من هنا هذه الأيام .

بلغان خاتون: هذا أمر طيب تماماً ، أتقولين اليوم عيد فيينا حماس السرور وضجيجه فى القلعة لا أحد يفكر فى شيء فسوف يتم هجومنا قبل الليل ، ولكننى يا ومرد مترددة من هذا الأمر ؛ لأن الجيش الذى دعوته لنجدتى لا يعرف حتى الآن وفى رفقتى خمسمائة جندى فقط وربما لا يكفون .

ومرد: أنا أعلم أن خمسمائة شاب يمكنهم أن يستولوا على القلعة من هنا .

بلغان خاتون: ولكنى متأكدة أن المدد سيأتى لنا بالضرورة فيجب أن تمهلينى فقط حتى المساء .

زمرد: ما معنى المساء، إنك تستطيعين أن تظلى مختفية هنا حتى الغد، فلا تفكرى فى شيء ، عليك أن تخلدى للراحة حتى يحين الوقت فأنت متعبة وقد وجدت فرصة جيدة للاسترخاء، بعد ذلك سألت الأميرة: ولكن يا زمرد ما هى الحكمة فى هذه الملابس التى اقترحتها علىّ أنا والمرافقين لى؟!

زمرد: أيتها الأميرة إن ملابسك هى نفسها ملابس الحور ، والتى يعتبرها الناس هنا ملابس الجنة ، ويسبب هذه الملابس لا يمكن لأحد أن يسيّ الظن بك.

بلغان خاتون: ربما لهذا عندما رأتى حسين مرتدية هذه الملابس قال إنك تبدين مثل الحور، بعد أن سمعت زمرد هذه الجملة ضحكت كثيرا وقالت: ولكنه لم يقل لى أى شيء عن ملابسى.

بلغان خاتون: حسنا ، ولكنك لماذا اخترت مثل هذه الملابس غير المنسقة للرجال.

زمرد: لأن الرجال الذين يأتون إلى هنا هم بائعو اللبن بشكل عام، والذين يملأون الأنهار والأحواض هنا باللبن والخمر، فلو جاء أى رجل هنا مرتديا هذه الملابس فلن يفكر أحد (لن يخطر على بال أحد) أنه غريب .

بلغان خاتون: ولو لم يكن هذا وعلم أحد ما وانكشف السر قبل الموعد .

زمرد: لن يعلم أحد ؛ فأنت مقيمة هنا شوقا ، وفى يوم العيد لن تسح الفرصة لأحد بالمجيء هنا .

بلغان خاتون: حسنا سوف أقيم هنا ، ولكن عليك أن تتزهنى فى الجنة قليلاً ، وترينى كذلك الجسر والشارع حتى أعرف الطريق جيداً .
زمرد: تفضلى .

بعد هذا الاقتراح أخذ حسين والفتاتان الحسناتان فى التزهن بين القصور والحمايل وقد شاهدوا ربيع الحدائق والرياض إلى أن وصلوا عند شاطئ هذا النهر الكبير الذى عن طريقه يدخل الناس إلى الجنة بعد أن يركبوا فى سفينة ذهبية ، وكان باب جسرهما الذهبى موصدا ففتحته زمرد ونزلت الفتاتان فى ساحة الوادى الثانى ، وكانت الورود ممتدة حتى الأفق البعيد ويمر من بينها شارع يتجه إلى فضاء مفتوح بعد مسافة غير بعيدة ثم يختفى فى أجمة أشجار ظليلة هائلة ، وكان طريق قصر الحريم ناحية تلك الأشجار ، وبعد هذه التزهة الممتعة عادت الأميرة وذهبت إلى قصر الفيروز الشاهق طبقاً لمشورة زمرد ، وظلت زمرد جالسة عندها رماً طويلاً ، وعندما رأت أن الأميرة بلغان خاتون أخرتها وتريد أن تستريح ؛ استأذنت منها وأغلقت الباب من الداخل وانصرفت ناحية قصرها .

الباب الثامن

إفشاء الأسرار

عاد الفتى حسين مندهشا فاقد الوعي بعد أن ترك القصر الدرى بناءً على اقتراح زمرد والأميرة وكان مضطربا ، ينظر إلى كل شيء ويستفتى قلبه قائلا هل هذا حقا هو المكان الذى جاء إليه بمساعدة الإمام قائم القيامة؟ لكنه كان فى الملأ الأعلى وهذا على الأرض ولكن لماذا الشك؟ فزمرد نفسها موجودة أيضا ولو أن هذه حديقة دنيوية فكيف جاءت هنا وقد كتبت لى بنفسها أنها فى الجنة ، وأنها تتنزه فى الفردوس الأعلى وما فائدة الكذب فى النهاية؟ بعد ذلك اتجه خارج القصر وبدأ يتطلع بغيظ وأمعن النظر فى أنحاء الحديقة وفى أرجاء القصر، فرأى كل شيء على حاله كما رآه من قبل ؛ فقد كانت جدران القصور مرصعة بنفس الجواهر التى رآها من قبل كما كانت الخمائل بنفس لونها وصورتها، وكانت الشوارع والممرات ملونة وخلابة ، وكانت العروش والسيجان الذهبية والفضية على أبهتها السابقة، وكانت الأنهار تنساب بمياهها المتموجة ؛ نعم هناك نقص فى شيء واحد فقط هو أن الأغنية لم تكن تُسمع والمطرب لم يكن موجودا، لكنه عندما سمع آيات الترحيب القرآنية نفسها على لسان

الطيور، بدأ الشك يزول عنه، وبينما هو فى تردد إذا بطائر قد أحضر تفاحة نضرة طازجة فى متقاره وألقى بها أمامه، وبعد أن تنبه قال هذه أيضا من علامات الفردوس الأعلى؛ تلبلت أفكار حسين بشكل عجيب، ولم يجد حلاً لهذا اللغز، وبينما هو كذلك إذا بزمرد قد قدمت إليه بعد أن استأذنت من الملكة، وما أن رأى صورتها الفاتنة الجذابة حتى بدأ قلبه يخفق من فرط العاطفة وسيطرت عواطف الحب عليه تدريجيا فخرج وأسرع لاستقبالها وعانق كلاهما الآخر.

حسين: يا حبيبتى زمرد بالله عليك أخبرينى فى أى عالم أكون؟ وما هذا الذى أراه؟

زمرد: (مبتسمة) أنت ترى نفس الذى رأيته ذات مرة.

حسين: هذا يعنى أننى فى الملأ الأعلى.

زمرد: حقا هو ما تراه بقضه وقضيضه، وبناء على هذا يجب أن نطلق على هذا المكان الملأ الأعلى.

حسين: تقولين يجب؟ فهل هذا ليس حقيقيا؟

زمرد: عليك أن تستفتى قلبك هل هذا المكان على الأرض أم فى السماء؟

حسين: هل أنت على الأرض.

زمرد: اعتبرينى على الأرض.

حسين: ولكن كيف لى أفسر وجود قبرك وكيفية وصول رسائلك حتى هنا، والشئ الذى أفكر فيه من بين كل تلك الأمور هو تأكيد هذا

الأمر ؛ أى أن هناك عالماً آخر والسعادة والسرور هناك أسمى من السعادة الدنيوية .

وبيئنا هما يتحدثان دخلا القصر وقالت زمرد : لا ، السعادة هنا بلا شك أسمى من جميع مباهج الدنيا ، ولكن عليك ألا تفهم أنك خرجت من الدنيا وجئت إلى مكان آخر .

حسين : وماذا عن كل الأحداث التى مرت؟ ما هو رأيك عنها؟

زمرد : كنت مضطرة إليها ، وكنت بلا حيلة ، وما حدث كان نتيجة سذاجتك .

حسين : أنا لم أفهم معنى كلامك .

زمرد : لا تضطرب فسوف أشرح لك كل شيء ، ولكن للأسف فكلمنا فهمت أكثر كلما اضطربت أكثر وقد لا تتمالك نفسك .

حسين : إننى الآن يا زمرد أشك كذلك فى شكلك وصورتك ؛ فهل أنت زمرد نفسها التى كانت قد أتت معى من قبل؟

ضحكت زمرد بمجرد أن سمعت حسين ينطق بهذا السؤال الساذج ، ولكنها تماسكت ونظرت إليه بنظرات ذات دلال وبطريقة تحمل معان جذابة ثم قالت : " لا أنا واحدة أخرى " .

لم يسمع حسين مثل هذه الإجابة من قبل ، وأمسك بيد زمرد قائلاً بعد أن نظر إليها بإمعان ، وهل هذا هو نفس الجسم النورانى أم أنه هيكلمادى مثل جسمى؟

زمرد : تكلم بالعقل ، فأنت فاقد للوعى تماماً ، وقد تحطم لغز كبير جدا من أمام عينيك ، ولهذا فإن حواسك لا يقر لها قرار من أثر ذلك؛

فعد إلى صوابك قليلاً ، وتحدث حديث العقلاء حتى أقص عليك القصة كاملة والسر كله .

حسين : حبيبتى زمرد ، قصى علىّ بسرعة ، فقد جعلنى جهلى وعدم درايتى مجنوناً .

زمرد : اسمع ، إن الحور الذين رأيناهم أنا وأنت فى ذلك الوادى ، ليسوا حورا ، بل كانوا حور تلك الجنة المزيفة .

حسين : (بعد أن أسكتته الدهشة) جنة مزيفة ، أهذه لم تكن الجنة التى وعد بها المؤمنون ؟

زمرد : اصبر قليلاً ، نعم أنت كنت فاقداً الوعى هناك ، وأخذونى إلى هنا ، أنا لم أمت ولم أستشهد ، ولكنهم أحدثوا تغييراً طفيفاً على قبر أخى قبل عودتهم لكى تتأكد من موتى ، وكان الوقت (ليلاً) وبعد أن استفسروا منى حفروا اسمى بجانب اسم أخى ، وكان الهدف من ذلك فقط هو أن تياس وترحل بعد أن تتخلى عن التفكير فىّ وتحكى لكل الذين تلتقى بهم عن الحالة الخطيرة لهذا الوادى ، وعندئذ يستقر الخوف من الحور فى قلب كل شخص .

حسين : إذن كنت على قيد الحياة! قال هذا وبدأ ينظر إلى زمرد يامعان من رأسها حتى أخمص قدميها .

زمرد : (بغضب وثورة) لا ، لقد أصبحت جنية ، لم يجب حسين عليها قليلاً ، وتوقفت زمرد برهة ثم تابعت حديثها : "لقد خدعت وبعد حضورى هنا ضمونى إلى أولئك النساء اللاتى يطلق عليهن هنا الحور ثم اتضح لى بعد عدة أيام من البحث والتحقيق أنك تجلس على قبرى

وأصبحت مجاورا له ولا تفكر فى الرحيل ، وفى النهاية فكروا هنا كيف يجعلونك تترك هذا الوادى ، فرأى أكثرهم أنه يجب قتلك ، ولكن بالصدفة كانت لدى حيلة مؤثرة ونال اقتراحى القبول وهو أن تُصبح بالعودة لموطنك تاركا الوادى بحيث لا يبدو لأحد صلة بذلك ولا يحدث هناك شك فى أمرنا ، ويكون فراقا أبديا ، وكانت رسالتى الأولى نتيجة لهذا الاقتراح فطلبت منك تنفيذ وصيتى وقد أملوا على هذه الرسالة ، بعد أن استفسروا منى عن هذه المعلومات وأعد مسودة بمضمونها ، ولكننى يا حسين كنت أبكى بكاء صامتا أثناء كتابة هذا الخطاب ؛ لأننى كنت أعلم أننى أعد بنفسى العدة لفراقك فراقا أبديا ، حسنا ، لقد أرسل هذا الخطاب إليك لكن بعد (بضعة أيام) عندما استفسروا عنك اتضح لهم أنك جالس فى مكانك لم تغير شيئا من إرادتك .

حسين: لا شك فى ذلك ؛ فأنا أموت ولا أبارح ذلك المكان .

زمرد: وعندما اتضح ذلك بدأ هؤلاء الناس يفكرون مرة أخرى ، وكنت أردد بينى وبين نفسى: ماذا أفعل الآن؟ بعد أن فشلت تلك الحيلة ، عندها لم تخطر على بالى حيلة أخرى ، وخشيت أن يخضبوا ومن ثم يدبرون قتلك ، وبالصدفة جاء خبر فى تلك الأيام أن الإمام نجم الدين النيسابورى كان يعظ ضد الباطنية ، وكانوا يدبرون الخطط لكى يقتلوه على يد أحد الفدائيين ، ومن سوء حظى أو جزاء عملى أننى قلت لهم إنه عمك وأستاذك ومرشدك . وما إن وصل هذا الخبر إلى مسامع الملك خورشاه الذى كان هناك حتى فكر فى أنه من الأفضل لو يقتل هذا الإمام العظيم على يدك ، وهكذا سوف يتضح كم يلقى مذهب الباطنية بأثره العميق على القلوب لدرجة أن الإنسان لا يكثرث بأقاربه وأصدقائه وحتى

أستاذه ومرشده، إن قتله بخنجرك يمكن أن يؤكد تلك الأمور وهى أن ابن الأخ يقتل العم، والتلميذ يقتل الأستاذ، والمريد يقتل المرشد بلا تردد ويعتبر هذا صواباً.

وما أن قالت زمرد هذا حتى زفر حسين آهة باردة وبدأ يقول بعين دامعة: "وآسفاه! كم من ظلم ومن ذنب ارتكبه فى حق المرشد العطوف والعارف بالله الكبير، لقد خضبت يدى بدماء مثل هذا المرشد الزاهد والمشفق الكبير والإمام المعصوم شوقاً إليك يا زمرد وبسبب نصيحتك وإلا ما تجرأت على مثل هذا الظلم العظيم.

زمرد: يا حسين لقد قلت لك من قبل وأقول لك الآن أيضاً لاتشركنى فى هذا الذنب إن فرائصى ترتعد عندما يأتى ذكره، ولكن حسناً، دع عنك هذا الحديث فلا يستطيع أحد أن يمنع المواقع، وأنا إن كنت قد هياتك لهذا العمل فقد كنت بلا حول ولا قوة، وأنت إن كنت قد استعددت له فقد كنت فى غير وعيك.

حسين: (بعد أن ضرب صدره بقوة) لكن وآسفاه يا زمرد فإن الله لن يقبل هذا العذر، وأرى حقاً - سواء كنت فى وعى أو بدون وعى - أننى اقترفت ذنباً عظيماً، ولكن الشوق إليك دفعنى مراراً إلى الاستعداد..

زمرد: (بعد أن قطعت الحديث من الاضطراب) يا لهف نفسى.. بالله عليك يا حسين لا تأخذنى معك (وبعد أن ذرفت الدموع) قالت كنت مضطرة إلى ما فعلت كنت بلا حول ولا قوة وللأسف فإنى كنت نفسى أسمع صوت اللعنة من قلبى والآن أسمع نفس الشئ منك أيضاً.

وبعد أن قالت زمرد هذا بدأت في العويل ويعفوية قام حسين بسرعة وجفف دموعها وقال: "يا زمرد! لا شك أنك بلا ذنب ولو أننى اطلعت على قلبك لصفحت عنك فأخبرينى ماذا حدث بعد ذلك؟

زمرد: (بعد أن جففت دموعها بالمتدليل) ثم وجدت الخطاب الثانى والذى نصحتك فيه بالتعبد لمدة أربعين يوما فى جب مدينة الخليل وغار جبل الجودى ثم الذهاب إلى حلب للقاء الشيخ على وجودى ، وهكذا أرسلت هذا الخطاب أيضا فقد سلمته بعد أن كتبت مسودته بيدي ثم وضعوه على قبرى.

حسين: لكن إذا كان الأمر إلى هذا الحد وقتل الإمام نجم الدين النيسابورى، فلماذا كل هذه الحيرة ؟ ولماذا ظهرت كل هذه الصعوبات عديمة الفائدة فى طريقى؟

زمرد: لأنك أبديت فى شوقك الاضطراب ونفاد الصبر، فلو أنك انتظرت عاما دون أن تتعبد أربعين يوما وبدون أن تكون عند على وجودى لما تهيأت لارتكاب مثل هذه الذنوب العظيمة مطلقا.

حسين: لقد كان فى قلبى شوق إليك بحيث إننى كنت مستعدا لتنفيذ أى أمر تطليينه.

زمرد: نعم لم يكن معلوما لهم أنك أحققت إلى هذا الحد ، وأنت ضعيف إلى هذا القدر.

حسين: ولكن كيف أقول يا زمرد! أنا لم أصدق كلامك، ولقد رأيت بأم رأسي مثل هذه الأمور وهى أسمى من العقل البشرى إلى هذا القدر بحيث لا أنجربأ بأى شكل على إنكار رهد أولئك الناس. وقد مات

الحماران اللذان امتطيتهما حتى هنا، ولكنني وجدت حمارا جديدا قويا مربوطا فى تلك الشجرة ، وكان جميلاً قويا سريعا إلى حد كبير ، وكنت أعتبره فى ذلك الوقت هبة من عند الله جاء لى بخاصة حتى أمتطيه .

زمرد: لقد أرسل ذلك الحمار من هنا فى ذلك الوقت الذى وضع على قبرى خطاب باسمك ، وعندئذ وبعد أن أرسل ذلك الحمار من طريق آخر علقوه بهذه الشجرة .

سمع حسين هذا الجواب بدهشة وقال "عجبا" ولكن شكوكي لم تنته بعد، وفى النهاية كيف علم الشيخ وجودى بقصتى كاملة وهو على مسافة ألف ميل من هنا .

زمرد: لقد أخبر بجميع الأحداث مع ذهابك وقد كتبوا له أنك تريد الإمام لمحم الدين وتلميذه وابن أخيه ، وأنت قممت بقتله وقبل الوصول هناك سوف تتعبد أربعين يوما فى جب مدينة الخليل وغار جبل الجودى ، وعلم كل هذه الأمور بوسيلة أخرى، ولكنه جعلك تفتتن به بعد أن قص عليك من أمر الكرامات وعلم الغيب .

كان حسين فى غاية الدهشة والعجب، وغرق فى بحر الخيرة ، ولم يجد لها مفرا بأى شكل من الأشكال، بينما صمتت زمرد بعد أن أكملت كلامها، انغمس حسين فى التفكير وفى النهاية رفع عينيه من فرط دهشته وحيرته ونظر وقال: يا زمرد! أخبرينى بصدق هل كل هذه الأمور التى تقولينها حقيقة أم مازلت تخدعيننى؟ إن كل حياتى الماضية تبدو كحلم وأنا أشك فى لقائى معك الآن وأعتبر كل هذه الأحاديث حلما، ثم جميع الأحداث التى حدثت بعد فراقى عنك، فهل أنا فى الحقيقة بهذه الدرجة

من الغباء حتى أتلى بمثل ذلك الخداع والمكر العظيم؛ ولكن يا زمرد إذا كانت كل هذه الأمور مجرد تخمين وسوء ظن فإن "على وجودي" يعلم تلك القصة التي أخبرتيني بها، فكيف علم أنه ألقى القبض على يد مجاورى مدينة الخليل وهربت بعد أن تركتهم بمجىء الباطنية المفاجئ.

زمرد: أنت يا حسين فى الحقيقة مغفل كبير، وأنا أفهم السبب وأنت لا تستطيع أن تفهم، ولكنك فى الحقيقة مضطرب، وقد تأثر قلبك وعقلك بعدة أمور إلى هذا الحد بحيث بات من الصعب عليك إخراج تلك الأمور من عقلك، ألا تعلم أن الباطنية يتشرون فى كل أنحاء الدنيا، وتمتد شبك مؤامراتهم فى كل قرية وفى كل بلدة صغيرة، لقد بقيت عاما مع وجودي، ولم يكن من الممكن ألا يعرف حكايتك.

حسين: نعم، لقد رأيت هذا بلا شك، فالؤمنون به منتشرون فى جميع أنحاء العالم، ويأتون أيضا لزيارته مرة واحدة كل سنة، وقد رأيت أن هؤلاء الناس يلتقون معه فى الليل فقط وبشكل سري ثم ينصرفون.

زمرد: تستطيع أن تدرك من هذا كم يوجد من وسائل وطرق عديدة لتوصيل الأخبار إلى مسامعه، ففى الوقت الذى تركت فيه هذا الوادى ومنذ ذلك الحين وحتى وصولك فى النهاية إلى حلب وأنت تحت المراقبة فى كل منزل وفى كل مكان، وكأنت أخبارك اليومية تصل إلى على وجودي، وليس هذا قاصرا عليك فحسب بل إن الشخص الذى يقع فى قبضة الباطنية يوضع تحت المراقبة هكذا، ومن ثم فأى عجب فى هذا الأمر لو علم قصة أسرك فى مدينة الخليل.

حسين: أنا لست مندهشا من هذا، وإنما الدهشة فيما كان يقوله الشيخ فيإشارة منه هجوم الباطنية وحررونى من الأسر.

زمرّد: ليس فى ذلك مجال للدهشة ، ولاشك أن وجودى أمر أنصاره
بالهجوم ليخلصك منهم .

حسين: كيف أمرهم؟ وما بين وصول خبر أسرى والأمر بالهجوم
فترة زمنية قصيرة ؛ فقد وقعت الواقعة هناك فى الليلة التى كنت خارجا
فيها وقبيل خروجى قتل حاكم الخليل على يد الباطنية ومن ثم وقعت فى
الأسر ، ولم يكن قد انقضى يوم واحد بأكمله حتى دخلت المدينة
مجموعة كبيرة من عنده ، فكيف يمكن إنجار كل تلك الأعمال بهذه
السرعة .

زمرّد: (بعد قليل من التأمل) أى صعوبة فى هذا؟ وقد علم الباطنية
فى أى يوم نزلت فيه إلى الجب وفى أى يوم ستخرج ، ومن الضرورى
أنك ستواجه هذه الصعوبات ، وفى ذلك الوقت أخبروا الشيخ على
وجودى بأن يأمر بالمساعدة وكانوا يحسبون اليوم المحدد وكان اليوم
الأربعون بالضبط هو ذلك اليوم الذى كنت خارجا فيه ' فقتلوا حاكم
المدينة حتى يفكر الناس فى شىء آخر وتخرج أنت فى صمت وتهرب ،
ولكن عندما وصلتهم الأخبار بأنه ليس هناك فائدة تذكر من قتل حاكم
المدينة وأنت أسرت على يد المجاورين عندئذ قاموا بالهجوم وأحدثوا
الفوضى والاضطراب فى المدينة حتى تتحرر وتسحق لك الفرصة للهروب .

حسين: (بعد أن زفر آهة باردة بقوة) وآسفاه يا زمرّد أكان كل هذا
كذبا ؟ كيف أقول إن الشيخ على وجودى شخص مكار إلى هذا الحد؟ يا
زمرّد إن كراماته وعلمه للغيب علاوة على علمه وفضله كما أن كل كلمة
من كلماته تفوح منها وحدة رموز المعرفة والزهد ، ولكنى لا أجزؤ على
سوء الظن به ، فعالم وفاضل كبير إلى هذا الحد ومتوقد الذكاء كذلك

وبعيد النظر فى نفس الوقت ويكون مخادعا كبيرا إلى هذا الحد؟ لقد بقيت فى صحبة الإمام نجم الدين ولكن يا حبيبتى زمرد أقول حقا إن الأمر الذى نصحنى فيه الشيخ على وجودى قد أزال الشكوك من قلبى بسهولة لا تعادل مثقال ذرة عند الإمام نجم الدين .

زمرد: لا شك ربما يكون كذلك ، ولكن الأمر هو أن الإمام نجم الدين كان يقوله ببساطة ما يرد على قلبه ويلا تكلف ؛ إنه لم يحاول مطلقا التأثير فىنا وفى تكويننا ، بينما كل نقطة عند الشيخ على وجودى هادفة للتأثير على القلب ، وكل فقرة من فقراته كلها رياء ، وهذا هو الفرق بين الصدق والكذب ، ولهذا السبب دائما كانت القاعدة هى أن أحاديث الخداع أكثر جاذبية وأكثر تأثيرا ورسوخا فى القلب من أحاديث المرء الصادقة البسيطة ومن المؤكد أنك بعد أن التقيت بالشيخ على وجودى اكتسبت درسا عظيما جدا فى الزهد .

حسين: (بعد أن ضرب على صدره بقوة): نعم تعلمت درساً جيداً ، لكن حسناً ؛ فحين خضعت لتأثير السحر صرت أنا أحقق إنسان فى الدنيا وأكثر الناس كفراً وظلماً ، وللأسف سوف أندم طوال العمر ولكن يا زمرد ماذا أقول؟ فكل هذه الأمور حتى الآن تبدو حلماً وصورة طور معنى وقصره النوراني لا تزال تدور أمام عيني حتى الآن .

زمرد: نعم هو أكبر عضو فى هذا المذهب - وقد التقي ملك الموت حتى ذلك الوقت بشخصين فقط ، ولم يكن من نصيب هذا المذهب الباطنى نقيب أو داعية أفضل من طور معنى وعلى وجودى والذى يذكر هنا باسم الوادى الأيمن بالمؤامرات الناجحة لكليهما قتل مئات الأمراء والوزراء والعلماء والفضلاء ، ولأنهما يعلمان حقيقة اللجنة والملا الأعلى

جيذا ، لهذا يخدعون الناس ، يضللونهم بالحديث عن الجنة ، وكان طور معنى يلتقى بالناس كذلك ، ولكن الوادى الأيمن أصاب هذه الدنيا بالخراب الكثير وربما لم يلحق أحد بالدين ضررا مثل ما ألحق هذا الشخص .

حسين: فهل قصر طور معنى الذى تحت الأرض قد شيد لخداع الناس أيضا وليس به أى معجزة طبيعية مثل الجنة .

رمرد: (مبتسمة): هل لديك شك الآن؟

حسين: ليس هناك شك يا حبيبتى رمرد، فكل أحاديثك صادقة، ولكن هل تخبرينى كيف تمر تلك الحقائق هكذا أمام الأعين، وكيف استمعت تلك الأذان إلى الكلمات الخادعة، حسنا أخبرينى كيف وصلت هنا من الغار بينما قصر طور معنى فى أصفهان؟

رمرد: لأن اسم آلموت معروف إلى حد ما وقد أثار بعض الناس ؛ لذا فإن الناس الذين يفكرون هكذا (يحضرون) إلى هنا عن طريق أصفهان وطور معنى، وتنفذ هذه الحيلة (لإخفاء) كل الأسرار حيث يفقدون طور معنى الوعى ويركبهم على قطيع من الإبل ويوصلهم إلى آلموت عن طريق جماعة من الجمالين الموثوق بهم والحافظين للأسرار، وعندما يعود الوعى لهؤلاء الناس فى أى موضع أو مسافة ليلاً فإنهم يسقونهم ويطعمونهم شيئا ما ثم يسيرون بعد أن يفقدوا الوعى .

حسين: (بعد أن انتبه) أنا بنفسى أحيانا كنت فى غابة وأحيانا فى الجبال ، فكأننى هكذا سرت من أصفهان قاطعا المسافة إلى آلموت .

رمرد: وماذا؟

حسين: (بدهشة) وكيف يُفقد هؤلاء الناس الإنسان بلا وعي؟

• زمرد: عن طريق أوراق الحشيش والتي يمزجونها أحياناً في الحلوى وفي الطعام ، وأحياناً يسقونها لهم في عصير .

حسين: (بلا صبر) إذن ، كان كأس الشراب الذي سقاني إياه طور معنى حشيشاً .

زمرد: بلا شك .

حسين: وآسفاه لقد تعاطيت المسكرات أيضاً، وليس من ذنب إلا واقترفته، لا تغضبى يا زمرد؛ لأن الأمل فى وصالك فقط كان قد أعمانى وإلا لما كنت مجنوناً وبلا عقل إلى هذا الحد وحكاية حبك فى هذه العلامة التى نتجت عن تقييلك إياى فى جبهتى فكانت تلك القبله أحب عندى من روحى وقلبى، وكنت أريد أن أحمل علامة القبله هذه لأسلى بها قلبى ، ولكن لا يمكن لهذه الشفاء المشتاقه أن تصل إلى هناك بأى طريقة، وكانت زمرد قد اعترأها قليل من الخجل من حديث حسين حتى ظلت مطرقة العينين لفترة من الوقت بعد أن لاذت بالصمت ، وبعد عدة دقائق تغلبت على عواطف الخجل وقالت: يا حسين أنا لم أقبل أى شخص ولا صارت قبلتى علامة على جسم أحد، وهل أنا بلا حياء إلى هذا الحد .

حسين : (بعد أن قطع الحديث) حسناً، لعل أحداً آخر سواك قبلنى!! فأنا لم يمتد فمى لأحد .

زمرد : (مطرقة النظرات) لا تحدثنى الآن فى أحاديث مخجلة، فقد خُدعت فلا هذه علامة قبله ولا رمزاً للحب بل هى العلامة التى تحدت نتيجة الكى بالنار على جباه من يأتون بهم إلى هذه الجنة .

حسين : كنت تذكرت إذا كُويت .

زمرد: إن هذا الكى ربما تم بعد فقد الوعي ، وعندما كنت تسير فى ذلك الوقت من آلوت إلى أصفهان .

حسين : (بعد أن ضرب صدره بقوة) وآسفاه ذهبى لقطف الورد فأحضرت الشوك .

وظل حسين بعد هذا لفترة يتأسف من صميم قلبه على حاله ثم فزع مرة واحدة قائلاً: "زمرد للأسف أنا المخدوع الأكبر ؛ فلماذا لم تشيرى على فى ذلك الوقت عندما أحضرت عندك، وكنت آنذاك تذكرينى كذلك أن كل هذه الأشياء هى الملاء الأعلى" .

اغرورقت عينا زمرد بعد أن سمعت هذا وقالت بصوت متألم: هكذا كتب فى حظى أن أخدعك .

بدأ قلب حسين كأنه أصيب بعد أن رأى زمرد دامية حزينة ، وبشكل تلقائى جفف دموع محبوبته الوفية ، وبدأ يقول: يا زمرد لم أكن أتخيل أن قلبك سوف يُصدم من هذا السؤال، حسنا أنا ماضٍ وأعدك بألا أسألك مثل هذا الكلام مطلقاً .

زمرد : لقد رششت الملح على الجرح ونكاته ؛ إنك فى ذلك الوقت سألت عن كل شيء ولم تسأل عن هذا، لقد تحررت ولم تدرك ماذا دار فى رأس سيئة الحظ، لقد كنت حراً طليقاً تتجول فى الدنيا وكنت أنا فى السجن للأسف وماذا أقول وأى عذاب ابتليت به؟ لم يكن بإرادتى أن أبوح بالسر لأحد ولو تلميحا، نطقت زمرد بهذه العبارة ثم انخرطت فى البكاء والعمويل .

حسين : (بعد أن عانتها وجفف دموعها) لا ريب أنها غلطت وهى
أننى نسيت السؤال عن هذه الأمور، لكننى أقول بصدق إننى فى ذلك
الوقت لم أسأل عن أى أمر مبدى، فالذى سألت عنه لم أقصد سؤالك عنه
نتيجة غيابه بل كنت فى دهشة وبلا وعى؛ فاصفح عني لو كان قد
حدث تقصير عن وعى .

رمرد : حسنا، إن كنت قد أثرت هذه القصة فاستمع، هذه الحديقة
فى عقيدة الباطنية والفدائيين هى موطن السرور ، هى المأوى الأعلى وجنة
الفرديوس ، والحقيقة أن ملوك آلوت قد جعلوا منها موطناً ومشالاً للمتعة
وقد تضاعف بهاؤها ورونقها يوماً بعد يوم نتيجة للجهد المتواصل طيلة
مائة وخمسين سنة، ولأنها كانت تستخدم فى عمل دينى لهذا اجتهد فى
إعداد كل شىء بحيث تكفى روعته وجاذبيته فى مضاعفة عزمة الإنسان
وهمته ومحو دهشته، فهذا القصر الذى تراه ويبدو لك أنه من الفضة
والذهب واللؤلؤ والمرجان هو فقط من الذهب والفضة وقد اصطبغ بلون
الجواهر ونفس الشىء بالنسبة للأجر والطوب الذى شيدوا منه القصور فى
كل مكان، ولا شك أنه تم شق الأنهار بصعوبة بالغة، ولكن جريان
الأنهار والشلالات من الجبال كان يتم بشكل طيعى، وكذلك هذا النهر
العظيم الذى فى وسط هذه الحديقة والذى شيد عليه جسر ذهبي هو نفسه
نهر ديرلجمان الذى قضيت فترات من الزمن تبكى وتتوح على شاطئه .

حسين : (بدهشة) هو نفس النهر؟

رمرد: نفسه، هذا النهر يأتى إلى هنا من القصر الملكى، ومن هنا
حيث تكون مثل هذه الشعاب الجبلية التى من المستحيل المرور منها يصل
هذا الوادى البهيج .

حسين: كيف كان هذا النور يا زمرد والذي أخبرتنى بأنه النور الإلهي.

زمرد: هذه الأنوار كانت حول الجبال وفى الليل ينبعث منها نور قوى وساطع مثل نور الأقمار بعد أن ينعكس على المرايا والزجاج فيقوى و يسطع أكثر، وكان هذا النور يعد فقط فى تلك الاوقات عندما يؤتى بشخص ما إلى هنا لتجنيده ، وفى ذلك الوقت يؤمر الجميع عندما يتلأ ذلك النور بقوه أن يصيحوا قائلين: "هذا ما وعدنى ربى"^(١) ، وأن تملأ أحواض الخمر واللبن أيضا بمناسبة هذه الزيارة ويعرض بهذه المناسبة أيضاً جلوس الناس على الأسرة وسقاية الغلمان للخمر وتزهمهم فى سعادة خالصة وطمانينة.

حسين: و ماذا عن تغريد الطيور وقطفها للفاكهة وإحضارها.

زمرد: و أى أمر هام فى هذا؟ تتترك عدة طيور اليفة مروضة دربت على إحضار الفاكهة بدون إزعاج ووضعها أمام الناس ثم تطير عائدة، وهكذا الطيور هنا تحفظ هذه الآية من القرآن الكريم "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين"^(٢) ويرددونها فى كل وقت.

حسين: خدعة كبرى! حسنا هل يستطيع أن يفهم أحد؟ يا زمرد لقد نسيت قصص حكايتك بعد أن أخبرتنى بسر الجنة.

زمرد: هل تسال عن مصيبتى؟ لقد تحملت جميع تلك الصعاب ولو حدث شيء لكنت تمزغت الآن فى التراب.

(١) هكذا فى الاصل .

(٢) هكذا فى الاصل .

حسين: لا يا حبيبتي زمرد لا تخرجي مثل هذا الكلام من فمك
فيصدم قلبي، ألف شكر لله فقد انقشعت هذه المصائب ، وها نحن يعانق
أحدنا الآخر ثانية .

زمرد: كنت قد أحضرت في الأصل لجعلني حورية، فخورشاه
ورفاقه من أهل البلاط وجميع الحوريات هنا يبحثون دائما عن أى امرأة
جميلة ليضاعفوا بجمالها وحسنها الفتنة والجاذبية في الجنة، فعندما
جئت بين يدي خورشاه ولسوء حظي تأكد أنني جميلة أكثر من العادة
وأتفوق على جميع حوريات الجنة .

وأراد أن يجعلني لنفسه بشكل خاص ، ولكنني بعد سماع هذا الخبر
صرت مضطربة جدا ، وفي النهاية قررت بيني وبين نفسي أن أنتحر و لا
أقبل هذه المهانة، في البداية أخذوا يغرونني بكل الطرق، فقبل لى إننى
سوف أضيع التاج على رأسي بعد أن أكون زوجته ، وأننى سوف أصبح
ملكة عظيمة الجاه ، ولكنني لم أوافق بأى حال ، وعندما يشسوا من
إرضائي، استعدوا لقهرى وبدأوا فى إيدائي وإيلامى بكافة الوسائل حتى
انقضى على هذه الحال شهران ونصف شهر كنت أنتظر خلالها الموت فى
كل ساعة .

بعد أن سمع حسين معاناة ووفاء محبوبته الوفية فاضت عينيه بالدموع
و تأوه آهة باردة ، و قال : "لقد تحملت يا زمرد معاناة عظيمة من
أجلي" .

زمرد: لم تكن هذه معاناة، بل كنت أعتبرها راحة وطمأنينة ، ولهذا
لنجوت من هتك العرض والمهانة ، وكان خورشاه قد عزم على قتلى غاضبا

بسبب فشله فى إقناعى ، لكن أحد الأصدقاء مصادفة أشار عليه بأن البطش والظلم والجور لا يولد الحب فى قلب الإنسان ثم قال له: وربما من الأفضل أن تترك زمرد لعدة أيام فى أحد قصور الجنة ، وعندما تعيش هناك فترة من الزمن فى راحة وسعادة فإنها سوف تنسى الحزن والغم ، وسوف تستعد هى بنفسها لأن تصبح معشوقتك بعد أن تتغلب عليها فى النهاية عواطف الشباب وقد لاقى هذا رأى استحسانا لديه ، وعندئذ أخذت من قصره وأودعت فى هذا القصر الدرى وفى مثل هذا المكان الحصين لم يكن خورشاه يتخيل أن تصل إليه حتى الطيور الجارحة ، وكان من المستحيل على أى شخص أن يدخله وكان الفدائى الذى يحضرونه من أجل تدريبه يظل تحت الملاحظة والمراقبة فى كل الأوقات ويجتهدون حتى لا أستطيع أن اتقى بهم أو أتحدث معهم ولو حديثا مقتضبا ، وعندما التقيت بك كانت تلك الأمور فى ذلك الوقت تحت المراقبة الكاملة ، ولم يكن هناك أى مجال سوى تسليتك وإغرائك ، واستطعت أن أكون معك بلا تكلف وكان كل شئ بالنسبة لى سهل ، وكنت أقضى الليل والنهار فى بهجة وسعادة ، وطبقا لتوجيه خورشاه فإن جميع الحور هنا صرن جوارى لى وكن يجتهدن فى تسليتى كل وقت ، وكانت يا حسين كل أسباب المتعة موجودة ولكن قلبى لم يهدأ بأى حال من الأحوال ، وظلت صورتك أمام عيني كل ساعة وأفكر فى حيل مختلفة لكى أهرب من هنا بأى طريقة ، وكانوا يتشاورون فى تلك الأيام فى أمر قتلى وكانت دمايى تنجمد كل يوم ، وذات ليلة رأيت فى الحلم كأننى أقف فى ميدان قفر وفجأة ظهرت أمامى والتقيت بى وأخذنا نجرى على غير هدى ، وفجأة خرج شخص ما كان مختبئا فى شجرة وضربك بسكين فى صدرك فجرحت وأمسكت بصدرك ووقفت ، وكنت أبكى وأصرخ بلا توقف ،

وأجرى نحوك ، وفى هذه الحالة من الصراخ والعيول فتحت عيني ،
والآن أنى لى أن أستقر وقد قضيت بقية الليل فى بكاء مستمر وجلست فى
الصباح مضطربة حيرانة حتى قامت إحدى الحوريات هنا تسمى مرجان
بالسرية عنى إلى حد ما ، وهى التى كانت تأتى عندى أحيانا لتجاذب
أطراف الحديث سويا ، وبعد الحديث هنا وهناك قالت: "يا زمرد أتريدين
أن تسمعى شيئا آخر، إن ذلك الشاب حسين الذى كان معك يجلس فى
الوادي حتى الآن مجاورا لقبرك" .

وكان يجب على التلذذ بالصبر والتحمل فى هذه المناسبة ،
ولكنى لم أطق صبرا وأخذت آهة باردة بعفوية وقلت: حسين حتى الآن
هناك؟

مرجان: نعم ، ولكن بات من المؤكد أنهم سيخلون المكان منه فى
يوم أو يومين فاضطربت وتساءلت: لماذا؟

مرجان: لأننا سوف ننتزه فى هذا المكان؟ ولهذا السبب يريد خورشاه
ألا يظل هناك مثل ذلك الشخص الذى يعرف سرنا ، وكان يظن فى البداية
بالنسبة لصديقك الشاب أنه سوف يمضى إلى حال سبيله بعد أن دب اليأس
فى قلبه تماما وقد بنى قبرك لهذا السبب وحفر اسمك على الحجر حتى
يتأكد حسين من موتك ويرجع ويمنع الناس من المجيء هنا ، ولكن فشلت
هذه الحيلة، لهذا اضطر الآن إلى تنفيذ هذا الاقتراح ، وهكذا سوف ينجز
هذا العمل .

يا حسين أنا لا أستطيع أن أخبرك كيف كان حال قلبي بمجرد أن سمعت هذه
الجملة ، اضطربت وقلت بعفوية كاملة: فليقتلنى أنا أيضا .

وبعد أن رأت مرجان دهشتي وفقداني للوعي قالت: لو تريدان إنقاذه فعليك بعمل شيء وهو أن تذهبي أمام خورشاه بنفسك وتشفعي له ولم أوافق مطلقا على مثل هذا الأمر ، لكنني كنت أفكر فقط في أن أنقذ روحك طوعا أو كرها فذهبت وعندما ابتسم أردت الكلام فقلت بيبكاء وتضرع بالله عليك لا تودي بحياة هذا الشاب، فاستمع إلى طلبي ونظر إلى بعين الغضب بعد أن تفحصني مليا بلامحه الجامدة القوية ؛ لأن علاقتي بك قد صدمت قلبه صدمة كبيرة و بدأ السؤال بصوت جد غضبان: ماذا هو بالنسبة لك؟

فقلت : هو حبيبي، تربيت معه ودرست معه بعد أن كبرت وعقدنا النية على الزواج ، ولهذا السبب أنا وحيدة ؛ فهو مالك للنفس والنفس.

خورشاه: ألم تتزوجيه حتى الآن؟

نظرت إلى أسفل وأجبت "لا" .

بعد أن سمع خورشاه هذه الإجابة ، نظر إلى بعيني فاحصة وأساء الظن بي وسأل: ولكنك تقيمين معه مثل هذه العلاقات قبل الزواج، تسافرين معه وتركين الأهل والمنزل، ومن هنا فهذا دليل على أن شرفك قد تلوث.

أصابني الحجل الشديد عند سماع كلامه ولم تخرج من لساني أي كلمة، ولكنني فقط من أجل إنقاذ روعي وروحك تجرأت واستمرأت قلة الحياء وأجبت: لقد خرجت أولا لقراءة الفاتحة على قبر أخي، وثانيا من أجل الحج، حقا لا شك كنت أريد أن أعقد النكاح بمجرد وصولي قزوين.

خورشاه: حسنا، تؤدين مراسم الزواج فى قزوين ، ولكنكما فى الغالب أقمتما أولاً فيما بينكما علاقات الزوج والزوجة.

فتملكنى الخجل على هذا السؤال وتصيب جسمى عرقاً وأطرقت وأغمضت عينى خجلاً وأجبت قائلة: "لا لم يعتر شرفى نقص ، ويمجرد أن سمع خورشاه هذا أخذ يقول هائجا بعفوية، اغربى عن وجهى. فشكرا لله على أن جسمى الطاهر الرقيق لم تمسه يد بشر حتى الآن.

كنت قرية منه فأخذ يعانقنى ولكنى كففته بكلتا يدي ثم، سقطت على الأرض عند أقدامه وبدأت أقول: "لا تقضى على هذا الشاب وإلا سوف أموت"، ظل خورشاه يفكر لوقت طويل ثم رفعنى وقال: "ولكن يا زمرد من الضرورى جدا أن يخلى هذا الوادى من هذا الشخص العنيد".

أنا: آه! كنت قد أوصيته إذا مت أن يؤكد لأهل بيتى على عفتى وطهرى ، ولكن للأسف لم يوافق.

فزع خورشاه بمجرد أن سمع هذا وقال: "هل كنت قد أوصيته باللهاب للبيت".

أنا: نعم، وحين أكدت له على هذه الوصية قال:

حسنا لا بأس فى هذا، هناك حيلة غاية فى الإتقان وعليها سيخلوا منه ذلك الوادى ، ولن يصيبه منها أى نوع من الأذى، ولكن يا زمرد كل هذا ينحصر فى الأمل فى حبك فقط.

ومن الواضح أن ما أقوله ردا عليه غير ملائم تماما فوقفت صامتا وطلب خورشاه قلمًا ودواة وكتب مسودة خطاب ودفع به ناحيتي قائلا: "اكتبه بيدك" فوضعتة أمامي وجلست وكتبته ، ولم أكن قد رجعت بعد حتى استدعى خورشاه فلاحا من بائعى اللبن وسلمه الخطاب وأمره أن يضعه على القبر على حين غفلة منك ، وكان هذا خطابي الأول وقد بينت لك مضمونه من قبل ، ولكنى أقول لك بعد ذلك إننى واجهت كل أنواع الظلم وأشكال المكارة عندما كتبت لك هذا الخطاب .

وعندما رجعت بعد إرسال هذا الخطاب كنت فى حيرة شديدة من أمري ، وكان قد تأكد لى أنك الآن سوف تذهب إلى بيتى بعد أن أصابك اليأس فى لقائى ، وكنت مستغرقة فى هذا التفكير نهارا كيف يكون وقع خبر موتى على قلب أبى وأمى بعد سماعه منك وقد انقضت عدة أسابيع على هذه الحالة ، وذات يوم جاءت عندى حورية اسمها مرجان و كانت تبدى لى المواساة دائما ، ولكن اتضح لى بعد ذلك أنها كانت ربيبة خورشاه، وذات يوم عبرت لى عن ألمها من أجلى ، وكنت مضطربة من أجلك، وفى أحد الأيام وأثناء الحديث سألتنى: هل أنت من منطقة أمل يا زمرد؟

فقلت بفزع: نعم، لماذا؟

مرجان: هناك عالم كبير يعيش الآن فى نيسابور يغوى الناس على مخالفتنا ويخبرهم بأن هذه اللجنة جنة مزيفة .

أنا: من؟ أليس هو لحج الدين نيسابورى .

مرجان: نعم هو نفسه الذى يقترحون قتله .

أنا: (مندهشة) نعم ولكن هذا ظلم عظيم ؛ فهو عالم رباني كبير وأستاذ حسين وحسين من مريديه .

مرجان: (بدهشة): حسين من مريديه وتلاميذه!

أنا: ليس بالضبط ، ولكنه ابن أخيه .

وأخذت أتأسف من قلبي بعد ذلك، فهذا الظالم يقتل ذلك الشخص الرباني بلا ذنب وبسبب أفكاره، وقد رأيت في الليل عدة أحلام مفزعة ورهيبة ونهضت في اليوم التالي وجلست ولم تكن الشمس ساطعة بشكل جيد فإذا بمرجان قد أتت وبدأت تقول: "هيا يا زمرد فإن خورشاه يستدعيك".

أنا: (في حالة فزع) لماذا؟

مرجان: هذا ما ستراه، لكن هيا الآن، كنت مضطرة لأن أذهب معها ، وبعد أن ذهبت هناك رأيت فتاة حسناء يأخذ من يدها كأس الخمر ويحتسبه وما أن رأى وجهي قال:

خورشاه: أنت لم تتركى التفكير في حسين بأى صورة؛ فلو حققتى رغبتى واقتنعتى بها فأعدك بأن أقابلك به .

بعد أن استمعت إلى هذه الكلمات سرى فيّ قدر من السعادة، لكن شرطه كان مثل الذى يمزج السم فى كأس الشراب تماما. فراودتنى فكرة أخرى وقلت: لو أنك رحيم وجعلتنى ألتقى به فسوف أبقي لك جارية طول عمري، فسر من ردي هذا وأعطاني مسودة الخطاب الثانى على الفور وقال: اكتبيها بخطك فأخذت المسودة من يده وقبل أن أقرأها نظرت ناحية خورشاه وسألته:

هل سيفادر حسين هذا الوادى الآن؟

خورشاه: لا ؛ إنه لم يكثرث بخطابك الأول قيد أنملة، وهكذا
جلس مجاورا للقبر وكنت تعتبرته حبيبا صادقا ووفيا ، ولكنه لم يحفل
بك وتعلق قلبه كذلك بهذا الوادى الخلاب حتى إنه لا يمثل الآن لأمرك .

أنا: لا إنه وفى إلى ذلك الحد الذى أعرفه، فكما أنه لم يطب نفسا
لفراقى فهكذا لم يستغ فراف قبرى الآن.

حسين: (بعد أن غلبت عليه العاطفة) لا شك يا زمرد فإننى لم أمتثل
لأمرك من أجل هذه الفكرة.

زمرد: حسنا ، بعد أن سمع هذا الكلام على لسانى، نظر إلى
محدثا بدهشة وقال بصوت منخفض إلى حد ما: "اكتبى هذه المسودة
سريعا وتهيئى للقاء حسين" ، وتعجبت من قراءة هذه المسودة، قرأتها
وقلت فى نفسى إلى أى قدر هؤلاء الناس مخادعون ومحتالون، على كل
حال كتبت الخطاب وسلمته له ومشيت، وعلمت فى اليوم التالي على
لسان مرجان أن الخطاب أرسل إليك، وكان الهدف منه أن تعتقد فى
الشيخ على وجودى وعن طريقه تقتل بيدك الإمام نجم الدين نيسابورى ،
وأن تنتزه فى الجنة جائزة لهذا وتسبح لك الفرصة للالتقاء بى، فماذا أقول
لك يا حسين عندما علمت بهذا الأمر وأى لعنة وأى لوم حل بى ، دب
الخوف فى قلبى حيث إنك سوف تخضب يدك بدمائه من أجلى، وكنت
أدعو الله ألا تعمل بهذا الخطاب مثل الخطاب الأول، ولكنى عندما علمت
أنك رحلت مغطيا الحمار الذى أرسلوه لك هنا تضاعف خوفى وبدأت
الدعاء أن يتفكك الله من هذا الذنب ، ولكن بعد فترة من الوقت علمت

آنك الآن يجب أن تأتي للجنة لمدة يومين أو ثلاثة أيام، تأكد لي أنك وقعت في شباك هؤلاء الظالمين ، وبعد أن غادرت ذلك الوادي ورحلت بدأ الحور هنا في الذهاب هناك بغرض التزهة والتجول في معظم الأوقات ، وإلى جانب هذا كنت أذهب معهم أحيانا بأمر من خورشاه ، وعندما أرى قبرى أبكى من قلبى كثيرا نتيجة التفكير فيك، وعندما جئت إلى الجنة، كنت قد أخبرت قبلها كيف ألتقى بك وما الذى أحدث به معك وكيف أضاعف من اعتقادك بهم وولائك لهم، وتم التأكيد على أنه لو حدث خللافا لهذا ولو أفشيت السر وإن كان بسيطا فسوف يقتلونك أولاً ثم أنا من بعدك، وأخذوا يراقبوننى أنا وأنت كل وقت حتى لا تسنح الفرصة للحديث معك بكلمة واحدة، علاوة على هذا فلأنتى عندما تبدو لي حالتك هذه وكأنك مسحور بسحر ميين، وجاهل بكل خير وشر و لا أمل فيك ، وأنت لن تتحمل وتخفي ما سأخبرك به وبناء عليه لم أقل لك شيئا، ومع ذلك سنحت الفرصة وأخبرتكم بالمجىء على قبرى فى حالة اليأس ، وفى النهاية وفقنى الله بهذه الحيلة ، ولكننى يا حسين تحملت ظلماً فادحا من أجلك على يد خورشاه ، وكنت من أجل اسم هذه الجنة قد واجهت صعوبات أكبر بعد ذهابك ، وكان يدور فى خيال خورشاه أنتى سوف لا أوافقك قط ، ولكننى أحيأ الآن نتيجة لرغبته القلبية ولوم الناس .

حسين: (بعد أن عاتق زمرد) إنها لغنيمة أن نلتقى بعد كل هذه المصائب ، ولكن الآن من الضروري بالنسبة لى أن أنتقم من أولئك الظالمين جراء ما يفعلون ولن أجد نصيباً من الراحة قط ما لم أنتقم منهم وكفارة ذنوبى هى أن أظهر العالم من دنس طور معنى وعلى وجودى

وخورشاه ، وكما كنت فدايياً لأولئك الناس فإننى سأظل الآن فدايياً مخلصاً للدين ، وسأذهب إلى معقلهم ، وسأرسل هؤلاء الناس من خداع الجنة إلى جهنم .

زمرد: ليس من المهم الذهاب إلى مكان ما فعيد قائم القيامة فى هذه الأيام ، وكل هؤلاء الناس يأتون هنا ويسقون فى هذه القلعة وتعد العدة كاملة لعقابهم ، واليوم ستجد الفرصة حتى المساء لكى تدهم القلعة والقصر وخورشاه مع بلغان خاتون وتقضى على ثلاثهم فى وقت واحد .

حسين: كيف علمت بكل هذه الأمور هنا يا زمرد؟

زمرد: من الحور وأهل الجنة ، وهذا قليل من السر الخفى حيث تحضر بعض الحوريات هنا إلى قصر خورشاه مثل مرجان ، وتظل حورية أو حوريتان موجودتين فى صحبتة كل وقت ، وعندما يعود هؤلاء الحور يحكىن للآخرين ما سمعا ورأيا ، وهكذا فى فترة وجيزة يعرف الجميع كل شىء ، وكنت أنا أيضا أسمع بطريقة ما ، نعم يا حسين فقد أخبرتك بعدد الجيش الذى يكون مع الأميرة؟

حسين: جيش؟ سوف يزداد قليلاً .

وفجأة ارتفع صوت معركة صاخبة فاضطرب كلاهما وخرجا من القصر ، فرأيا جيشاً عظيماً من آلاف الجند فجريا ناحية ذلك القصر الذى كانت الأميرة بلغان خاتون تستريح فيه .

الباب التاسع

الانتقام

خرج حسين وزمرد من القصر فتراءى لهما عالم عجيب ؛ حيث لم تعد الطمأنينة والراحة في الجنة كما كانت ؛ وبدأ كأن القيامة قد حلت في الفردوس الأعلى ، فالغلمان والخور الحسنات ذوات الوجوه الملائكية والتي كانت تخدع كل من يشاهدهم بحسنهم وجمالهم الذي يحيلهم إلى مخلوقات نورانية أخذوا يخرجون من القصور والمنازل ويهربون مذهولين يتخفى كل واحد منهم ويستتر بالآخر ، وحدثت ضجة وجلبة في كل مكان ، وارتفع صوت البكاء والعويل والنحيب والنواح في كل جانب ، وكان قد ذكر أن البكاء حرام ؛ وفي هذه اللحظة كان جيش تاتاري جرار قد دخل الجنة وانتشر عساكره في جميع الأرجاء فأعملوا السلب والنهب والاغتصاب في القصور والمنازل وأسروا الفتيات الجميلات والخوريات الفاتنات اللاتي خلقت أصوات صياحهن وصراخهن وأشكالهن المشدودة جوا رهيبا ولحظات حرجة عجيبة ، وجرى حسين وزمرد بمجرد أن رأيا منظر الذهول والوحشة هذا ، ووصلا إلى ذلك القصر حيث كانت تستريح الأميرة بلسغان خاتون ، وصلت زمرد بالقرب من استراحة الأميرة وما أن

طرقت الباب حتى انقض علىها مهاجم تاتارى متوحش بعد أن رأى وجهها وأخذت أسيرة أيضاً مثل جميع الحور القرييين منها، ولكن حسين لم يهرب بعد أن رأى هذا ، ولم يكن مع حسين أى سلاح فاستل خنجر الفدائية وجرى واحتدم القتال بينه وبين تاتارى آخر كان قريباً منه ، وفجأة انفتح باب الحجره وخرجت الأميرة الجميلة بلغان خاتون بشعرها المبشر المتدلى وأطراف ملابسها الطويلة مسدولة على الأرض فصاحت بلغة تاتارية قائله: قف، وما أن رأى التاتارى صورة الأميرة حتى جرى وخر على قدميها وقال كنا نبحث عن سموك.

الأميرة: أنت من بين المصاحيين لى؟

التاتارى: لا.

الأميرة: (فى سعادة) هل حضر أخى؟

التاتارى: نعم، وظهر فجأة سرب هائل من التاتار يتوسطه هولاءكو خان نفسه ، وكان السيف مسلولاً فى يده ، بينما عرف الديك معلق على عمامته ، وكانوا يظللونه بالأعلام التاتارية والرماح المغولية فقد كان معروفاً للجميع بهذا الشكل لكونه من الأسرة الملكية ، وهكذا عرفه كل قواد الجيش، وخرجت بلغان خاتون من حجرتها بعد أن رأت هولاءكوخان قادما وجرت لاستقباله وقد التقت الأخت بأخيها بحماس وعاطفة وصياح ، وتم ترتيب وصف الشباب المغير الشرس لمدة ساعة لتحية أميرتهم الحسنة الفاتنة، وتعالى هتافات السعادة والسرور من كل جانب.

بلغان خاتون: (لهولاءكوخان) متى جئت يا أخى؟ وهل كنت قلقاً من أجلى؟

هولاكوخان: لقد كتبت لى ولم آت، وليس فى شك أنه كان من الضرورى الإسراع فى تعقب سلطان الديلم فى ذلك الوقت ولكننى كنت مضطرا بمجرد أن رأيت خطابك أن أترك بعض الجيش لمطاردته وأصطحب معى باقى الجيش إلى هنا لنجدتك.

بلغان خاتون: كنت قد أخبرتك قبل مغادرتى بـعدة أيام ، ولهذا السبب لم أحضر فى صحبتى جند كثير ، ولكن فى صباح اليوم زاد قلقي لسبب تأخر وصولك.

هولاكوخان: حاولت جاهدا أن أصل فى الصباح الباكر ، ولكنى لم أستطع بأى شكل الوصول، حسنا والآن لم أتأخر كثيرا.

بعد ذلك طلبت بلغان خاتون من زمرد وحسين أن يقدموا علامات الطاعة لهولاكو وقالت: "هؤلاء هم الناس الذين ساعدونى فى الوصول إلى هنا" ؛ فقام هولاكوخان بعناقهما وقال: "أتقدم إليكما بالشكر الجزيل بالنيابة عن أختى". عندئذ ركع كلاهما وقبلا قدمه وقالا: "لقد تخلصنا من هذا السجن باهتمام سموكم وإلا ما كان هناك أى أمل فى النجاة طوال الحياة".

بلغان خاتون: وكم عدد الجيش الذى اصطحبته معك يا أختى؟

هولاكوخان: اصطحبت خمسين ألفا والثقينا فى الطريق مع أربعين ألف شاب ممن اصطحبتهم معك؛ فوصل مجموع عدد الأبطال التاتار تسعين ألفاً ، ولكننى أحضرت منهم معى خمسة آلاف فقط. وكان من المستحيل اصطحاب جيش يفوق هذا العدد بسبب وعورة الطرق.

بلغان خاتون: إذن يقيم باقى الجيش هناك على شاطئ النهر.

هولاكوخان: لا؛ فقد أرسلت إلى قلعة آلموت أربعين ألف جندي من جيشي قبل عدة منازل ، وسوف يصلون اليوم ويهجمون عليها بمجرد أن يسمعوا صوت طبولنا ونفيرنا من داخل القلعة، وقد وصلت إلى شاطئ نهر ديرنجان ، وعندما علمت بأن كثيرا من الجند لن يستطيعوا الوصول حتى هنا، عينت طوبى خان قائدا على ما تبقى من الجيش وأمرته بالذهاب إلى قلعة آلموت أيضا والهجوم عليها، ومعه خمسة وأربعون ألفا من الجند، وقد ظننت أن هؤلاء الجند لن يتمكنوا من الوصول في الوقت المحدد، ولكن بالصدفة ولحسن الحظ التقيت هناك برجل ممن يقيمون في الجبال أخبرني أن آلموت قريبة جدا ويستطيع الجيش بأكمله أن يصل هناك في خمس ساعات على الأكثر، وقد اصطحب طوبىخان ذلك الرجل ، وتأكد أنه سيصل بعد وقت قصير إلى بوابة القلعة، أخبرني أين الطريق للقلعة.

بلغان خاتون: يا أخى توقف هنا قليلاً لتستريح ثم سر فانت الآن ترحل متعباً منهك القوى.

هولاكوخان: (مبتسماً) إن راحتي في الرحيل، والمواجهة في ميدان القتال هي أفضل صورة لإظهار الشجاعة، وما لم يتم النصر فإن أى شيء في ذلك الوقت لا يمكن أن يزيل تعبى، حسنا لا شك أننى ألاحظ تعبكم لأنكم وصلتكم هنا قبلى واسترحتم تماماً ، والآن ليس من الضروري انتظار شيء.

حسين: (بعد أن تقدم خطوة للأمام بحماس وعاطفة): أيها الملك لا شك أنه لا يجب الانتظار هنا ؛ لقد خدعنى هؤلاء الناس إلى هذا الحد، وقد اقترفت بيدى العديد من الذنوب، وسوف لا يقر لى قرار ما لم أقض

عليهم و الأشخاص الثلاثة بصفة خاصة، إن هاتف الانتقام يخرج من قلبى كل وقت فيجعلنى مضطربا .

هولاكوخان: (مبتسما): كيف خدعت؟ قص على قليلاً.

قص حسين حكايته بكلمات مختصرة تنفيذا للأمر الملكى، ثم بدأ يقول وهو ييكنى: للأسف لقد خدعت خدعة كبيرة باسم حب زمرد، وسوف أظل أصب اللعنتات عليهم ما دمت حيا.

هولاكوخان: (بدهشة) أحقا كان هؤلاء الناس قد نصبوا للدنيا فخا عجيبا من الرياء والخداع؟ والآن فإننى أريد أن أظهر الدنيا بأسرها من دنس الملاحدة بعد فتح هذه القلعة.

حسين: لو تم لك ذلك فإن الله تعالى سوف يرضى عنك وستظل الدنيا للأبد رهن إحسان أسلحتك المباركة.

هولاكوخان: امض الآن؛ ففى التأخير ضرر وجيشنا الذى يعسكر حول القلعة قلق ومضطرب.

زمرد: هذه المهمة مسئوليتى؛ فلا أحد يعرف الطريق سوى جاريتك، ولكن مر المرافقين لى بالمضى فى صمت مطبق حتى ندخل القصر، لكى لا تغلق بوابة القصر فتواجه صعوبات جمّة فى دخول القلعة.

وطبقا لنصيحة زمرد أمر هولاكوخان جميع مرافقيه بالبقاء فى صمت وسكون والتقدم تدريجيا ودخل اللجنة خمسمائة جندى تاتارى من المصاحيين للأميرة من قراقورم ومن بعدهم خمسة آلاف جندى وغادروا اللجنة لكى يحرسوا الغلمان والخور الأسرى، وقد اتجه هولاكوخان إلى

القصر الملكي لآلوت لهذا الغرض، وكان حسين فى المقدمة وحصل على سيف من شاب تاتارى ، وأعلن أنه متأهب للانتقام والغضب ، وكان خلفه هولاكوخان نفسه ، وكانت بلغان خاتون على الجانب الأيمن وزمرد على الناحية اليسرى وخلفهم سرب من خمسة آلاف تاتارى، وبالرغم من أن الازدحام والحماس والضجيج قد بلغ مبلغه، إلا أنهم تقدموا تدريجيا بصرامة وصمت بعد أن طووا الحداثق والرياض ناحية نهر ديرلجان حتى وصلت هذه الجموع فى صمت إلى الجسر الذهبى وتقدمت زمرد وفتحت قفل الجسر الذى كانت قد وضعت فى صباح اليوم لفتح الطريق ثم فتحت بوابة الجسر فتزل جميع الجند من النهر ودخلوا هناك فى روضة جذابة فسيحة ومروا من طريق رائع وبديع حتى وصلوا إلى دوحة أشجار ظليلة وكانت البوابة الجميلة لقصر ركن الدين خورشاه مخفية فى ثنايا تلك الأشجار ، وبمجرد أن رأى الجند شكل البوابة أسرعوا واقتحموها وقطعوا دهليزا طويلاً قبل أن يعلم بهم أحد حتى وصلوا إلى حديقة رائعة للترفة لا تقل فى جاذبيتها وفتنتها ونضارتها عن جنة آلوت. وعندما رأى بعض العسكر الذين كانوا معينين للحراسة تلك الحالة من التناقض حملوا أسلحتهم وفروا ، وعندما أدركوا أنهم أمام جيش التاتار ولوا هارين مذهولين فلقى قليل منهم حتفهم بينما نجح البقية فى الهروب ، وساد الاضطراب والشغب القلعة وكل القصور التى كانت تشهد احتفالا ، وكانوا يحتفلون بمناسبة دينية ؛ حيث اجتمع جمع غفير من الناس من الداخل والخارج ولو أدركوا الأمر لكان من الممكن أن تنشب معركة بين الطرفين لكن الخوف من التاتار كان مستقرا فى تلك الأيام فى قلوب العالم بأسره، فبمجرد أن سمعوا بدخولهم فى القلعة فزع الجميع حتى خورشاه نفسه الذى كان واقفا يلقى الخطبة، نزل من على المنبر وهرب فى ذهول

ليختبئ في إحدى الأركان ، ولكن لم ينجح لأن نساء القصر الجميلات ذوات القدود المشوقه جئن هاربات حاسرات الرؤوس حافيات الأقدام فاقتفينا أثره متشحات بردائه طالبات للحماية ، ولم يكن يعلم آنذاك أن هناك جيشا تاتاريا جرارا وهائلا يحاصر القلعة، وبعد أن رأى الحراس وأهل القلعة من الدعاة والفدائيين الملك وأنصاره في حالة ذهول فتحوا بوابة القلعة وهم يصيحون في خوف فخرج منهم من خرج ودقت الطبول المغولية ونفخ في الصور داخل القلعة، وما أن استمع الجيش التاتارى الموجود بالخارج لصوت موسيقاهم الوطنية حتى قرعوا طبولهم وهجموا على الفور ؛ أما الهاربون فرأوا البحر الزاخر للجيش التاتار يتجه نحوهم كالطوفان فانقلبوا على أعقابهم في ذهول فاقتفى آثارهم بسرعة فائقة جيش طوبى خان ، وفى الخارج أعمل فيهم الأبطال المغول القتل واقتحموا القلعة .

وهكذا حدث إحصار شديد داخل القلعة ، وبدأ منظر القتل العام فى كل جانب ، واستمر قتل الشيوخ والأطفال والنساء والرجال والحرفيين والحراس بلا تفرقة ، وكانت معركة عجيبة استخدمت فيها جميع أنواع الأسلحة: الأسهم والرماح، السيوف والسكاكين، الفؤوس والمعاول ، بينما اختلطت فيها الأصوات الملهلة مع الصرخات الموحشة للمحاربين التاتار ويكاء النساء والأطفال وعويلهم وآهاتهم وأصوات الضرب فى آن واحد .

قام هولاكوخان بمصاحبة بلغان خاتون بمداهمة كل حجرة وكل قاعة فى قصر خورشاه ، وأخرجوا المذعورين من النساء والرجال والشيوخ والأطفال ، وساقوهم إلى ميدان فسيح كانوا يحتفلون فيه بمناسبة العيد

قبل عدة دقائق ؛ حيث كانوا يتصايحون بحماس السرور والمتعة ؛ ومن ناحية أخرى كان رفاق طوييخان يسوقون الهاريين مذهولين تماما ويحضرونهم إلى ذلك الميدان في حال من الاضطراب وهم يتصادمون كالأمواج، فلا يتذكر أحد رفيقه فقد أصابهم الذهول ومن بقي من الأعداء كان كالمجنون أو الغريق يحاول أن يمسك بقشة.

كان هذا المنظر المفجع قد أثر تأثيرا قويا على قلب زمرد ؛ فكانت تبكى لرؤية هؤلاء الناس، وكانت بعض النساء المظلومات في القلعة يولولن ويصرخن ، وبعد أن رأت بلغان خاتون زمرد مضطربة اقتربت منها تقول: "لم أكن أعلم يا زمرد أنك ضعيفة القلب إلى هذا الحد وإلا ما أحضرتك هنا".

زمرد: أيتها الأميرة أنا فعلت كل هذا، وكل قطرة دماء أريقت سيكتب ذنبها باسمي ، ومن المستحيل أن أستطيع النجاة من انتقامها.

بلغان خاتون: هذا فقط لضعف قلبك ، وإلا ما كان قتل هؤلاء الناس ذنبا، فكرى قليلاً ، إننا الآن نثار للعديد من الشخصيات المشهورة.

زمرد: (مختنقه بالبكاء) ليكن ذلك، لكنى أيتها الأميرة لم أر مثل هذا الظلم والجور.

بلغان خاتون: عندما يتأثر القلب بهذا الظلم والجور فتذكرى تلك المظالم التي ارتكبت في الدنيا على يد هذا الشباب الظالم.

وفي فترة وجيزة قتل أكثر من نصف سكان القلعة، وكانت الجثث لا تزال في آخر رمق لها في كل جانب وهم مضطربون في كل ناحية ويتوافدون على مكان يحتشد فيه الكثير ويلتقى أحدهم بالآخر فيتقافزون

ويتعاقبون معا لأن فكر القتلة لا يتجه إلى هذه الناحية، وكانوا يضطربون لسقوط جثث الناس الملقاه بلا حول ناحية أكداس الجثث واعتلى إذ ذاك هولاكوخان المنبر الذى غادره خورشاه ونزل من عليه دون أن يكمل الخطبة، كان سيف هولاكوخان فى يده مسلولا وملوثا بالدماء، وكانت أخته الأميرة بلغان أسفل المنبر تقف بالقرب منه. أما حسين فبالرغم من أنه لم يكن رجلاً عسكرياً لكنه وجد الفرصة سانحة تماماً للانتقام من هؤلاء الملاحدة؛ فقد كانت قلبه متعطشا لقتلهم، وكانت حشود التار تمضى جادة فى البحث عن أولئك الناس، وفجأة سعى إليه شخص وتشبث بذيل ثوبه وخرج هذا الصوت من فمه: "انقذنى يا حسين، أنا أعلم أنك فرع من شجر المعرفة" أدرك حسين أنه كاظم جنوبى فخطر على قلبه أن يطير رأسه بضربة واحدة، ولكنه فكر أن يستدل منه على "على وجودى" و"طور معنى"، وبمجرد أن خطر هنا بباله اتجه ناحية كاظم على جنوبى ويقليل من الألفة سأله: "أين طورمعنى؟".

ما إن سمع كاظم جنوبى هذه الكلمات حتى رفع رأسه ونظر فى الاتهامات الأربعة وأشار إلى عجوز رث الهيئة كان يجلس على الأرض حاسر الرأس بين عدد من الناس ثم خر على الأرض وبدأ يقول: احمنى يا فرع شجر المعرفة، نظر حسين إلى هذا الذليل المتضرع بنظرات الغضب وقال لن أحملك بسبب ما تظهر من ذلة مخادعة وأطاح برأسه.

واتجه حسين نحو ذلك العجوز بعد أن ترك كاظم جنوبى يتلوى واستطاع أن يعرف بعد فترة أنه نفسه طورمعنى فمد حسين يده ومسحه للخارج وقال: اليوم مزقت بنفسى تلك السبعين ألف حجاب وأرى نور سينا بلا حجاب، وما إن سمع طورمعنى هذه الجملة حتى نظر ناحية

حسين بتعجب ودهشة وقال: أيها الشاب من تكون حتى تعلم رمزي الحقيقة؟

حسين : نعم أعلم جيداً رمز الحقيقة ، لكنك ربما لا تعرفه أنت .
طورمعنى : لا ، مطلقاً .

استشاط حسين غضباً بمجرد أن سمع هذا الرد وبصق على وجهه وقال : "أكان ذلك من قبل كشفاً فقلت مرحباً بك أيها الشاب الأملى ، دون أن ترى صورتى وتسمع صوتى ؛ واليوم بعد أن رأيتنى لا تستطيع معرفتى ، لقد انكشفت كل مؤامراتك واتضح خبثك وشرك " ، وبهذا الرد بدأ طورمعنى يقبل قدم حسين ، وقال بصوت فيه لين وذهول :
"الرحمة أيها الشاب الأملى ، الرحمة" .

حسين : لا .. مطلقاً، إنك فتنة يجب تخليص الدنيا منها بسرعة
ويقدر المستطاع .

بعد أن قال حسين هذا جثم على صدر طورمعنى ووضع السيف على الأرض وأخرج خنجرًا من خصره وقال : "هذا هو خنجر الفداية الذى رُبط فى خصرى وبه قتلت الإمام نصر بن أحمد الصالح التقي ، وبه أمزق صدرك غير الطاهر" .

كان طور معنى يتمم بكلمات غير مفهومة عندما غُرس خنجر حسين فى صدره فأسلم الروح بأهة واحدة ، وأخذ حسين سيفه وهب ليقف ولم يكمل اعتداله تماماً حتى رأى تاتارياً على مسافة قريبة إلى حد ما من هولاكو خان يجر رجلاً عجوزاً طاعناً بعد أن ربطه فى عمامته فراه حسين من بعيد وعرف أنه هو "على وجودى" فهروا إليه بدون اختيار وأمسكه من وسط العمامة وصاح "هذا من نصيبى" .

التاتارى : لماذا؟ أنا أسرتَه ويصبح من نصيبك؟

حسين : نعم، إنه نصيبى منذ فترة طويلة، ومع هذه الجملة أشار هولاءكو خان إلى هذا التاتارى أن يُسلم هذا الأسير إلى حسين، وهكذا قام حسين بجذب على وجودى من عمامته وأدرك "أنه يعرفه".

كان على وجودى فى هذه الحالة من اليأس والذهول بحيث لم يكن يدرك ما سيحل به وعلى يد من أسر، لكن بعد أن سمع صوت حسين، رفع رأسه ويمجرد أن تعرف عليه صاح "كنت أبحث عنك يا حسين، وعندما علمت بخبر إخراجك من قلعة الموت، حزنت حزنا كبيرا، وللأسف إذا أتيت عندى ما كنت فشلت" ؛ فى الحقيقة لم يكن على وجودى يدرك أن حسين الآن يعارض أفكاره وجمال فى خياله أنه حتى الآن من مريديه ، ولهذا السبب أنقله من يد التاتارى بشجاعة وبطولة وأحضره إلى هنا.

حسين : (بعد أن ترك طرف العمامة وأمر العقيدة) لكنك تعرف أمور الغيب ولعلك أدركت بدون شك تنزهى اللاهوتى وفى أى عمارات جبلية أتجهول وأتخبط.

بعد أن سمع على وجودى هذا من حسين نظر إليه بعين الشك وقال: "تكون تلك التنزه اللاهوتية فى ذلك الوقت عندما يستخدم الإنسان الاهتمام القلبى، وفى الحقيقة أننى لم أهتم مطلقا بالبحث فى حالتك".

حسين : لكن لا أمل فى هذا؛ فسوف أترك اعتقادى وإيمانى بك كلية.

على وجودى: وكيف وقعت الفتنة يا حسين؟ من المؤكد أنك تعلم،
وإلا ما تركنى التاتار بناء على طلبك.

حسين: ما أهمية سؤالك وأنت تعلم كل أمر بأدنى اهتمام قلبى.

على وجودى: بقدر ما تعرف، إلا أنك جاهل برموز عالم
الأرواح، وأن الناس الذين ينالون الكمال فى تلك الرموز لا يعلمونها
أحيانا، ألم تسمع:

اعتلى الفلك الأعلى حيناً ولا أرى ظهر قدمى حيناً آخر

حسين: لقد رفض ركن الدين خورشاه إرسالى للجنة وأخرجنى من
القلعة ويشت بعدها وكنت وحيدا مخذولاً، وللأسف فإنك فى ذلك
الوقت لم تعلم بى، لكن الأمر تغير حيث قابلنى القدر بشخص، والآن
وصلت ببركته وإرشاده إلى الجنة، وكانت معانقة زمرد من نصيبى،
ولللأسف خرجت من زمرة مريدك وانضمت إلى مريديه والمعتقدين به.

على وجودى: أى شخص هو؟

حسين: هولاکو خان قائد التاتار وشروطه صارمة جداً.

وما أن سمع على وجودى هذا حتى ارتعدت فرائصه ونظر إلى وجه
حسين وسأل ما هى هذه الشروط؟

حسين: هى أن أستأصل رؤوس من أجدر من الملاحدة الخبيثاء
أصحاب الأعمال السوداء.

على وجودى: (مذعورا) ألا تتسهل فى تنفيذ مثل هذه الأحكام
الظالمة.

حسين : لا ، قط ، لقد تعلمت درسًا منك : يجب بقاء المريد في يد المرشد مثل الآلة بلا روح ، فلكل ظاهر باطن ، وباطنه عند مرشدي حسن جدا ومقبول في حضرة الله .

نجعل على وجودي ولم يجب ، ورفع رأسه وقال : لكن يجب استعمال الرحمة في كل شيء ؛ إن الله لا يقبل الظلم .

استشاط حسين غضبا لهذا الجواب ، لكنه تماسك وتملك نفسه وقال : لا شك أن الله لا يقبل الظلم ، ولهذا السبب فإن روح الإمام نجم الدين النيسابوري تصرخ حتى اليوم ، وتنادى بأن دمي في رقبة علي وجودي ، ويعد أن سمع علي وجودي هذا ارتعدت فرائضه وبعد فترة وجيزة وعندما هدأ قلبه قليلاً ، قال : ولكن بقيت هذه العلاقات بيني وبينك ، ولا أتوقع أنك إنسان قاسي .

حسين : إن علاقتي بك ليست من علاقتي بالإمام نجم الدين نيسابوري ؛ فقد كان عمي وأستاذي ومرشدي .

الآن أصبح الخوف خارجاً عن اختيار "علي وجودي" فلم يتمكن من السيطرة على مشاعره بسبب الخوف فانفجر باكياً وخر على قدمي حين وصاح : "الرحمة ! الرحمة ! " .

حسين : لا .. مطلقاً ؛ فآلاف الأرواح الطاهرة المقدسة تستغيث ، لأنك من المؤكد أمامها الآن وسوف تهددك وتوبخك من الجهات الأربع ، ولاشك أن حالة "علي وجودي" في ذلك الوقت أنه كان ينتظر مضطرباً للجهات الأربع مراراً ، وكانت تظهر له في كل جهة صورة مظلوم يهدده بالخناجر والسكاكين ، وفي نفس هذه الحالة وبينما تبدو له السكاكين في

الجهات الأربع إذ بحسين يستل خنجره من خصره ويجعله أمام عينيه قائلاً: هذا نفس الخنجر الذى أعطيتنى إياه وبأمر خاص منك استقر بيدي هذه فى صدر الإمام نصر بن أحمد وصدر الإمام نجم الدين النيسابورى ، انظر هذا الخنجر باق حتى اليوم فقط من أجل أن أغمده بيدي فى صدرك ؛ فلتفهم جيداً ما أقول ولتستعد لأن وقت الانتقام قد حان ، وحين سمع على وجودى هذه الكلمات ارتعد مرة أخرى وبدأ يقول فى خوف وهلع: " لا تقتلنى ، ومن الآن فصاعداً لن أدافع عن مذهب الباطنية مطلقاً " .

حسين : لكن عهدك هذا لا ينقسه إلا الدم جزاء لأعمالك السوداء ، وبعد أن قال حسين هذا طرح "على وجودى" على الأرض وجثم على صدره ثم وضع خنجره أمام عينيه وقال: انظر هذا وتعرف عليه جيداً ؛ إنه نفس خنجرك .

كان موت على وجودى فى الحقيقة موتاً بشعاً ، حيث كانت جميع الذنوب فى ذلك الوقت أشباحاً تتراءى له بأشكال وصور مرعبة ، لقد رأى أرواح آلاف المظلومين ، وكان يرتعد كلما وقعت عيناه على الخنجر ، وبعد أن بلغ منه الاضطراب والهلع مبلغه أغمض عينيه وقال لحسين " بالله عليك اتركنى وارحم ضعفى " .

حسين : لا ، الذى يخشى الله فى قلبه ولا يخافه فالخوف عليه ذنب .

على وجودى: يا قليل الحظ اقتلنى بسرعة ؛ فأنا مُحاصر والمصائب تتعقبنى .

حسين : من أجل هذا فقط فإننى أتأمل وأجد متعة طيبة فى رؤية لحظات موتك الحرجة والخطيرة بعدما سأقتلك ، والآن اضطرب 'على وجودى' كثيرا وكان يئن تحت وطأة حسين الذى كان يعرض الخنجر الذى أعطاه له أمام عينيه فيشيع برأسه هنا وهناك رعبا من صورته البشعة ، ويقول بالله عليك أبعد هذا الشيء من أمامى ، وفى النهاية وبعد فترة ليست بالقصيرة وعندما رأى حسين أنه تأخر كثيرا وقارب جميع سكان القلعة على القتل قام بقتل على وجودى ، وبعد الانتقام من أكبر المخادعين الضالين . اقترب مرة أخرى من هولاکو خان ولم يجد التاتار فى ذلك الوقت أحدا يقتلونه ، وكانت أعينهم تقطر بالدماء من جراء القتل العام الكبير ؛ فقد كانوا يدورون ويتجولون هنا وهناك مثل الضواري المتوحشة أو الكلاب الضالة فيقتلون كل من وجدوه أمامهم ليخرجوا غضبهم .

ولم ينبج من القتل سوى عدد محدود من الصغار والنساء الجميلات وقعوا فى الأسر ، ولم يبق أحد فى قلعة الموت .

كان التاتار إذ ذاك يبحثون عن ركن الدين خورشاه حاكم الموت وظلوا يبحثون عنه لفترة من الوقت فلم يعثروا عليه فى أى مكان ، وفى النهاية داهم تاتارى الحب وأمسك به وأحضر بحالته أمام هولاکو خان ، وكان واقفا مطأطأ الرأس أمام القائد ، وأراد حسين أن يختطفه ويقتله أيضا بخنجره ، لكن هولاکو خان صاح ومنعه ثم تقدم المغول وأمسكوا بيده .

هولاکو خان : هذا ملك هنا وجاء طالبا النجاة فى حالة ضعف ولهذا يجب منحه الحياة .

حسين : أيها الملك لو أنقذ هذا فسوف تظل الفتنة قائمة فى العالم ، لقد كان سبب كل هذه الحيل والمؤامرات وجميع المفاسد .

هولاكو خان: لم يبق الآن متآمرون فماذا سيفعل هذا، وكل الخداع تحول إلى تراب ودماء ولا يمكن لهذا الشاب غير المحنك أن ينال الدنيا بالضرر؟

حسين: لا يمكن ألا يكون له معتقدون، إن أنصاره يتشرون في كل مكان من السند حتى مصر والشام.

هولاكو خان: سأذهب إلى تلك الأماكن أيضا وأستأصل شأفة أنصاره من الدنيا، ولهذا يكفي هذا العقاب وهو أن يجلى عن وطنه بعدها نظر ناحية خورشاه وقال: "لاشك أن فتتك كانت عظيمة، وقد أبقيت عليك بعد أن أشفقت على صمتك العاجز وقلة حيلتك، ومع هذا أمرت أن تقضى ما تبقى لك من أيام حياتك في تركستان حيث لن تستطيع أن تحب أى مريد أو معتقد، ولن تعطى أى من تلك النساء؛ لأنه من الممكن عن طريقهن أن تبدأ مرة أخرى خداع الدنيا بفسادك، يمكنك أن تتزوج من أى فتاة حين تصل إلى تركستان.

وتنفيذا لهذا الحكم اصططحته كتيبة من المغول وأوصلته إلى قرية مجهولة في تركستان بعد أن عبروا بحر الخرز بآخر ملوك الموت، وعندما أصبحت القلعة خالية من الناس انشغل التاتار بنهب الأموال وسرقة القصور وإشعال النيران وأشعلت النيران في كل مكان بالجنة والقصور، وهدموا المنازل والقصور حتى سويت بالأرض وصارت القصور التي كانت مبنية فيما أطلقوا عليه اللجنة مجرد أكاداس من الطين والطوب، وقد فعل التاتار هذا بسرعة فائقة بحيث لم يبق فيها قاطن أوباك.

وبعد أن أطفأ حسين نار قلبه وتأثر من أعدائه اقترب من زمرد التي كانت فى حالة ذهول ومضطربة جدا بهذا القدر من الاضطراب فسألها حين رآها : " لماذا أنت مضطربة يا زمرد؟ " .

زمرد : (بصوت متهدج) بلغ الذبح والسفك هذا المبلغ وأنت تسأل لماذا أنا مضطربة؟

حسين : هل نحزن لتدمير هؤلاء الظالمين أم نسعد؟

زمرد : ليسعد من خلق الله قلبه من حجر، فربما لم يخطر على بالى قط رؤية مثل هذا المنظر الوحشى فلم أعود رؤية مثل هذه الأمور .

حسين : حسنا . . الآن أخبرينى ماذا تريدين؟

كانت الأميرة بلغان خاتون واقفة أمامها، فأنت عندها بمجرد أن سمعت هذه الجملة وقالت ماذا تريدان؟ ارحلا معى الآن وسوف تكون زمرد بالنسبة لى أكثر من أختى أما أنت فاشغل نفسك بأى أمر .

زمرد : لا أيتها الأميرة فقد اقترب كلانا عظامم الذنوب ، وكنا قد خرجنا من البيت عازمين على الحج فابتلينا بهذه المصائب ، والآن وجب علينا أن نحج أولاً ثم نفعل أى شىء بعد ذلك ، ولو فى الحياة بقية فإننا بعد أداء هذا القرض سنحضر إلى قراقرم فى خدمتك . فما لم أكن هناك فى بيت الله خاصة لن أتمكن من التوجه لله ليغفر لى ، ولن يزول هذا الندم حتى ذلك الوقت ، وهو ندم كامن فى قلبى على الدوام ولا أذكره إلا وأزعجنى .

حسين: لاشك أن كلام زمرد صحيح، فقلبي يلحنى وربما أنجو من هذه الحالة حين أبلغ بيت الله وأدعو فى هذا المقام المقدس.

بلغان خاتون: لماذا أقول هذا؟ لا يريد قلبى أن يفارقكما ، ولكنكما تصران ، وتعتبران الذهاب هناك فرضاً عليكما، ويبدو أنه لافائدة من منعكما، ولكن هناك أمر يرضينى.

زمرد : تفضيلى، إن تنفيذ كل أوامرك فرض علينا.

بلغان خاتون: لقد خرجتما معا بهدف الزواج ، وأريد قبل الافتراق أن تزوجا حتى أعلم قبل ذهابكما إلى وطنكما أن اتفاقكما قد تم ، وسوف يسعد قلبى بعد أن يتذكر أن أمنتكما قد تحققت على يدى.

لم يكن مثل هذا الطلب بالطلب الذى يرفضه أحد، فأبدى حسين موافقته بكلمات واضحة ، بينما ابتسمت زمرد وقالت بعد أن طأطأت رأسها بصوت فيه حياة: "أنا الآن جاريك وما تأمرين به لا أستطيع رفضه".

وفى صباح اليوم التالى أعد هولاکو خان احتفالاً عظيماً من أجل تقسيم مال الغنيمه وابتهاجا بالنصر ، وأقيمت حفلة لكبار ضباط الجيش وقد أبدوا سعادتهم بالنصر الساحق بحماس عظيم، وفى ذكرى هذا النجاح وهذا الظفر قام الشيخ نصير الدين الطوسى بعقد زواج حسين وزمرد بطلب من بلغان خاتون وبأمر هولاکو خان ، وكان علامة عصره ومحقق زمانه الذى يقدره التاتار موجوداً فى تلك المعركة.

وبعد هذا الإجراء ودع الجميع بعضهم فسلكت بلغان خاتون طريقها إلى قراقرم مع رفاقها ، ورحل هولاکو خان تجاه آذربيجان مع جيشه

الظافر ، بينما اتجه حسين وزمرد إلى أرض الحجاز ، وكانا قد خرجا من بيتهما لهذا الأمر وتركوا أطلال آلموت وبها جميع الجثث نحوم حولها من الطيور الجارحة وتسير فوقها الحمير .

وصل حسين وزمرد إلى مكة المعظمة وأمسكا بأستار الكعبة وطلبا المغفرة بقلب ضارب خاشع : " اللهم اغفر لنا جميع ذنوبنا ، فعلى الرغم من أننا لم نفعل ما أمرتنا به فاقبضنا عبيد لك بلا ذنوب مقبولين عندك ، لقد ابتلينا بخداع كبير وكان الشيطان متحكما فينا بحيث لم تنكشف لنا مساوئ الذنوب ، لقد اقترفنا الذنوب ظنًا منا أنها حسنات ، لقد تعثرت أقدامنا لكننا ابتلينا بمكر كبير ، وعالم الغيب يعرف كلام القلوب ، فانظر إلى ضعفنا وقلة حيلتنا واصفح عن آثامنا الكثيرة ؛ وهكذا عادا بعد أن أزالا من قلوبهما صدا الذنوب ، وبقيتا عدة أيام في مدينتهما أمل ثم ذهبا عند الأميرة بلغان خاتون في قراقرم ، حيث عاشا معها بقية حياتهما .

المشروع القوي من الترجمة

- ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) جون كوين
- ٢ - الوثنية والإسلام ك. مادهو باننيكار
- ٣ - التراث المبروق جورج جيمس
- ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو انجا كاريبتنكوفا
- ٥ - ثريا في غيبوبة إسماعيل لمسيح
- ٦ - اتهامات البحث اللساني ميلكا إيفيتش
- ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة لوسيان هولمان
- ٨ - مشعلو العراق ماكس فريش
- ٩ - التغيرات البيئية أندرو س. جوي
- ١٠ - خطاب الحكاية جبرار جيبيت
- ١١ - مختارات فيسوافا شيمبورسكا
- ١٢ - طريق العرير فيفيد براونيسقون وإيرين فرانك
- ١٣ - ديانة السامعين روبرتسن سميت
- ١٤ - التحليل النفسي والأدب جان بيلمان فويل
- ١٥ - العركات اللغوية إدوارد لويس سميت
- ١٦ - أثنية السوداء مارتن برنال
- ١٧ - مختارات فيليب لاوكين
- ١٨ - للشعر النسائي في أمريكا اللاتينية مختارات
- ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة جورج سفيريس
- ٢٠ - قصة العلم ج. ج. كراوثر
- ٢١ - خوخة وآلف خوخة صمد بهرنجي
- ٢٢ - مذكرات رحالة من المصريين جون أنتيس
- ٢٣ - تجلي الجهيل هانز جيورج جادامر
- ٢٤ - ظلال المستقبل باتريك بارلندر
- ٢٥ - مثقوى مولانا جلال الدين الرومي
- ٢٦ - دين صمد انعام محمد حسين هيكل
- ٢٧ - التنوع البشري الخلاق مقالات
- ٢٨ - رسالة في التسامح جون لوك
- ٢٩ - الموت والوجود جيمس ب. كارس
- ٣٠ - التراثية والإسلام ك. مادهو باننيكار
- ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي جان سولاجيه - كلود كايين
- ٣٢ - الانتراخ فيليد روس
- ٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية أ. ج. هويكنز
- ٣٤ - الرواية العربية روجر آن
- ٣٥ - الأسطورة والحدائق پول . ب . ميكسون
- ٣٦ - أحمد درويش ت : أحمد فؤاد بليغ
- ٣٧ - شوقي جلال ت : أحمد المصطفى
- ٣٨ - محمد علاء الدين منصور ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
- ٣٩ - يوسف الأتكني ت : مصطفى ماهر
- ٤٠ - محمود محمد عافور ت : محمد مقسم عبد الجليل الأثري ومصر حلي
- ٤١ - هناء عبد الفتاح ت : أحمد محمود
- ٤٢ - عبد الوهاب طوب ت : حسن المودن
- ٤٣ - أشرف رافيق عطيلي ت : بإشراف / أحمد عثمان
- ٤٤ - محمد مصطفى بدوي ت : طلعت شاميين
- ٤٥ - نعيم عطية ت : يعني طريف الشواي / بدوي عبد الفتاح
- ٤٦ - مائدة العناني ت : سيد أحمد علي الناصري
- ٤٧ - سعيد توفيق ت : بكر عباس
- ٤٨ - إبراهيم الدسوقي شتا ت : أحمد محمد حسين هيكل
- ٤٩ - نخبة ت : منى أبو سمه
- ٥٠ - بدر النيب ت : أحمد فؤاد بليغ
- ٥١ - عبد الستار الطرجي / عبد الهادي طوب ت : مصطفى إبراهيم فهد
- ٥٢ - أحمد فؤاد بليغ ت : أحمد فؤاد بليغ
- ٥٣ - حصنة إبراهيم النيف ت : خليل كلفت

- ٣٦ - بطريات السرد الحديثة
٣٧ - واحة سيرة وموسيقاها
٣٨ - نقد الحداثة
٣٩ - الإبريق والصد
٤٠ - قصائد حب
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية
٤٢ - عالم مالك
٤٣ - الله المزدوج
٤٤ - بعد عدة أصناف
٤٥ - التراث المفقود
٤٦ - عشرون قصيدة حب
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية
٤٩ - الإسلام في اللقمان
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القل الأسير
٥١ - مصادر الرواية الإسبانية الأمريكية
٥٢ - الملاج التنسي التعميمي
٥٣ - الدراما والتعليق
٥٤ - الملهوم الإبريق المسرح
٥٥ - ما وراء العلم
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨ - مسرحيات
٥٩ - المحبرة
٦٠ - التصميم والشكل
٦١ - موسوعة علم الإنسان
٦٢ - لغة النص
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى
٦٦ - خمس مسرحيات إنجليزية
٦٧ - مختارات
٦٨ - نقاشا العصور والقصص أخرى
٦٩ - عالم الإنسان في ثوبين القرن العشرين
٧٠ - نقاشة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي
والاس مارتين
بريجيت شيفر
آن تودين
بيتر والكوت
آن سكستون
بيتر جران
بجانب باربر
أوكافير باث
الدوس هكسلي
روين ج نيا - جون ف أ فاين
بابلو نيروبا
رينيه ويليك
فرانسوا توما
ه. ت. نوريس
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانوبيا وج. م. بيبياليستي
بيتر. ن. تولاليس وستيفن. ج.
رويسيلتر روجر بيل
ا. ف. أنتجتون
ج. مايكل والتين
جون بولكنجهيم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونيت
جوهانز آيتي
شارلوت سيمور - سميث
رولان بارت
رينيه ويليك
الآن وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
فرناندو بيسوا
فالنتين راسيوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أورخنيو تشانج وودريجت
داريو فو
ت : حياة جاسم محمد
ت . جمال عبد الرحيم
ت . أنور حليف
ت . منيرة كروان
ت . محمد عيد إبراهيم
ت : عطف لشد / إبراهيم قتي / مصد ملج
ت . أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تانوس
ت . أحمد محمود
ت . محمود السيد علي
ت . مجاهد عبد المظم مجاهد
ت . ماهر حويجاتي
ت . عبد الوهاب علوب
ت . محمد بركة وعظمي الليرة يوسف الأشككي
ت : محمد أبو الصلا
ت . لطفي فطيم وعادل مرداش
ت . مرسى سعد الدين
ت . محسن مصيلحي
ت . علي يوسف علي
ت . محمد علي مكي
ت : محمود السيد ، ماهر النطوطي
ت . محمد أبو الصلا
ت . السيد السيد سهيم
ت : منير محمد عبد القس
مراجعة وإشراف محمد الجوهري
ت . محمد خير البقاعي
ت . مجاهد عبد المظم مجاهد
ت . رمسيس عوش
ت . رمسيس عوش
ت . عبد الكريم عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصانع
ت . أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
ت . عبد الحميد غلات وأحمد حشاد
ت . حسين محمود

- ٧٢ - السياسي المعجز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالكية في مصر
٧٥ - فن التراجم والسيرة الذاتية
٧٦ - جاك لانكن وإغراء التحليل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣
٧٨ - العلة، النظرية الاجتماعية والثقافة الكلية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - برشكين عند «مافورة النموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والفن
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحة)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالقرآن
٨٩ - الطويق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب، بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسباني وأمريكي المعاصر
٩٣ - محدثات العولمة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زلاقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنساني والانتزاع الصهيوني
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولمة
١٠١ - النص الروائي (نظريات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آياه
١٠٤ - أوروبا ماموجني
١٠٥ - معقل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الاندلسي
١٠٧ - صورة الفنان في الشعر العربي للناصر
- ٥ . س . إليوت
جين . ب . تومكينز
ل . ا . سيمبسون
أندريه موروا
رينيه ويليك
رونالد وورثسون
بوريس أوسبنسكي
الكسندر موشكين
بنديكت أندرسن
ميغيل دي أونامونو
موتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكي أقطاي
جمال مير صادقي
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
انتوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
يارور الاسويستكا
كارلوس ميغل
مايك فيلرستون وسكوت لاش
سمويل بيكيت
أنطونيو بوورد باييخو
قصص مختارة
فرمان برودل
شماذج ومقالات
ديفيد رويستون
بول هيرست وجراهام تومسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الشطيبي
عبد الوهاب الماذب
برنات بريشت
جيرار جينيت
د. ماريا خيسوس روبييرامتي
نخبة
- ت . فؤاد مجلى
ت . حسن ناطم وعلى حاكم
ت . حسن بيومي
ت . أحمد درويش
ت . عبد المقصود عبد الكريم
ت . مجاهد عبد المصم مجاهد
ت . أحمد محمود ونورا أمين
ت . سميد الفايبي وناصر حلاوي
ت . مكارم العمري
ت . محمد طارق الشرفاني
ت . محمد السيد علي
ت . خالد الجمالي
ت . عبد الحميد شيمه
ت . عبد الرزاق بركات
ت . أحمد فتحي يوسف شتا
ت . ماجدة الصائبي
ت . إبراهيم السوسني شتا
ت . أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت . محمد إبراهيم ميروك
ت . محمد هذاف عبد الفتاح
ت . ثانيا جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت . فوزية العشماوي
ت . سري محمد محمد عبد الطيف
ت . إدوار الخراط
ت . شير السباعي
ت . أشرف السباع
ت . إبراهيم تكتيل
ت . إبراهيم فتحي
ت . رشيد بلحو
ت : عر الدين الكتاني الإندوسى
ت . محمد نثيس
ت . عبد الغفار مكاوي
ت . عبد العزيز شميل
ت . أشرف علي بصور
ت . محمد عبد الله الجميدى

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث
١٤٦ - الورقة الحمراء
١٤٧ - خطة الإدانة الطويلة
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندريش
١٥٠ - التجربة الإغريقية
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ١)
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى
١٥٣ - غرام الفراحة
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧ - خسرو وشيرين
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ٢)
١٥٩ - الإيديولوجية
١٦٠ - آلة الطبيعة
١٦١ - من المسرح الإنساني
١٦٢ - تاريخ الكنيسة
١٦٣ - موسومة علم الاجتماع ح ١
١٦٤ - شامبوليون (حياة من سود)
١٦٥ - حكايات الثلج
١٦٦ - العلاقات بين الدين والطائفة في إسرائيل
١٦٧ - في عالم طافور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩ - إبداعات أدبية
١٧٠ - الطريق
١٧١ - وضع حد
١٧٢ - حجر الشمس
١٧٣ - معنى الجمال
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
١٧٥ - المثاليين في الحياة اليرمية
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧ - لطون تشخيص
١٧٨ - مخترقات من الشعر الحديث
١٧٩ - حكايات أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي
- كارلوس فويتس
ميجيل دي ليس
تاتوكيد دورست
إرنستي أندرسون إمرت
عاطف فضول
روبرت ح. ليمان
فرنان برول
نخبة من الكتاب
فيلاين فاتوك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنال والآن وأوليت فيرمو
النظامى الكهوى
فرنان برول
ديفيد هوكس
مول إيرليش
اليفاندرو كاسوتا وأنطونيو جالا
يوحنا الأسبى
جورجون مارشال
جان لاكوتير
أ. ن. أمانا سيفا
يشميهاو ليفمان
راينولدات طافور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميفيل نلبيس
فرانك بيجو
مختارات
واتر. ستيس
إيليس كاشمور
لورينزو فيلشس
نرم تيتنبرج
هنرى ترويا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فدستت. ب. ليتش
- ت. أحمد حسان
ت. على عبد الزروق الببى
ت. عبد الغفار مكوى
ت. على إبراهيم على مغولى
ت. أسامة إسر
ت. منيرة كروان
ت. بشير الساعى
ت. محمد محمد الشطابى
ت. فاطمة عبد الله محمود
ت. خليل كالت
ت. أحمد مرسى
ت. م. التمساني
ت. عبد العزيز بقوش
ت. بشير الساعى
ت. إبراهيم قنقى
ت. حسين بيوى
ت. زيدان عبد العظيم زيدان
ت. صلاح عبد العزيز محبوب
ت. بلشراف. محمد الجوهري
ت. نبيل سعد
ت. سهير الحاصبة
ت. محمد محمود أبو غنيد
ت. شكوى محمد عباد
ت. شكوى محمد عباد
ت. شكوى محمد عباد
ت. بسام ياسين رفيد
ت. هدى حنين
ت. محمد محمد الشطابى
ت. إمام عبد الفتاح إمام
ت. أحمد محمود
ت. رجبى سمعان عبد المسيح
ت. جلال البنا
ت. حسنة إبراهيم منيف
ت. محمد حسنى إبراهيم
ت. إمام عبد الفتاح إمام
ت. سليم عبد الأمير حمدان
ت. محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والثورة
١٨٣ - جان كركوت على شاشة السينما
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام
١٨٥ - أسفار العهد القديم
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل
١٨٧ - الأرضة
١٨٨ - موت الألب
١٨٩ - العمى والبصيرة
١٩٠ - محاورات كوتلوفشويس
١٩١ - الكلام وأسمال
١٩٢ - سياحتهامه إبراهيم بيك
١٩٣ - عامل المنعم
١٩٤ - مختارات من نقد الشعر - أمريكي
١٩٥ - شتاء ٨٤
١٩٦ - المهلة الأخيرة
١٩٧ - القاروق
١٩٨ - الاتصال الجماهيري
١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
٢٠٠ - شعايا التذمية
٢٠١ - الجانب الديني للفلسفة
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١
٢٠٣ - الشعر والشاعرية
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات
٢٠٦ - البهوية تصنع علماء جديداً
٢٠٧ - ليل إفريقي
٢٠٨ - فضيحة العرب في المسرح الإسرائيلي
٢٠٩ - المسرح والمسرح
٢١٠ - منظومات حكيم سنائي
٢١١ - فريدريش دوسوبير
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان
٢١٣ - مسرحية تينين خردلجيد قلم
٢١٤ - تواعد جينة للنهج في علم الاجتماع
٢١٥ - سياحته ثامه إبراهيم بيك ج٢
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم
٢١٧ - مسرحيتان طليعتان
٢١٨ - وابلوا
- و . ب . بيتس
رينيه چيلسون
هانز ايندورفر
توماس تومسن
ميخائيل أنثود
يُذَرَج حُلوى
اللقين كرنان
بول دي مان
كوتلوفشويس
الحاج أبو بكر إمام
زين العابدين المراهي
بيتر أبراهام
مجموعة من المقاد
إسماعيل فصيح
فالتين واسپوتيتي
شمس العلماء شبلي التماسي
إلمون إمري وأخرون
يعقوب لاندائوي
جيرمي سيندوك
جوزايا روس
رينيه ويليك
ألفاف حسين حالي
زلمان شازار
لويجي لوقا كافاللي - سفورزا
جيسس جلانيك
رامون خوتاسنديز
دان لوريان
مجموعة من المؤلفين
سنائي القرنوي
جوانتانو كلر
مرزيان بن رستم بن شروين
ريمون فلور
أنتوني جينز
زين العابدين المراهي
مجموعة من المؤلفين
صمويل بيكيت
خوابير كورتازان
- ت . ياسين طه حافظ
فتحى العشري
ت . نسواقي سميد
ت . عبد الوهاب علوب
ت . إمام عبد الفتاح إمام
ت . علاء منصور
ت . بدر الدين
ت . سعيد الفانسي
ت . محسن سيد فرجاني
ت . مصطفى حجازي السيد
ت . محمود سلامة علوي
ت . محمد عبد الواحد محمد
ت . ماهر شفيق فريد
ت . محمد علاء الدين منصور
ت . أشرف الصباغ
ت . جلال السعيد الطنطاوي
ت . إبراهيم سلامة إبراهيم
ت . جمال أحمد الرباني وأحمد عبد الطيف حماد
ت . فخرى لبيب
ت . أحمد الأنصاري
ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت . جلال السيد الطنطاوي
ت . أحمد محمود هويدي
ت . أحمد مستجير
ت . علي يوسف علي
ت . محمد أبو الطاهر عبد الرزاق
ت . محمد أحمد صالح
ت . أشرف الصباغ
ت . يوسف عبد الفتاح فرج
ت . محمود حمدي عبد الفتحي
ت . يوسف عبد الفتاح فرج
ت . سيد أحمد علي الناصري
ت . محمد محمود محي الدين
ت . محمود سلامة علوي
ت . أشرف الصباغ
ت . نادية البنهاوي
ت . علي إبراهيم علي منوفي

- ٢١٩ - بقايا اليريم
٢٢٠ - اليهودية في الكون
٢٢١ - شعرية كفافى
٢٢٢ - فرائز كافكا
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر
٢٢٤ - دمار يوسلافيا
٢٢٥ - حكاية عريق
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى
٢٢٧ - للروح الإنساني في القرن السابع عشر
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
٢٢٩ - ملائق البطل الوحيد
٢٣٠ - من الذئاب والفتران والنشر
٢٣١ - الدرافيل
٢٣٢ - مابعد المعلومات
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال
٢٣٤ - الإسلام فى السودان
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ح'
٢٣٦ - الولاية
٢٣٧ - مصر أرض الوادى
٢٣٨ - العولة والتحرير
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
٢٤١ - فى انتظار البراءة
٢٤٢ - سبعة أنماط من اللصوص
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية جا
٢٤٤ - الغليان
٢٤٥ - نساء ملقاتلات
٢٤٦ - قصص مختارة
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والعدالة فى مصر
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء
٢٤٩ - لغة التمرد
٢٥٠ - علم اجتماع الطوبى
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
٢٥٢ - رائعات الحركة النسوية المصرية
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية
٢٥٤ - الفلسفة
٢٥٥ - أفلاطون
- كانز أيشحور
بارى ياركو
جريحورى جوزدانيس
رونالد جراى
بول فيراندر
برانكا مانجاس
جابريل جارتيا ماركك
فيليد هريت لوراس
موسى مارديا ديف موركى
جاسيت رولف
نورمان كيماي
فرانسواز جاكوب
خايمى سالوم بيدال
توم ستينر
أرثر هيومان
ج. سبنسر تريمنجهام
جلال الدين الرومى
ميشيل تود
روين فيجين
الانكباد
جيتراكر - رايو
كامى حافظ
ك. م كويكز
وليام إميسون
ايفى بروفنتسال
لورا إسكينيل
إليزابيتا أنيس
جابريل جارتيا ماركك
روانز أرميسيت
أنتونيو جالا
براجو شتاموك
نومنيك فيليك
جورنون مارشال
مارجو دفوان
ل. أ. سيمينوفنا
ديف رويشون وجوى جروفا
ديف رويشون وجوى جروفا
- ت . طلعت الشايب
ت . على يوسف على
ت . رفعت سلام
ت . نسيم مجلى
ت . السيد محمد مفادى
ت . منى عبد الطاهر إبراهيم السيد
ت . السيد عبد الظاهر عبد الله
ت . طاهر محمد على البريرى
ت . السيد عبد الظاهر عبد الله
ت . حارى تيريز عبد المسيح وخالد حس
ت . امير إبراهيم المصرى
ت . مصطفى إبراهيم فهمى
ت . جمال أحمد عبد الرحمن
ت . مصطفى إبراهيم فهمى
ت . طلعت الشايب
ت . مؤاد محمد عكود
ت . إبراهيم المصطفى شتا
ت : أحمد الطيب
ت . حنايات حمصى طلعت
ت : ياسر محمد جاد الله ويعزى مدولى احمد
ت . ثلثة سليمان حافظ وإيهاب صلاح فليق
ت . صلاح عبد العزيز محمود
ت . ايتسام عبد الله سعيد
ت . صبرى محمد حسن عبد الننى
ت : مجموعة من المترجمين
ت . ثلثة جمال الدين محمد
ت . توفيق على منصور
ت . على إبراهيم على مشرفى
ت : محمد الشرفاوى
ت . عبد اللطيف عبد العظيم
ت . رفعت سلام
ت . ماجدة أباطة
ت بإشراف محمد الجوهري
ت . على مدوان
ت : حسن نبوى
ت . إمام عبد الفتاح إمام
ت . إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكايرت	ديف رويشون وجوى جروفز	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كللى رايت	ت . محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت . عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرميني	نخبة	ت . فاروقان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورجون مارشال	ت . بإشراف : محمد الجومرى
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوتا	ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حالة الزمن	جون جرين	ت . على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراسى / شلى	ت . لويش عوش
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت . لويش عوش
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت . عادل عبد الحليم مويلى
٢٦٧ - فن الرواية	ديفيد لودج	ت . ماهر البطوطى
٢٦٨ - ديهان شمس توريلى ج ٢	جلال الدين الرومى	ت . إبراهيم النسيولى شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية بشرائها ج ١	وايم چيلور بالجريف	ت . صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية بشرائها ج ٢	وايم چيلور بالجريف	ت . صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة العربية	توماس سى . باترسون	ت . شوى جلال
٢٧٢ - الألبيرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت . إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والفترة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت . عاتق الشهلوى
٢٧٤ - السيدة ريارا	رومولو جلاچوس	ت . محمود على مكى
٢٧٥ - د. س. بيهه شامى ياهى زكوى سرحيا	أقلام مختلفة	ت . ماهر شليق فريد
٢٧٦ - فنون السيما	فراىك جوتيران	ت . عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الهبات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت . أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسمعق عظيموف	ت . ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت . طلعت الشايب
٢٨٠ - من القلب البنى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت . سمير عبد الحميد
٢٨١ - الغروبى الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت . جلال الطنطاوى

(نحت الطبع)

٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويش وابيرت	ت . سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يهترق	خوان روافو	ت . على البدينى
٢٨٤ - هراقل مجنوناً	يوريبينيس	ت . أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الفجاجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت . سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراهى	ت . محمود سلامة حلاوى
٢٨٧ - الثقافة والعالة والنظام العالى	أنتونى كنج	ت . محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت . ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديهان منجودى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوس	ت . محمد نور الدين
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت . أحمد زكريا إبراهيم

٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرائشسكي روس ورامون	ت . السيد عبد الطاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرائشسكي روس ورامون	ت . السيد عبد الطاهر
٢٩٣ - مقدمة للآداب العربية	روجر آلان	ت . نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	يوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت . بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكث	وايم شكسبير	ت . محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن الشعر بين الليتائية والسوريالية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت . ماجدة محمد أبو
٢٩٨ - أسامة العبيد	أبو بكر تقي الدين	ت . مصطفى حجازي
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جيني ل. ماوس	ت . هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - لغوية بين يدي في اللغة الإنجليزية	لويس عوض	ت . جمال الجزيري و بهاء جاهين
٣٠١ - لفظة الولاء	جوزيا بارنيس	ت . أحمد الأنصاري
٣٠٢ - قصص قصيرة من الهند	ذاكر سهيل تشاري	ت . جلال الطناتري
٣٠٣ - المعرفة والمصلحة	جيرجين هيرماس	ت . حسن حشر
٣٠٤ - تاريخ الأدب في إيران	علي أصغر حكمت	ت . محمد علاء الدين مقصور
٣٠٥ - اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بير وچلو	ت . فخرى ليبي
٣٠٦ - يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن	ت . عبد العزيز بقوش
٣٠٧ - وايت ماريا رولكه	وايت ماريا رولكه	ت . حسن حلمي
٣٠٨ - سلامان وإيسال	نور الدين عبد الرحمن	ت . عبد العزيز بقوش
٣٠٩ - العالم البرجوازي الزائل	ثامين جورديمر	ت . سمير عبد ربه
٣١٠ - الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت . سمير عبد ربه
٣١١ - الركب خلف الزمن	بوته ندائي	ت . يوسف عبد الفتاح فرح
٣١٢ - سحر مصر	رشاد رشدي	ت . جمال الجزيري
٣١٣ - الصبية الطائشون	جان كوكي	ت . بكر الحلو
٣١٤ - المتصوفة الأولون	محمد فؤاد كويريلي	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣١٥ - دليل القارئ والثقافة الجادة	آرش والديون وآخرون	ت . أحمد عمر شاهين
٣١٦ - بانوراما الحياة المسيحية	أتلان مقظلة	ت . عطية شحاته
٣١٧ - مبادئ المنطق	جوزيه روس	ت . أحمد الأنصاري
٣١٨ - شعرية كفافس	قسطنطينس كفافس	ت . نعيم عطية
٣١٩ - الفن الإسباني في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزء الأولى)	باسيليوس يامون مالدونادو	ت . علي إبراهيم علي منولى
٣٢٠ - الفن الإسباني في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزء الثانية)	باسيليوس يامون مالدونادو	ت . علي إبراهيم علي منولى
٣٢١ - التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضوي	ت : محمود سلامة حلاوي



فردوس برين

كتب شرر روايته الفردوس الأعلى سنة ١٨٩٩م؛ فقدم لكتاب الرواية في شبه القارة الهندية نموذجاً طيباً للرواية، إذ تعد فردوس برين أو الفردوس الأعلى من ناحية الشكل الروائي من أحسن رواياته، رغم أنها من ناحية فن كتابة الرواية التاريخية لم تحقق النجاح المطلوب. إنها تعد حجر الأساس للشكل الروائي في الأدب الأردى، فعناصر الرواية هنا تتجمع لتعطى تأثيراً كاملاً في القراء؛ إذ نلاحظ أن الحكمة الروائية، ورسم الشخصيات، وتصوير البيئة، والتعبير عن العواطف وفلسفة الحياة، كل هذه العناصر تتجمع لتعطى التأثير الذى يمكن أن تتصف به الرواية الدرامية.

وبترجمة هذه الرواية تقدم لقراء العربية وللمهتمين بالأدب الشرقية نموذجاً فريداً من نماذج الأدب الروائي الشرقى بقلم أديب متميز من أدباء الهند الكبار، وسوف تتيح هذه الترجمة للمهتمين بالدراسات الأدبية المقارنة فرصة للتعرف على الأدب الأردى الذى يرجع تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر القرن العشرين.

Bibliotheca Alexandrina



0270857

